

جامعة الأزهر للنشر والتأليف

معيار النعم ومبدا النعم

لِلشيخ الإمام قاضي القضاة ثاج الدين عبد الوهاب السبكي المنوفي ٧٧١ هـ

محقق وضابطه وعلمه عليه

أبو زيد شلبي

المدرس في كلية أصول الدين

محمد علي النجار

المدرس في كلية اللغة العربية

محمد أبو العينون

المدرس بمعهد القاهرة

يطلب من مكتبة الخانجي بمصر ، ومن مكتبة المثنى ببغداد

الثمن ٢٠



طبع بدار الكتاب العربي بمصر

شارع فاروق — القاهرة

تليفون : ٥٠٩٣٨

جامعة الأزهر للنشر والتأليف

معيار النعم ومبيد النقم

للشيخ الإمام قاضي القضاة ثاج الدين عبد الوهاب السبكي المنوفى ٧٧١ هـ

محقق دة بطة وعلمه عليه

أبو زيد شلبي

المدرس في كلية أصول الدين

محمد علي النجار

المدرس في كلية اللغة العربية

محمد أبو العينون

المدرس بمعهد القاهرة

يطلب من مكتبة الخانجي بمصر ، ومن مكتبة المثنى ببغداد

الثن ٢٠



طبع بدار الكتاب العربي بمصر
! شارع فاروق — القاهرة
تليفون : ٥٠٩٣٨

الطبعة الأولى
١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

[حقوق الطبع محفوظة للجامعة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم ، ونصلّي ونسلم على نبيّك محمد المبعوث رحمة للعالمين ،
وهادياً للسترشدين ، وعلى آله وصحبه الهداة المهديين .

وبعد ؛ فإننا نقدم للناس كتاب « معيد النعم ، ومبيد النقم » لأبي نصر
تاج الدين السبكي ، في معرض جديد ، وثوب قشيب ، بعد أن بذلنا في تصحيحه
وضبطه ، وتحقيق متنه ، ما يحسنه القارى ، ونرجو المثوبة من الله عليه .
وقد كانت طبعانه السالفة مشحونة بشئى أنواع التحريف والتصحيف ،
وضروب الإحالة والتغيير .

ولقد عنت فكرة العمل في هذا الكتاب منذ قرابة أربع سنوات
للأستاذ الجليل الشيخ محمد يوسف موسى رئيس جامعة الأزهر للنشر
والتأليف ، على أثر قرأته الكتاب وتبين خطره وجلالاته . فأخذ في
الإعداد له وأبتدأ العمل فيه مع أحدنا ، ولكن عرض أن سافر في رحلة
علمية إلى فرنسا — رده الله منها إلى الوطن العزيز سالماً — فقمنا بهذا العمل ،
ويعلم الله ما كلفنا من جهد ونصب .

وإننا لندرجو أن يلاقى هذا الكتاب من التفاف والإقبال عليه والانتفاع به
ما هو أهله ؛ فإنه من خير الأسفار ، وأجل الآثار التى أخرجت للناس .

مقدمة

التعريف بالمؤلف - آثاره - معيد النعم

(١) المؤلف : التاج السبكي

ولد التاج السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بالقاهرة ، في سنة ٧٢٧ هـ . ويرى بعض من ترجم له أن ولادته كانت سنة ٧٢٨ ، ويرى آخرون أنه ولد سنة ٧٢٩ .

ونشأ عبد الوهاب في بيت عريق في العلم والتقى والرياسة : فأبوه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وبحسبك هذا تنبيهاً على نباهة بيته وشرف منصبه ؛ وإننا في هذا المقام ننوه بكتاب « البيت السبكي » الذي وضعه الأستاذ الجليل والباحث الكبير محمد الصادق حسين بك ، فلقد وثق البحث حقّه ، وأظهر من اللوذعية والنقد ما هو به فمين .

وجّه أبوه توجيهاً علمياً صادقاً ، ونشأه على الجِدِّ والدرس . فتلق العلم عن أبيه وعن غيره من علماء مصر كأبي حيان النحوي الكبير . حتى إذا أسند إلى أبيه قضاء الشام في سنة ٧٣٩ رحل عبد الوهاب معه ، واستقرّ بدمشق ، واتخذها وطنه ، وأخذ عن شيوخها ومحدثيها ؛ كالذهبي والميزي ، وتفقه شافعيًا بابن النقيب^(١) ، وقد أجازته هذا بالفتيا وهو لم يبلغ العشرين من سنيه . وقد ولي توقيع الدسْتِ عن نائب الشام أمير علي المارديني ، وهي وظيفة جليلة ، كان صاحبها يكتب على القصاص في دار العدل بجوار كاتب السر .

(١) هو محمد بن أبي بكر ، مدرس الشافعية البرانية بدمشق ، وصاحب النووي . توفي سنة ٧٤٥ هـ .

وتولى بعد هذا نيابة الحكم عن أبيه قاضى القضاة ، فجمع له بين الوظيفتين ؛
وفى ذلك يقول أبوه يعظه ويوصيه :

أموقع الدست الشريف ، ونائب الحكم العزيز ، ومفتى الإسلام
خف من إلهك أن يراك وقد نهاك ، وما انتهيت وملت للآثام
وولى مع هذا بعض وظائف التدريس فى مدارس دمشق . حتى إذا كانت
سنة ٧٥٦ هـ أحس والده ضعفا ، وعلته الكبرة وغشيته الشيخوخة ؛ فنزل
لعبد الوهاب عن قضاء الشام ، وانتقل هو إلى مصر حيث وافته منيته فى
عامه هذا .

وظلّ التاج فى منصب قضاء قضاء الشام ووظائف أخرى جلية ؛ حتى
أصيب بالطاعون فى سنة ٧٧١ هـ وهو فى منزله بالدهشة بظاهر دمشق . ودفن
فى سفح قاسيون^(١) فى مقبرة السبكىة .

وقد جرت عليه فى أثناء توليه القضاء فى دمشق مِحَنٌ عزل فيها ، ولكنه
خرج منها سليما لم تزل منه ، ولم تغض من شأنه ؛ وأغلب الظن أن ذلك كله
من حوك الدسائس ونسج أيدى الحساد والشائئين . وكان للبيت السبكى نظراء
ينفسون عليه ما بلغه من مجد وسناء ورفعة شأن ، وكان من هؤلاء ابن
فضل الله العمرى صاحب « مسالك الأَبصار » وغيره من أصحاب الرأى فى دولة
المماليك . وكان من الناس من يطمح إلى منصب قضاء القضاة ، ويحسد التاج
عليه ، ويبغى له الغوائل لعل أن يخلفه ، وينعم بخيره . وقد كانت المناصب
تُنال بالسعى وبذل المال ؛ يذكر ابن الوردي فى تاريخه^(٢) فى حوادث سنة ٧٤٠ هـ
أن برهان الدين الرُّسَينى بذل لطرغاي نائب حلب مالا ، حتى جعله قاضى
قضاة الشافعية فيها ، ولذلك لم يصادف راحة فى ولايته . قال ابن الوردي :
ويعجبني قول القائل :

(١) بالسين المهملة والياء تحتها نقطتان مضومة . . الجبل المعروف على مدينة دمشق
وفى سفحه مقبرة أهل الصلاح . . معجم البلدان لياقوت ج ٧ ص ١٢ .

(٢) ج ٢ ص ٣٢٨ .

فلان لا تحزن إذا نُكبت ، وأعرف ما السبب
فأ تولى حاكم بفضة إلا ذهب
ونرى أن من أسباب محنة التاج السبكي عداوة البيت السبكي لابن تيمية ،
ولابن تيمية أنصار وأتباع كثيرون في الشام . فلا بدّ أنهم أزمعوا على
الكيد له ، وأجمعوا أمرهم على التدبير عليه . وسيرى القارىء أن الذى قضى
بسجنه فى قلعة دمشق ابن قاضى الجبل قاضى قضاة الحنابلة ، وكان من تلامذة
ابن تيمية والمتعصبين له .

ويقول صاحب الدرر الكامنة^(١) : « وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة
مرّة بعد مرّة ، وهو مع ذلك فى غاية الثبات . ولما عاد إلى منصبه صفح عن كل
من أساء إليه . » ويتبين من هذا أن الاتهام كان مبعثه العداوة من أناس بينه
وبينهم شحناء وشنآن ، وأنه كان حليما واسع الصدر ، عزوفا عن الانتقام .
وكانت إحدى محنه سنة ٧٦٣ هـ وفى هذه المرّة ولى أخوه البهاء السبكي
قضاء القضاة مكانه ، وولى هو وظائف أخيه فى مصر ، ومكث البهاء فى هذا
المنصب ثمانية أشهر .

وكانت محنته الأخيرة سنة ٧٦٩ هـ ويقول صاحب الدرر الكامنة : « وكان
من أقوى الأسباب فى عزله المرّة الأخيرة أن السلطان لما رسم بأخذ زكوات
التجار فى جمادى الأولى سنة ٧٦٩ هـ وجد عند الأوصياء جملة مستكثرة ، لكنها
صرفت بوصولات ليس فيها تعيين اسم القابض . فأريد من ناظر الإيتام أن
يعترف أنها وصلت للقاضى ، فامتنع ؛ قال الأمر إلى عزل القاضى . وترى من
هذا أنه وجد أوراق فيها أخذ أموال من التجار برسم الزكاة ، ولم يبين
مصارفها ، فاتهم بها القاضى ، ولم يكن هناك حجة على وصول المال إلى القاضى ،
فتحيلوا على عزله بهذا . وليس هذا هو السبب الحقيقى لهذه المحنة ، إنما هو أن

أمير على الماردني الذي كان نائب الشام ، وعمل معه التاج موقعا للدست ، ونائبا للحكم ، وقاضى القضاة كان منحرفا عنه ، ولا بد أن يكون ذلك لو شايات بلغت عنه ، أو لأن التاج خالفه في بعض هواه ، ونقم عليه بعض مالا يرضاه . وترى في تاريخ الماردني أنه كان رجلا محبا للعلماء ، سالكا الجادة ، محالفا لسنن الشرع ، ولكنه — على كل حال — حاكم يسوءه أن يخالف في بعض أمره ، وكان التاج في قضائه صارما لا يلين في الحق ولا يرهبه سلطان .

وهذا الأمير ولى في سنة ٧٦٩ نيابة مصر بعد نيابة الشام ، فأتسع سلطانه ، وقويت كلمته ، وكان أول شيء تكلم فيه واهتم له عزل تاج الدين من قضاء الشام ؛ وولى مكانه الشيخ سراج الدين البلقيني . ووجهت الخصومة إلى تاج الدين وعقد له مجلس حكم ، حكم عليه فيه ابن قاضى الجبل^(١) بأن يحبس سنة . وقد أعيد تاج الدين إلى منصبه بعد أن مكث في السجن في قلعة دمشق ثمانين يوما .

ويذكر الشعراى المتوفى سنة ٩٧٣ في حمة التاج : أن ذلك لاتهمه بالزندقة وما يتبعها . قال في « الأجوبة المرضية »^(٢) ، عن أئمة الفقهاء والصوفية : « إن أهل زمانه رموه بالكفر واستحلال شرب الخمر والزنى ، وأنه كان يلبس الغيار^(٣) ويشد الزنار^(٤) بالليل ، ويخلعهما بالنهار ، وتحزبوا عليه ، وأتوا به مقيدا مغلولاً إلى مصر ، وجاء معه خلائق من الشام يشهدون عليه . ثم تداركه اللطف على يد الشيخ جمال الدين الإسنى ، ومن عجيب الأمر أن مثل هذه التهمة جرت على قاضى القضاة ابن بلت الأعز ، وقد حكاهما التاج

(١) هو أبو العباس أحمد بن الحسن الحنبلى ، يقول فيه صاحب الدرر : « ولى القضاء سنة ٧٦٧ فلم يحمده في ولايته » توفى سنة ٧٧١ .

(٢) انظر كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ١٦ .

(٣) الغيار ما يلبسه الذمى مخالفا لونه لون ثوبه ؛ كأن يضع على ثوبه الأسود منديلا أحمر ، ومن ذلك ما فعله بعض المسيحيين في مصر من لبس عمامة سوداء . والزنار — على زنة رمان — خيط غليظ يشد في الوسط فوق الثياب .

في طبقاته . فيذكره أن ابن السَّعْمُوس وزير السلطان الأشرف كان يكره ابن بنت الأعزّ ، فكاد له ، وجهاز من شهد عليه زوراً بأمر عظام ، حتى وصل من بعضهم أن أحضر شاباً جميلاً اعترف على نفسه بين يدي السلطان بأن القاضي لا ط به ؛ وأحضر من شهد عليه بأنه يحمل الزنار في وسطه . فقال القاضي : أيها السلطان ؛ كل ما قالوه مما يمكن ؛ لكن حمل الزنار لا يعتمد عليه النصارى تعظيماً ، ولو أمكنهم تركه لتركوه ، فكيف أحمله أقال التاج ؛ وكان القاضي بريئاً من ذلك بعيداً عنه من كل وجه ، رجلاً صالحاً لا يشك فيه . وآخر الأمر أنه نزل ماشياً من القلعة إلى الحبس ، وعزل وخيف عليه أن أن يحجز الوزير من يقتله^(١) ، وقد كان خطر بالبال أن رواية الشيخ الشعرائى هذه سرت إليه من قراءته في الطبقات ، فاستقرت في ذهنه التهمة ، ولطول العهد بها توهمها للتاج السبكى ، وقد يعين على هذا الخاطر أنا لم نقف على هذا في روايات المعاصرين للتاج ، وقد علمت أن الشعرائى تأخرت وفاته عن وفاة التاج بأكثر من قرن . على أن هذا حدس وظن قد يكون الواقع خلافه ، وقد تكرّر مثل هذا الاتهام والامتحان للفضلاء ، وهو يدل على سير المتأمرين بهم على خطة متقاربة ، وسنة متشابهة ، والله حسيبهم .

ويعجبنا أن نسوق في هذا الموطن ما قاله ابن حبيب في كتابه « درة الأسلاك في تاريخ الأملاك » ، إذ يقدّم التاج السبكى فيقول : « إمام كبير ، وحاكم خبير ، ورئيس فلك مآثره أثير ، وماجد نخر علومه في الآفاق مستطير . أغصان مكارمه باسقة ، وأنهار فضائله دافقة ، ولسان عبارته فصيح تبجحت بمرافقة أرباب السياسة ، واقتخرت بمقارنة تاجه روس الرياسة ، وانشرحت بأحكامه صدور المجالس ، وتأزجت بأنفاسه أرجاء المنابر والمدارس . سمع وقرأ وكتب ، وأخذ عهد والده قدوة أهل العلم والأدب .

وأفاد المشتغلين والطلّاب ، وانتفع به كثير من الأولياء والأصحاب . درّس بالعادلية والغزالية ، والاميلية والناصرية ، ودار الحديث الأشرفية ، والشامية البرانية . وبأشر القضاء بدمشق أربع مرّات ، ونال بخطابة الجامع الأموي أنواعاً من المسرّات ، وله مصنّفات جمة الفوائد ، منتظمة العقود والفوائد .

مؤنة التاج ببعض مزاياه :

بلغ التاج من المنزلة العلية المسكنة العلية ، وقد وسم بالاجتهاد في الفقه ، وينقل السيوطي أن التاج كتب إلى نائب الشام أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق وهو مقبول فيما قال عن نفسه ، ولم يجرؤ أحد أن يردّ عليه هذه الدعوى . ويرى القاريء لكتاب « معيد النعم » في التاج مزية جليلة : ذلك أنه شافعي ضليع من أركان هذا المذهب ، والذابين عنه ، والمتشددين في تأييده ، ومع هذا ينحى على الفقهاء تعصمهم لمذاهبهم الفرعية ، ويدعوهم إلى ترك الشقاق فيها وأن يكونوا يداً واحدة في إنكار المجمع عليه من المنكرات ، وهو يدعو إلى الأخذ من المذاهب لما فيه المصلحة ، وذلك من سعة أفقه وسداد رأيه وصحة نظره : ففي صفحة ٧٤ ينكر على من تأخذه الحية من الفقهاء والعصية لمذهبه ، بحيث يمنع من الصلاة وراء من خالف مذهبه ؛ وتراه في صفحة ٢٣ حين يتكلم على قطاع الطريق وذوى الفتن والثورات كالبدو الذين اعتادوا السلب والنهب يقول : « وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم ، والمبالغة في عقوبتهم على جرائمهم ، وطول مكثهم في السجن فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهي » . ويريد ببعض المذاهب مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وانظر في حكم التعزير عنده ص ١٠٢ .

(ب) آثار التاج السبكي

ترك التاج السبكي آثاراً نافعة ، وقد رزق السعادة في تأليفه ، فانتشرت وانتفع بها الناس ، وسنتكلم على بعضها :

١ - فن آثاره جمع الجوامع في أصول الفقه ، وقد ختم ببذلة في أصول الدين . وهو كتاب حافل جمع فيه زهاء مائة كتاب في الأصول ، وخدمه العلماء بالشروح والحواشي ، وكان يدرس إلى عهد قريب في الأزهر . فرغ منه مؤلفه في سنة ٧٦٠ هـ وهو قاضي القضاة بدمشق . ونرى في ختام نسخة جمع الجوامع المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٠ (أصول الفقه) ما يأتي : « قال مصنفه - أسبغ الله ظلاله - : فرغت من تصديفه أخريات ليلة حادى عشر ذى الحجة الحرام ، سنة ستين وسبعمائة ، بمنزلى بالدهشة من النيرب ، بظاهر دمشق ، حماها الله ، ونقل صاحب البيت السبكي خاتمة لجمع الجوامع يقول فيها المؤلف : إنه فرغ منه بمنزله بالدهشة من أرض العزة - وكتبت المرة - ويعتمد الأستاذ هذه الخاتمة ، ولا يرضى بما قاله برُكلان : إن بيته كان في النيرب - وكتب نيراب - ويقول الأستاذ : « ولا أدري من أين جاء برُكلان بهذا ؟ » وقد علمت مآلى كلام برُكلان . وبعد فلا تنافى بين الخاتمتين ، فقد كان منزله بالدهشة ، وهي تارة تدسب إلى الميزة ، وتارة إلى النيرب ، لمساسها بكلتا الخطتين ، وقد وقع للمؤلف أن ذكر ختام كتابه في نسختين كتبهما أو كتبنا له ، والمنزل واحد ، فهو في الدهشة على كلتا النسختين .

٢ - تكملة شرح منهاج القاضى البيضاوى في الأصول . وذلك أن والده التقي السبكي بدأ هذا الشرح وعمل منه قطعة صغيرة ، ثم أتمه التاج . ويبدو أن التاج عمل التكملة في حياة والده ؛ فهو يقول في ص ١٤٣ ج ١ :

« وقد وضع والدى — أطال الله بقاءه — في هذا الفصل أرجوزة حسنة ، وقد طبع هذا الكتاب في مصر .

٣ — شرح مختصر ابن الحاجب ، في الأصول . وسماه : رفع الحاجب ، عن مختصر ابن الحاجب .

(لم يطبع)

(. .)

٤ — الترشيع ، في اختيارات والده في الفقه .

(. .)

٥ — التوشيع على التنبيه .

(. .)

٦ — الأشباه والنظائر الفقهية .

(. .)

٧ — طبقات الشافعية الصغرى .

(. .)

٨ — طبقات الشافعية الوسطى .

٩ — طبقات الشافعية الكبرى . طبع في ستة مجلدات .

وسندكر هنا كلمة في طبقات الشافعية . فقد عني التاج السبكي أن يؤلف تأليفاً يجمع الشافعيين ، وتوارىخ حياتهم ، وآثارهم . وقد ساعده على ذلك ما وهب له من سعة الاطلاع والزكاة ، والتحقيق والإحاطة بشتى الفنون . ويبدو أن المؤلف بنى عمله على البسط والتوسّع ، وأن يذكر كل ما يعرف عن المترجم له ، وهذه خطة الطبقات الكبرى . وعرض له في أثناء اشتغاله بالطبقات الكبرى أن يكتب بجانبها الطبقات الوسطى ، والطبقات الصغرى . ولا مِرية أن لكل ضرب طلابه والمستفيدين منه ، فاشتغاله بالطبقات الكبرى سبق اشتغاله بالصغرى والوسطى . ونحن نعتد في هذا الحكم على كلام المؤلف في الطبقات الوسطى ، والصغرى . يقول في الطبقات الوسطى^(١) : « وبعد فقد ألفنا كتاباً فيه ، مبسوطاً حافلاً حاوياً لما يراد منه . وذلك لأننا نستوعب ترجمة الرجل على الوجه الملائم وإذا كان غلب عليه الفقه ، وقلت الرواية عنه أعملنا جهدنا في تخريج حديثه . وربما ذكرنا في بعض التراجم حادثة عظمت فشرحنها .

(١) انظر كشف الظنون في الكلام على طبقات الشافعية .

ولم يخل الكتاب مع ذلك عن حكايات وأشعار ومُلح ونوادر . وكان أعظم مقاصدنا فيه أن نذكر في ترجمة كل رجل ما بلغنا عنه : من مقالة غريبة ذهب إليها ، أو وجه ضعيف عزى إليه ، أو مسألة مستغربة ذكرها في كتاب ، أو ذكرت عنه ، ولا مرأه أن هذا وصف للطبقات الكبرى . ونراه في خطبة الطبقات الصغرى يقول : « هذا مختصر لطيف في تاريخ الفقهاء الشافعيين ، أصحاب الإمام محمد بن إدريس الشافعي » ، رضى الله عنه ، جمعنا فيه ما أوردناه في كتابنا الكبير من الأسماء . واقتصرنا فيه على نبذ يسيرة . أعان الله على إكماله ، بمثته وكرمه وإفضاله . . .

وهذا رأى الذى رأيناه فى تاريخ الطبقات للتاج لا يرضى صاحب البيت السبكى ، فيقول فى الحديث عن الطبقات الكبرى : « وذهب بعضهم ، كما ذهب واضعوه فهارس دار الكتب المصرية إلى أن المؤلف اختصرها فى الطبقات الوسطى ، ثم اختصر هذه فى الطبقات الصغرى ، وهذا وهم ؛ فالثابت أن الطبقات الوسطى ألقت قبل الكبرى ، لأننا نجد فى جزء من الوسطى مخطوط : قال المؤلف رحمه الله عليه : فرغت منه فى ليلة الثالث والعشرين من ذى القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، بدمشق المحروسة ، عمرها الله تعالى اه والطبقات الكبرى إنما فرغ من تأليفها سنة ٧٦٦ هـ كما جاء فى ذيل كثير من الأجزاء ، وكما ترى فى إحدى القطع الثلاث فى صدر هذا البحث ، التى يقال : إنها بخط تاج الدين ؛ وثابت أن الطبقات الوسطى ألقت وأبو المؤلف من الأحياء ؛ ففى الطبقات الكبرى أن على بن عبد الكافى كتب بخطه على ترجمته فى الطبقات الوسطى عبارة اختتمها بقوله : كنه على السبكى فى يوم السبت من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . لكن الطبقات الكبرى ألقت بعد والده المؤلف ، فى غير موضع منها يذكر المؤلف والده ويترحم عليه ، فلا نزاع إذن فى أن الوسطى ألقت قبل الكبرى ، وقد علمت أن الذى

يؤخذ من كلام السبكي نفسه أنه ابتداء بالطبقات الكبرى ، وكتب بجانبها الوسطى والصغرى ؛ ونقول هنا : إنه لم يتم الكبرى إلا بعد وفاة والده ، فمن ثم اختصها بترجمة والده ، وفي قراءة هذه الطبقات للمرة الأخيرة كان يترجم على والده حين يعرض له .

هذا ، وقد أسلفنا أن كتاب الطبقات الكبرى قد طبع ، ونقول الآن : إن في النسخة المطبوعة تحريفاً كثيراً ، والكتاب يحتاج إلى جهد لإخراجه في صورته الصحيحة . ونسوق من أمثلة سقم إخراج هذا الكتاب الكلام على برهان الدين السنجاري جد المؤلف من قبل الأمام ويقول صاحب البيت السبكي ، في هذه الترجمة الواردة في الطبقات في ص ٥٥ ج ٥ ، وعبارة الطبقات في ترجمة السنجاري — على قصرها — مصحفة على ما يظهر ، تصحيفاً لا يعين على معرفة شيء عن جده هذا ، سوى أن أُم ناج الدين من بيت علم ، وبما ورد في هذه الترجمة أن صاحبها كانت وفاته سنة ٦١٨ هـ على حين أن برهان الدين السنجاري خلف بهاء الدين بن حنّاء في وزارة مصر سنة ٦٧٧ هـ فكيف تكون وفاته في السنة السالفة !

وقد ظهر أنه ألحق في الطبع بترجمة السنجاري ترجمة أخرى أدخلت في الأولى ، ولا بد أنه حذف من الأولى سنة وفاة السنجاري . والترجمة الملحقه هي — كما في الطبقات الصغرى — ترجمة داود بن بندار بن إبراهيم الجيلي أبي سليمان ، وهذه الترجمة ابتدئ بها حرف الدال ، وترجمة السنجاري ختام حرف الحاء ؛ إذ هو الخضر بن حسن بن علي ، وداود هذا هو الذي كانت وفاته سنة ٦١٨ هـ ، فأما السنجاري فقد كانت وفاته — على ما في الطبقات الصغرى —

(ج) معيد النعم ، ومبيد النقم

هذا الكتاب هو الذى استبدّ بإعجاب صاحب البيت السبكي ، وحفزه على أن يكتب عن الناح وعشيرته ، وهو يذكر أن هذا الكتاب التفت إليه المستشرقون ؛ فعرض له بركلمان ويستفلك ، وتوفر على الاهتمام به المستشرق السويدي يهرمن . فلقد درس الكتاب ، ووضع له مقدمة حافلة بحياة المؤلف والبيت السبكي ، وتعليقات على الكتاب ؛ وأخرج من ذلك مع الكتاب نسخة طبعت في ليدن .

وقد بنى المؤلف كتابه على ذكر ما يحفظ على الإنسان في هذه الحياة النعمة التي أسداها الله إليه ، ويدفع عنه السوء والبأساء . ومردّ ذلك إلى أن يقوم كل امرئ بما يجب عليه ، ويؤدّي حقّ العمل الذي خصّص نفسه به ، ويراعى مارسم الشرع في أمره . وقد استنبج ذلك أن يذكر الأعمال في عصره والوظائف الديوانية وغيرها ، ويفصّل ما يطلب في كل عمل ووظيفة ، ويذكر ما يقضى به القانون الشرعي حتى يفضي العمل إلى غايته الصحيحة ، ويتكوّن مجتمع صالح في هذه الحياة .

وقد أيدّه وأعانه على هذا سعة فقهه ، وخبرته بأحوال عصره ، وشئون الدولة وطبقات الناس ؛ فقد ولى وظائف تجعله بسبب قوى من الحكام ، وسواد الناس وعامة الشعب .

وقد ذكر طبقات الناس في عصره في أمثلة عددها اثنا عشر ومائة ، وهذا على ما في معظم النسخ . وفي نسخة ليدن زيادة مثال ، وهو السادس والخمسون في القرّاء الذين يقرءون القرآن بالألحان . فبلغت الأمثلة ثلاثة عشر ومائة . وقد جرينا على هذا .

ونحبّ أن نجلو هنا في إيجاز بعض مزايا الكتاب : —

١ — فقيه حثّ على التزام الأخلاق الخيدة العملية ، والواجب في كل

وظيفة ومهنة ، وتفصيل ذلك وتعداده ، دون الاقتصار على الأخلاق العامة ؛ كاللزام الأمانة فيما يتولى المرء من عمل ، والإخلاص ، وربط هذا بالواجب الدينى ؛ كي يكون على العامل رقيب لا يغفل ، وهو ما يشعر به من قبل الدين والإيمان ؛ وهذا أفعال في النفس وأدعى إلى الاستقامة على الطريقة من طنطنة بعض أهل العصر الذين يشيدون بالأخلاق العملية المحضة ، فيقولون : إن على المرء أن يرمى حق عمله في الدنيا ، ولا عليه بعد ذلك أن يأتي مانهى عنه ، أو يخل بالواجب عليه في حق الله تعالى . وقد عرض المؤلف لهذا الزعم في ص ١٤ ، وبين أن من قصر في حق الله تعالى قصر في حق الخلق ، وأورد قول الإمام الشافعى رضى الله عنه : من ضيع حق الله تعالى فهو لما سواه أضيع .

٢ - جعل سبيله في حمل الموظف أو العامل على سلوك الجادة أن يذكره بتقارب الزمان ، وصرف الجِدَّان ، وتقلص النعمة ، ويستند ذلك إلى الحيد عن الصراط المستقيم ؛ ويضرب المثل بمن ساء عمله من الرؤساء وذوى النعمة ، فسلبهم الله ما هم فيه . وهذه طريق ناجعة ، فإن كل ذى نعمة يحرص على دوامها ، ويفزع من هول انصرامها .

٣ - يعيب بعض البدع والمساوىء في عصره ؛ كتقيل الأرض بين أيدي الملوك والأمراء ، وهو ما كان شائماً في عهده - انظر ص ٣٠ وما بعدها - .

ومن ذلك حملته على إلزام الفلاحين في الإقطاعات بالفلاحة وحده على تركهم أحراراً - ص ٢٤ - .

ومن ذلك إنكاره على اتخاذ الأمير من يحمل نعله - وهو البشمقدار - وانظر ص ٣٦ .

٤ - في الكتاب مسائل مهمة ، من الخير التبليغ عليها .
فن ذلك ما يذكره في ص ١٨ من أن على ذوى السلطان ألا يكرأ العلماء .

إلى أوقافهم ، بل يرزقونهم من بيت المال ما يتم به كفايتهم . وهذا الأصل قد أخذت به الدولة المصرية الرشيدة ، أعزها الله .

ومن ذلك أنه يوجب على كل ذى عمل أن يقوم بالواجب عليه فيه ، ويعتقد أنه مسئول عن عمله ، عليه تبعته ، وليس له أن يرعى طاعة أمير أو رئيس فيما يخالف الشرع والقانون . وهذا أصل عظيم إذا أخذ به الكافة صلح أمرهم ، وكان منهم المدنية الفاضلة حقاً . ففى ص ٢١ يقرر أن على نواب السلطنة أن يراجعوا السلطان إذا أمر بما يخالف المصلحة . وفى ص ٣٨ فى الكلام عن السقاة يذكر أنه لا يحل لساق يؤمن بالله أن يحضر لمخدومه مسكراً يشربه ، وعليه لإعمال الحيلة فى سدّ هذا الباب .

ومن المبادئ السامية فى هذا الكتاب قوله فى ص ٤٥ : إنَّ ضرب برى . أصعب عند الله من تخلية ذى جريمة .

وفى ص ٢٧ تكلم على خلط المسال الحلال والحرام . وهذا يجرى الآن فى المصارف وفى خزائن الدولة . وهو يقول : إن هذا المخلوط يصير كله حراماً ، وما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام الحلال .

وكانت الولاية فى زمنه يأمرون من يزنى بامرأة أن يتزوجها ، يظنون أن ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب . ويذكر المؤلف أن هذا خلاف دين الله تعالى ؛ فإن ولد الزنى لا يلحق بالزانى ، ولا يكون ابناً له ، ولا يرثه . وإنما جزاء الزانى إذا لم تكن المرأة مطاوعة مقرر فى الفقه . ومثل هذا قد يجرى الآن ؛ يلزم الزانى أن يتزوج من زنى بها فى بعض الحين فراراً من تبعه الزنى الجنائية . وانظر ص ٤٥ .

وفى ص ٦٦ يذكر أن فى تسعير السلع المباعة^(١) خلافاً بين الفقهاء . ولكن إذا ستر الحاكم انقادت له الرعية ، ومن خالفه استحق التعزير والنأديب .

وفى ص ١٠٢ يذكر أن عين الوقف إذا خربت وتعطلت منفعتها

(١) المروضة للبيع .

ولم يكن ما تعمّر به يجوز بيعها عند الإمام أحمد رضي الله عنه .
وفي ص ١٢٩ يذكر أن أوقات الصلوات لا تدخل تحت الإجارة .
هـ - وترى المؤلف لا يحقر العمل إذا كان غير محرم وإن احتقره الناس .
انظر قوله في ص ١٤٥ في الكلابي : « لله عليه نعمة أن يجعله خادم الكلاب
ولم يجعله عاصر نحر أو غير ذلك مما ابتلى به بعض عباده » .

• • •

يتجلى من هذا العرض الموجز للكتاب أنه مادة وافية للمؤرخ المحقق الذي
يهمه معرفة الحقائق من مصادرها والحوادث من عاصرها ؛ فقد استقصى المؤلف
الوظائف وطبقات الناس في عهده ، وألم بالمساوي . وسير العمال الإمام لخير العليم .
وهو مرجع للمصلح الاجتماعي الذي يعنيه تقويم الشعوب وتثقيف
أعوجاجهم .

وهو مدد عظيم الشأن لاساسة الشعوب الذين يرغبون في سياسة شعوبهم
سياسة رشيدة لا عنت فيها ولا حيف .
ثم هو بما اشتمل عليه عرضاً من فكاهة وأدب يعجب الأديب ويستهو به .
كل ذلك بأسلوب رائع واضح ، وبلغته العالم المتصوف الذي يصدر عن
عقيدة وإيمان ، فينفذ كلامه إلى الجنان ويلس مكان الوجدان من الإنسان .
فهو إذن كتاب سياسة وأدب ، وتاريخ واجتماع ، بلغة الكاشفين
ولسان العارفين .

تاريخ تأليف الكتاب :

لم نقف على ما يجعلنا نجزم بتاريخ تأليف هذا الكتاب ، ولكن من الثابت
أنه ألفه بعد وفاة والده سنة ٧٥٩ هـ ؛ فهو في مواضع كثيرة من الكتاب يترحم
عليه . انظر ص ٢٤ ففيها : « وهو رأى الشيخ الإمام تغمدّه الله برحمته » .
وفي ص ٦١ في الكلام على رأى والده في كتابة الصداق على الحرير

يقول : « وهذا آخر الأمرين منه ، وهذه العبارة تنبيء بوفاته . وفي ص ٥٠ يتحدث عن نائب الشام بما يُقرب أنه أمير على المارديني — كما ذكرنا في تعليقنا — وأنه كان حين ذلك في نيابته للدارة الثالثة ، وقد كان هذا سنة ٧٦٢ هـ فإن صح هذا أمكننا أن نجعل تأليف الكتاب في هذا السنة ، أي بعد تأليف كتابه « جمع الجوامع » بسنتين .

نسخ الكتاب :

طبع كتاب « معبد النعم » في مصر مرتين ، وطبع في « ليدن » وهذه الطبعات الثلاث لا تخلو من التغيير والتحريف — كما ذكرنا في مفتتح كلامنا — ولم نشأ أن تدون أمثلة لذلك ؛ فمن شاء فليرجع إلى هذه النسخ .

وقد عثرنا — بعد البحث — على ثلاث نسخ مخطوطة : إحداها في دار الكتب الأزهرية ، والاثنان الآخران في دار الكتب الملكية . وكان جل اعتمادنا على هذه النسخ الثلاث المخطوطة :

- ١ — فأما مخطوطة دار الكتب الأزهرية فرمزنا لها بالحرف (ز) .
- ٢ — وأما مخطوطة دار الكتب الملكية (رقم ١٨٢ مجاميع) فقد رمزنا لها بالحرف (د) وتمت كتابتها نهار الخميس الثامن والعشرين من صفر سنة ٩٥٣ هـ .
- ٣ — والمخطوطة الثالثة مخطوطة فاضل باشا وهي في دار الكتب الملكية أيضاً (رقم ١٧٤ مجاميع م) وقد رمزنا لها بالحرف (ف) وتمت كتابتها في الثاني عشر من رجب سنة ٨٩٠ هـ .

وأهم هذه النسخ جميعاً نسختا دار الكتب الملكية ؛ فهما أقدم النسخ التي بين أيدينا .

وقد جربنا على أن نرمز للنسخة ليدن بالحرف (ل) ، وللطبعة مصر — وهما لا تختلفان إلا في النادرة — بالحرف (ط) .

وقد أثبتنا اختلاف النسخ في ذيل الصفحات من الكتاب وعلقنا عليه بما نتمس الحاجة إليه . والله يتولى جزاء المحسنين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة شيخ الإسلام تاج الدين السبكي الشافعي تغمده الله تعالى برحمته :

أما بعد حمد الله معيد النعم ، ومبيد النقم ، بمزيد^(١) الشكر ومديد الكرم ، والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد خير العرب والعجم ، والهادي إلى أرشد طريق وأقوم أمم^(٢) وعلى آله وأصحابه وصالحى أمته خير الأمم ، فقد ورد على سؤال مضمونه : هل من طريق لمن سلب نعمة دينية أو دنيوية ، إذا سلكها عادت إليه ، وردت عليه ؟ فكان الجواب : طريقه أن يعرف : من أين أتى^(٣) فيتوب [مته^(٤)] ويعترف بما فى المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها ، ثم يتضرع إلى الله تعالى بالطريق التى ذكرها .

هذه^(٥) ثلاثة أمور هى طريقه^(٦) التى يحصل بمجموعها دواء مرضه ويعقبها زوال علته ، بعضها مرتب على بعض لا يتقدم ثالثها على ثانيها ، ولا ثانيها على أولها .

فعاد إلى السائل قائلاً : اشرح لنا هذه الأمور شرحاً مبيناً مختصراً ، وصِفْ لنا هذا الدواء وصفاً واضحاً ؛ للاستعملة .

فقلت : هذا سرّ غريب ، جمهور الخلق لا يحيطون بعلمه ، ونبأ عظيم

(١) أى بالشكر من العبد والكرم من الرب سبحانه وتعالى .

(٢) الأمم : القصد والوسط . يريد الطريق السوى الذى لا اعوجاج فيه .

(٣) أى أصيب من قولهم : أتى فلان : أشرف عليه العدو .

(٤) هذه الزيادة فى ل - وفى ط ، د (عنه) ولم تثبت فى ز ، ف .

(٥) هكذا فى ل ، ف ، د - وفى ط : (فهذه) .

(٦) هكذا فى ف ، ط - وفى د : (الطريقة) .

أكثر الناس معرضون عن فهمه : لاستيلاء الغفلة على القلوب ، واغلبة الجهل بما يجب للرب على المربوب .

وأما^(١) أبحث عن هذه الأمور في هذا المجموع الذي سميته : (معيد النعم ، ومعيد النعم) بحثاً مختصراً ، لا أرخى فيه عنان الإطناب ؛ فإنه بحر لا ساحل له ، لو ركبت فيه الصعب والذلول ، وشمرت فيه عن ساق البيان ، ونصت فيه لجح الدقائق ، لذكرت ما يعرّفهم على أكثر الخلّاتق ، ولأنهينا إلى ما لم يؤذن^(٢) لنا في إظهاره من الأسرار العلية . وإنما أذكر من ذلك ما تشترك الخاصة والعامة في فهمه ؛ وأخصّ فيه النعم الدنيوية ؛ إذ كانت محطّ غرض السائل ؛ عسى الله أن يليه بها للنعمة^(٣) الآخروية ؛ إذ هي غاية الوسائل وأنا أرجو أن من^(٤) كانت عنده نعمة الله تعالى في دينه أو دنياه وزالت ، فنظر^(٥) هذا الكتاب نظر معتقد ، وفهمه ، وعمل بما تضمنته بعد الاعتقاد ، عادت إليه تلك النعمة أو خير منها ، وزال همه بأجمعه ، وانقلب فرحاً مسروراً فن شكّ فليستعمل هذا الدواء ، لا^(٦) على قصد التجربة والافتقار^(٧) ونظر الاختبار والانتقاد ، بل بحسن الظن وجميل الاعتقاد ، فإنه عند ذلك يظفر بغاية المراد .

(١) هكذا في د ، ف ، ط . وفي ل ، ز ؛ (وإنما) .

(٢) يريد دقائق المسائل التي وقع عليها العلماء بالجهد في التفكير ، ولم يكلف الناس معرفتها ، كالبحث في أن الصفات الواجبة لله عين الذات أو غير الذات ، والبحث في الصفة النفسية والمنوية ، وما جرى هذا الجرى ، فأما ما كلف الناس معرفته من الدين فهو متاع واجب على العالم ألا يكتمه . والباطنية ومن إليهم من أهل الضلال ، هم الذين يتعون هذا النحو ليتوسلوا إلى ضلال الناس .

(٣) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ز (على النعم) .

(٤) هكذا في ل ، ف ، ز . وفي ط (لمن) وهو لا يناسب السياق .

(٥) هكذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (في هذا الكتاب) .

(٦) استعمل المؤلف في هذا الأسلوب لا دون تكرار . وعلماء العربية لا يميزون هذا ويوجبون التكرار . والمؤلف كثيراً ما يجرى على الشائع من الأساليب التي لا توافق النحو ، كما سترى .

(٧) هكذا في ف ، ل ، د . وفي ط (ووردي ، الاعتقاد) ، وكذا في نسخة على هامش ل . والافتقاد نفس . طلبه ، وذلك يفضي عدم الجزم به وعدم اليقين بأمره .

أَسْأَلُ^(١) الله أن يصرف إليه عزمة مستحقه^(٢) ويصرف عنه همة من لا يستحقه ولا يدره .

(الأمر الأول) أن تعلم من أين أتيت ، وما السبب الذي زالت به عنك النعمة ؟ فإن النعمة لا تزول عنك سدى^(٣) وإن^(٤) الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

اعلم أنها لم تزل عنك إلا لإخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها ، وهو الشكر ؛ فإن كل نعمة لا تشكر جذيرة^(٥) بالزوال . ومن كلامهم : النعمة^(٦) إذا شكرت قرت ، وإذا كُفرت فرت . وقيل : لازوال للنعمة إذا شكرت ، ولإبقاء لها إذا كُفرت . وقيل النعمة^(٧) وحشية^(٨) فاشكروها بالشكر . والأدلة على أن كفران النعم يوجب ازوالها كثيرة ، فلا نطيل [بذكرها^(٩)] .
والخلاصة أن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دالان على أن كفران النعمة^(١٠) يؤذن بزوالها ، وشكرها يقضى بمزيدها . وذكر العارفين أن الرب قطع بالمزيد مع الشكر ، ولم يستثن فيه ، واستثنى في خمسة أشياء : في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى : فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، وقال تعالى : فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ، وقال تعالى : ويرزق^(١١) من يشاء ، ويغفر لمن يشاء . وقال تعالى : ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء .

(١) هكذا في ف . وفي ط (وأسأل) . وفي ل : وأنا أسأل .

(٢) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ل (مستحقه) وهي لا تناسب السجع .

(٣) السدى : الهمل ، يقول : إبل سدى (لا راعي لها) . وهو يريد أن النعمة لا تزول عنك دون سبب منك يستوجب زوالها ، فالنعمة ليست متروكة لنفسها تزول من تلقاء نفسها ، بل عليها غاصم من أمر الله يشترط عليها ألا تفارق حتى يكفرها صاحبها .

(٤) هذا ينسب الآية (١١) من سورة الرعد ، وليست وار العطف من الآية الكريمة .

(٥) هكذا في ف ، د ، ل . وفي ط (حرية) .

(٦) هكذا في ط ، د . وفي ف : النعم .

(٧) أي كالذابة الوحشية غير المتأنسة فلا تدر إلا إذا قيدت وقوله : فاشكروها أي اربطوها ، يقال شكل الذابة (ربطها) ويسمى الخيل المشكالا .

(٨) هكذا في ط . ولم تذكر هذه الزيادة في بقية الأصول .

(٩) في ل (والله يرزق) .

وقال في الشكر من غير استثناء : ولئن شكرتم لأزيدنكم . فإن قلت : فإا الشكر ؟ قلت : قد شرحه العارفون ، ويَبَيِّنُوا حقيقته . وأنا أختصر لك القول فيه ، وآتي بما يقرب من فهمك : فأقول : الشكر يكون بالقلب واللسان والأفعال . هذه أركانه ^(١) الثلاثة : أما القلب — وهو أعظمها — فالمراد منه أن تعلم وتعتقد أن الله هو الذي منحك النعمة لا أحد سواه شاركة : فإن كل من تقدره من كبير وأمير ^(٢) ووزير وصاحب و خليل ووالد وغيرهم لا يقدر ^(٣) على فعل شيء لنفسه فضلا عن غيره ^(٤) وإن جرى على يديه خير فإله تعالى هو ^(٥) الذي أجراه على يديه : وإلا فهو لا مدخل له فيه ولا صنع . فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزير الملك أو لحاشيته مدخلا في تيسير ذلك وإيصاله فهو إشارك بالملك في النعمة ، إذ لم ير النعمة منه من كل وجه ، بل رآها منه ومن غيره فيتوزع ^(٦) فرحه عليهما ، فلا يكون موحدًا في حق ^(٧) الملك فن حق الملك أن يعاقبه على هذا الاعتقاد .

فإن قلت ما علاج هذا الداء فإنى أرى ^(٨) أناساً لى عليهم خدمة ، ولى عندهم يد ، وبينى وبينهم صداقة ، يصدر على أيديهم نفعى في دينى ودنياى ^(٩) فلا أستطيع أن ^(١٠) أدفعهم عن قلبى ؟ قلت : من الذى سخرهم لك ، وألقى في قلبهم الداعية ، ويسر ^(١١) الأسباب عليهم حتى أوصلوا النفع إليك ؟ هات قل لى . فإن قلت :

(١) كذا في ف ، ط . وفي د (هذه الثلاثة أركانه) .

(٢) في د (أو أمير) وكذا في ط .

(٣) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (يقدر) .

(٤) كذا في ط . وفي ف (فضلا عن فعل غيره) . وفي د (فضلا لغيره) .

(٥) كذا في ط . وفي ف فإله تعالى الذى أجراه على يديه . وفي د فإن الله هو الذى .

(٦) كأنه يستعمل هذا الفعل لازماً كما يستعمله الناس . وهو في اللغة متعدد ، يقال : توزعوا الشيء .

(٧) حق الملك أن يعاقبه .

(٨) في ل (أن أناساً) .

(٩) كذا في ف ، ط . وفي ل ، د (وفي دنياى) .

(١٠) كذا في ل . وفي ف ، د ، ط (أدفعهم) دون أن .

فأله الذي سخرهم وسخر الشمس والقمر كل يجري بأمره ، فأعلم أنهم مستخرون تحت قبضته .

فإن كنت تعتقد أنهم فاعلين شيئاً فهذا اعتقدت القلم والخبر والكاغد^(١) التي^(٢) كتب بها^(٣) منشورك فاعلاً ؛ ولم لا اعتقدت الموقّع فاعلاً ؟ ولم لا اعتقدت الخازن الذي يخرج لك الدراهم فاعلاً ؟ فإذا كنت تعتقد^(٤) أن كل واحد من هؤلاء مقهور من الملك مجبور ، ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة ، فافهم أن كل من وصل لك^(٥) على يديه خير من المخلوقين فهو كذلك في قبضة رب العالمين . فاشكره وحده ولا تشرك به أحداً .

واعلم أن المخلوق مضطرّ سلط الله عليه الإرادة ، وهنيج عليه الدواعي ، وألقى في قلبه أن يعطيك ، فلم يجد بعد ذلك سبيلاً إلى دفعك ؛ ولا يعطيك والحالة هذه إلا لغرض نفسه لا لغرضك . ولو لم يكن له غرض في الإعطاء لما^(٦) أعطاك . ولو لم يعتقد أن له نفعاً في نفعك لما نفعك . فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك . ويتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى يرجوها لنفسه . وما أنعم عليك إلا الذي سخره لك وألقى في قلبه ما حمله على الإحسان إليك . فإن قلت : فلم ورد الشرع بشكري إياه حيث قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أبو داود بهذا اللفظ والترمذي بلفظين : أحدهما : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » والآخر : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . وفي حديث النعمان بن بشير

(١) هو القلم والخبير يكتب فيه .

(٢) كذا في د ، ط . وفي ف (التي) وما في النص الثابت روعي فيه وصف الأشياء العدودة وما في ف روعي فيه وصف الأخير .

(٣) كذا في ف ، د . وفي ط (بها) .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ل (فإن كنت تفهم أن) وفي ط (فإذا كنت تفهم وتعتقد أن)

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (إليك) .

(٦) كذا في د ، . وفي ف (ما أعطاك) .

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله » . والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركه كفر ، الحديث في إسناده الجراح بن مليح والد وكيع تكلم فيه بعضهم ، والعمل على توثيقه وأخرج له مسلم . وفي حديث الأشعث بن قيس الكندي : « إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس » أخرج أحمد^(١) بن منيع في مسنده . قلت : ورد بذلك لكونه أجرى النعمة على يديه فيكون شكره إياه داعياً له إلى أن يزيد من فعل الخير ولك^(٢) أن تشكر الفاعل بالحقيقة الذي هو الرب تعالى وتغير ذلك من الأسباب التي لا غرض الآن في شرحها ، فعليك شكره لأجل أمر الله تعالى لا لاعتقاد أنه فاعل . بل لو شكرته بذلك الاعتقاد كنت مشركاً لا شاكراً . فاشكره واعلم أنه لا ينفع ولا يضر ، وأنه ربما تغير عليك بأيسر الأسباب ، وانقلب حبه بغضاً ، وزالت تلك الدواعي وتبدلت بضدها . وإنما المحسن الذي لا يتغير ولا يحول ولا يزول رب الأرباب . والواسطة [بين^(٣) الخلق والحق] الذي هو بنا رءوف رحيم لا تتغير حاله محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم . فلا فاعل إلا الله ولا سبب^(٤) لخير إلا نبيه المصطفى الأمين خير الخلق أجمعين محمد سيد [المرسلين^(٥)] والنبين ، عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين . فإذا استقرت هذه القاعدة عندك بحيث صرت تتأق كل ما يأتيك من الله تعالى لا من أحد من خلقه فهذا شكر عظيم للنعمة وهو أعظم أركان الشكر ، ولذلك أطلق [عليه^(٦)] كثير من المحققين أنه نفس الشكر ، حيث قالوا :

- (١) كانت وفاته سنة ٢٤٤ كما في الخلاصة .
- (٢) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ل (وذلك إلى أن تشكر) وفي ز (ولك إلى أن يشكر) .
- (٣) هذه الزيادة في د ، ل ، ز ، ط مع تفاوت يسير . وقد سقطت في ف .
- (٤) هكذا في د ، ز . وفي ف (ولا سبب الخير) وفي ل (ولا سبب بخير) وما أثبتناه أجود . وقد سقطت في ط جملة (فلا فاعل إلا الله ولا سبب لخير إلا نبيه المصطفى) .
- (٥) هذه الزيادة في ط . ولم تثبت في ف ، د .
- (٦) هذه الزيادة في د ، ط . وفي ف لم تثبت .

الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . وإنما أطلقوا عليه ذلك لكونه أعظم الأركان ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » و « الندم توبة » ونحو ذلك . أخبرنا داود بن سليمان بن داود الأباري ^(١) إذنا أخبرنا [عم أبي] ^(٢) أبو الطاهر يوسف بن عمر بن يوسف سماعا أنا ^(٣) بركات ^(٤) ابن إبراهيم الخشوعي أنا هبة ^(٥) الله بن الألفاني أنا أحمد بن عبد الواحد بن محمد ، ومحمد بن عقيل بن أحمد قالوا : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد أنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي ^(٦) السامري ثنا ^(٧) يحيى بن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن أبي ^(٨) عمرو الشيباني قال : قال موسى عليه السلام يوم الطور : يا رب إن أنا ^(٩) صليت فمن قبلك ، وإن أنا تصدقت فمن قبلك ، وإن أنا ^(١٠) بلغت رسالتك فمن قبلك ، فكيف أشكرك ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني . وفي لفظ إذا عرفت أن النعم مني فقد رضيتُ بذلك منك شكراً . وهذا حق لجميع ما تتعاطاه باختيارنا نعمة من الله تعالى علينا ؛ إذ جوارحننا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وسائر الأمور

(١) هكذا في ل ، د ، ه ، وفي ز (الأباري) وهكذا في نسخة في هامش ل . وفي ط (الأباري)

ولم يثبت شيء من هذا في ف . والصواب ما أثبت . والأباري نسبة إلى بيت الأبار وهو قرية في غولستان دمشق . ولداود هذا ترجمة في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٩٩ وكانت وفاته سنة ٧٥١ هـ .

(٢) هكذا في ف ، د . ولم يثبت في ط .

(٣) هكذا في ف . وفي د ، ل ، ز ، ط (أخبرنا) والرمز الذي (أنا) يريد به المحدثون

أخبرنا ، والصفحة أخبرنا وأبناً سواء عند المتقدمين ، وعند التأخرين أن الإبناء قد يكون بالإجازة

(٤) توفي الخشوعي سنة ٥٩٨ هـ كما في الشذرات والنجوم الزاهرة .

(٥) هو أبو محمد بن أحمد توفي سنة ٥٢٤ هـ كما في الشذرات .

(٦) هكذا بتقديم (الخرائطي) على (السامري) في ف . وفي سائر الأصول العكس . والسامري

نسبة إلى سامرا — ويقال فيها سر من رأى — وهي مدينة في شمال بغداد بناها المنصور .

مات الخرائطي سنة ٢٢٧ هـ وله ترجمة في تاريخ بغداد ص ١٢٩ ج ٢ .

(٧) هو اختصار من حدثنا .

(٨) هو إسحاق بن سرار ، راوية أهل بغداد ، لازمه الإمام أحمد بن حنبل وروى عنه .

كانت وفاته سنة ٢٠٦ هـ وانظر بقية الوفاة .

(٩) هكذا في د ، ول ، ز ، ط . وفي ف : (أنا إن) .

(١٠) سقط لفظ « أنا » في ف ، ز ، ط ، وأثبت فيما عدا هذه الثلاثة .

التي هي أسباب حركاتنا وسكناتنا من خلق الله ونعمته^(١) فنحن نشكر
بنعمته^(٢) نعمته . وإلى هذا المنزع أشار خطيب العلماء الشافعي رضي الله عنه
حيث قال : الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه
توجب^(٣) على مؤدى ماضى^(٤) شكر نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه
شكرها^(٥) ولا يبلغ الواصفون كنه عظمتها ؛ الذي هو كما وصف نفسه وفوق
ما يصفه به خلقه . انتهى [و]^(٦) أنشد محمود الوراق لنفسه :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلها ؟ وإن طالت الأيام واتصل العمر

ولم يزد العلماء في هذا الركن أكثر مما ذكرناه . وعندى أنه يتعين على ذي
النعمة أيضاً أن ينظر إليها -- وإن قلت -- بعين التعظيم ، لكونها من قبيل
الله تعالى : فإن قليله لا يقال له قليل ، وإلى نفسه بالتحقير بالإضافة إليها
معترفاً بأنه ليس أهلاً لها وأن أصله نقطة من منى^(٧) تسمى^(٨) وقد وصله^(٩) الله إليها
لا باستحقاق عليه بل بفضل منه . ولا يخفى عليك أن من وصلت إليه هدية
من ملك فاستقلها ولم يعبأ بها فإن الملك ينقم عليه^(١٠) ويشدد عقوبته ، ويأخذ
في نفسه منه ، ويمنع عنه العطاء ؛ وإن استعظمها واستحقر نفسه بالنسبة إليها

(١) هكذا في النسخ ما عدا ط ، ففيها (ونعمته) .

(٢) هكذا بهذا الترتيب في ف ، د ، وفي ط (نعمته بنعمته) .

(٣) هكذا في النسخ ما عدا د ، ل ففيهما يوجب .

(٤) هكذا (مؤدى ماضى شكر نعمه) في ف ، ط ، وفي د (مؤدى ماضى نعمه) وكذا

في ز . وكلام الشافعي هذا في صدر كتابه الرسالة

(٥) هكذا في ف ، ط ، وفي ل (شكرها بها) وكذا في ز مع سقوط كلمة (عليه) .

(٦) هذا الحرف في ط ، د ، ولم يثبت في ف .

(٧) تسمى : تصب وتراق عند الجماع . وهذا اقتباس من قوله تعالى : ألم يك نقطة من منى

يمنى الآية ٣٧ من سورة القيامة . وقرأ الجمهور (تسمى) على أنه وصف لنقطة ، وقرأ بعض

وآخرون (تسمى) على أن الجملة وصف (منى) .

(٨) هكذا في سائر النسخ ما عدا ط ، ففيها (وأوصله) .

(٩) هكذا في ف ، د ، ل ، ز ، وفي ط : (ينقم منه ذلك) .

فإن الملك يحب ذلك منه ، ويحمله هذا الأمر على إسداء نعمة أخرى . والرب تعالى لا يخفى عليه خافية . فلهما وقع في نفسك فهو مطلع عليه : فإن وقع في قلبك ^(١) استقلها فإنه يخشى عليك زوالها وانقارك إليها ، وإن وقع في نفسك ^(٢) استعظامها فأبشر بدوامها والازدياد . سمعت ^(٣) الشيخ الإمام رحمه الله يقول : أعطيتُ بعض الناس عطاء فاستقله فعلمت أن الله يسلبه إياه ويحوجه إليه . فإن قلت : ما علاج هذا الداء ؟ فإن كثيراً من الناس يعطون ما يروونه قليلاً بالنسبة إليهم ؟ قلت : علاجه أن ينظر إلى نفسه ويرى هل يستحق على الله شيئاً ! وما أصله ؟ وكيف وصل إلى ما وصل ؟ فما من أحد يعتبر حاله من أول منشئه إلى إيصال النعمة التي هو فيها مفكر ولها مستقل إلا ويجدها نعمة [ليست في حسابه ^(٤)] وكثيرة عليه . فهذا دواء من أدوية ^(٥) هذا المرض . ودواء آخر وهو أن تأخذ النعمة من الله تعالى وتعلم أن العظيم إذا أسدى إلى عبده الحقيق معروفاً وإن قل فقد ذكره . وما حقر من ذكرك ، وما ذكرك الكريم إلا وفي نيته أن يجبرك . فتلق ما يأتي منه بالبشرى ، واحذر الأخرى . وإن كان ما أسداه إليك قليلاً عليك فهو بالنسبة إلى أنه من عطائه كثير عليك ، وبالنسبة إلى أنه طريق إلى عطاء آخر أكثر منه إذا شكرته كثير أيضاً . وإنما يجيئك الاستقلال من نظرك إلى النعمة دون المنعم . ونحن نضرب لك مثلاً فنقول : الملك إذا عزم على السفر وأنعم على بعض حاشيته بفرس ، ففرحه بالفرس يُفرّض على وجوه : أعلاها

(١) هكذا في ف ، وفي ط (بقلبك) .

(٢) هكذا في الشيخ ما عدا ط ، وفيها (قلبك) .

(٣) هكذا في ف ، د ، وفي ما (وقد سمعت) .

(٤) هكذا في ف ، وفي ط ، د (لم تكن في حسابه) .

(٥) هكذا في ل ، وهو الصواب . وفي بقية الأصول (أدواء) وهو خطأ فإن أدواء جمع داء ، كما لا يخفى .

أن يفرح بها لأنها طريق إلى خروجه في خدمة الملك ونزوله بقربه ، وحلوله منه بالمنزلة الدانية ، وصيرورته من الخاصة بعد أن كان من العامة . فهذا فرحه بالفرس لأنها طريق^(١) إلى مشاهدة الملك ومنادمته ، لا لأنها فرس . ودون هذا أن يفرح بالفرس لا لكونها فرساً ، ولكن لما يدل عليه من عناية الملك به ، وذكره له وشفقته عليه . فهذا يفرح بها لا لكونها فرساً بل لأمور آخر^(٢) تترتب عليها . وأخصها وأحقها أن يفرح بها لكونها فرساً يركبها . فهذا إنما فرح بالفرس ولم ينظر إلى المعطى ؛ ولا فرق عنده بين أن يكون الملك هو الذى أعطاه ، أو أن يجده الفرس في الصحراء . وثم وجه رابع : وهو أن يفرح بها لمجموع^(٣) هذه الأمور : فيفرح بها لأنها توصل إلى منادمته الملك ، ولأنها تؤذن بغيرها ، ولأنها تنفعه . فهذا أيضاً لا بأس به ، ولكنه دون المقام الأول ؛ لأن الأول لا غرض له إلا الملك وحده ، ولكن ذلك مقام عال يرتفع^(٤) عن هم أكثر أهل^(٥) الدنيا الذين وضعنا لهم هذا الكتاب فلذلك لا نطلب في شرحه ، وإنما نقتصر على إفهام الأكثر ؛ حتى إذا حصلوا على ما نودعوه في هذا الكتاب ترقوا منه^(٦) إلى النظر في المقام الأعلى فباب الرحمة مفتوح ، والرب منادٍ فأين المشقرون !

وأما اللسان فالمراد منه حمد الله تعالى عليها^(٧) والتحدث بها بقوله^(٨) تعالى . وأما بنعمة ربك فحدث ، فيتحدث^(٩) بها لا لرياء وسمعة وخيلاء ، بل للثناء على .

(١) في ل (أخرى) .

(٢) كذا في ل . وفي بقية الأصول (مجموع) .

(٣) حكنا في ف ، د ، ل ، ز ، و في ط (يرتفع) .

(٤) حكنا في د ، ف ، ز ، ط ، و في ل (عن هم أكثر الناس الذين) .

(٥) حكنا في د ، ط ، و في ف يحذف منه .

(٦) حكنا في ف ، ل ، ز ، و سقطت لفظة (عليها) من د ، ط .

(٧) كذا ، والباء للذبح ، أى يذبح قوله تعالى . وفي ل : (لقوله) .

(٨) حكنا في ل ، ز ، د ، و في ط (فتحدث) ولم تنقط في ف .

الرب تبارك وتعالى . كان^(١) جماعة من السلف^(٢) يجلسون فينظرون^(٣) حديث نعيمهم حتى ينتهي مجلسهم وهم على ذلك . وذكر الأستاذ أبو القاسم^(٤) القشيري أن بعضهم قال : رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن ، فسأله عن حاله فقال : إني كنت في ابتداء عمري^(٥) أهوى ابنة عم لي ، وهي كذلك كانت تهواني فاتفق أنهما تزوجت مني ؛ فليلة زفافها قلنا^(٦) : تعالى حتى نحى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا . فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحد منا إلى صاحبه . فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك . فبذل سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة . أليس كذلك يا فلاة ؟ فقالت العجوز : كما يقول الشيخ . فهذا الشيخ تحدث^(٧) بنعمة الله تعالى عليه الذي ألهمه لهذا الشكر العظيم . وذلك أيضا من الشكر . وروى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم . فقال عمر : الكبير^(٨) الكبير . فقال : يا أمير المؤمنين : لو كان الأمر بالسب لكان في المسلمين من هو أسن منك . فقال : تكلم . فقال : لسنا وفد الرغبة ، ولا وفد الرهبة ؛ أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة فقد آمنتنا منها عدلك . وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان . والأخبار في هذا كثيرة ، وليس استيعابها من غرض كتابنا .

(١) هكذا في كل النسخ ما عدا ط . ففيها (يقال كان جماعة) .

(٢) في ط فقط : زيادة (رحمه الله) .

(٣) أي يتحدث كل بما عنده من النعم ، من مطارحة الأشعار ، وهو أن يلقي كل ما يحفظه من الشعر .

(٤) هو الإمام الجليل عبد الكريم بن هوازن ، ممن جمع بين الصريفة والحقيقة . له الرسالة في رجال الطريقة ، وهي من أجود كتب التصوف . وكانت وفاته في تيسابور سنة ٢٦٥ . انظر ترجمته في ابن خلكان .

(٥) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (أرى) .

(٦) كذا في ف ، و ، د . والناسب (قلت) إلا أن يكون جرى على أسلوب تعظيم النفس . أو أنها لا وافقته كأنها قالت ذلك أيضا فنسب القول ليهما .

(٧) كذا في ف ، ل ، ز . وفي ط (يتحدث) وفي د من غير نقط .

(٨) الكبير الأكبر . والكبير منصوب أي قدموا الكبير .

واعلم أن هذين الأمرين أغنى الشكر بالحنان وباللسان يشملان كل نعمة .
ونسبة النعم^(١) إليهما على حد سواء . وأما الأفعال فالمراد منها امتثال أوامر
المنعم واجتناب نواهيه . وهذا يخص كل نعمة بما يليق بها . فلكل نعمة شكر
يخصها . والضابط أن تستعمل^(٢) نعم الله تعالى في طاعته وتوق^(٣) من الاستعانة
بها على معصيته . فليس من شكر النعمة أن تهملها^(٤) وتشكر^(٥) على وجه غير
الوجه الذي عليه بُليت . فمن عدل عنها إلى نوع آخر من الشكر فقد قصر ،
وترك الأهم . وإنما الرشيد من جمع بين الأمرين . فإن كان لا بد من التفرقة
فالأنسب استعمال كل نعمة فيما خلقت له ، وهذا يتضح بأمثلة :

المثال الأول

من شكر نعمة العينين أن تستر^(٦) كل عيب تراه^(٧) لمسلم وتغضهما^(٨) عن كل
قبيح إلى غير ذلك من أحكام النظر . فإن أنت أخذت تصلي كل^(٩) ليلة ركعتين
على شكر نعمة العينين ؛ وأنت مع ذلك تستعملهما في النظر إلى المحرم ،
فلمست بشاكر هذه النعمة حق شكرها .

المثال الثاني

من شكر نعمة الأذنين ألا تسمع حراماً ، وأن تستر كل عيب تسمعه .
فإن أنت تصدقت بدرهمين شكراً لله تعالى على نعمة الأذنين وهتكت
كل قبيح سمعته^(١٠) وأصغيت إلى كل حرام وغميته^(١١) فلست من الشاكرين .

(١) مكذا في د ، ط . وفي ف (النعمة)

(٢) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز بالياء فيها .

(٣) كذا في د . وفي ط بالياء فيها وأما ف فقد تركت اللفظ فيها .

(٤) كذا ، والأوفق بالمعنى (أو) .

(٥) كذا في د ، ل ، ز . وفي ط بالياء في الثلاث . وفي ف من غير نقط .

(٦) كذا في ف . وفي د ، ط (كل ليلة تصلي) .

(٧) كذا في د ، ل ، ز . وفي ف (تسمعه) .

(٨) كذا في د . وفي ف : (وغيبه) .

المثال الثالث

وهو يشمل الخليفة فمن دونه من السلطان ونوابه والقضاة وسائر أرباب الأمور . وسنخصص لكل فرد منهم مثالا .

إذا ولّاك الله تعالى أمراً على الخلق فعليك البحث عن الرعية ، والعدل بينهم في القضية ، والحكم فيهم بالسوية ، وبجانبة الهوى والميل ، وعدم سماع بعضهم في بعض ، إلا أن يأتي بحجة مبيّنة^(١) وعدم الركون إلى الأسبق . فإن وجدت نفسك تصغي إلى الأسبق وتميل إلى صدقه ؛ فاعلم أنك ظالم للخلق ، وأن قلبك إلى الآن متقلب^(٢) مع الأغراض يُميله الهوى كيف شاء . وإن وجدت الأسبق والآخر سواء إلا من جاء بحق فانت أنت . وقد اعتبرت كثيراً من الأتراك [فوجدتهم^(٣)] يميلون إلى أول شك . وما ذاك إلا للغفلة المستولية على قلوبهم ، التي صيرت^(٤) قلوبهم كالأرض الترابية التي لم تروَ بالماء فإذا أناها ماء رويت : سواء أكان ذلك الماء صافياً أم كدراً^(٥) زُلالاً^(٦) بارداً أم كدراً حاراً . ثم إذا رويت ، وجاء ماء آخر صاف حسن لم تشربه ، وصار ماءً^(٧) عليها . فهذه هي القلوب الغافلة عن الحق نسأل^(٨) الله السلامة . فعليك شكر^(٩) نعمة الولاية بما ذكرناه^(١٠) وأن تعرف أنك أنت والرعية سواء

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (بيّنة) .

(٢) كذا في د . وفي ف ، ل ، ز . (متقلب) . وفي ط (يتقلب) .

(٣) زيادة يختصمها السابق .

(٤) كذا في د . ط . وفي ز ، ل (إلى أن) ولم تثبت هذه الزيادة (التي صيرت قلوبهم) في ف .

(٥) كذا في ل . ز ، د . وفي ف ، ط . أو .

(٦) أي سلباً سهل المرور في الخلق .

(٧) وصف من قولهم : ماء القي : جرى على وجه الأرض .

(٨) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (فنسأل) .

(٩) كذا في كل النسخ ما عدا ز ففيها (بشكر) .

(١٠) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (ذكرنا) بدون ماء .

لم تتميز عنهم بنفسك ، بل بفعل الله تعالى الذي لو شاء لأعطاهم ومنعك . فإذا ^(١) كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم فما ينبغي أن تتعبد وتستعين بنعمته على معصيته وأذاهم ، بل لا أقل من أن تتجنب أذاهم وتكف عنهم شرك ونجائب الهوى والميل والغرض . فنعمة الولاية لا تطلب منك غير ذلك . ولو أنك تركت الناس هملًا يأكل بعضهم بعضا وجلست في دارك تصلي وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئًا على ربك . فليكنك ^(٢) لم يطلب منك أن تهجد بالليل ولا أن تصوم الدهر وإنما يطلب منك ما ذكرناه . فإن ضمنت إليه أعمالا أخر صالحة كان ذلك نورًا على نور ، وإلا ^(٣) فهذا هو شكر نعمة الولاية التي بها تدوم . ولعلك تقول : فإن قتُ بحقوق الرعية مع التقصير في حق الله تعالى هل ^(٤) أنا محمود ؟ فاعلم أنك محمود من تلك الجهة ، مذموم من هذه الجهة ، وتيقظ لأمر عظيم تنبهك ^(٥) عليه . وهو ^(٦) أن من هذا شأنه يخشى عليه إن هر زاد من التقصير في جانب الله تعالى أن يُظلم قلبه ظلماً يورث الطغيان ^(٧) على قلبه ، ويلبث عنه التقصير في تلك الجهة الأخرى ، فيصير مذموماً في الجهتين . فلا يخطر لك أنه يمكن اجتماع التقصير في حق الله تعالى من كل وجه ، والقيام بحق العباد من كل وجه ، بل هذا مستحيل عادة ؛ فقد جرت عادة الله سبحانه وتعالى بأن من أهمل جانبه من كل وجه سَاطَ عليه الشيطان فاستولاه ^(٨) واستزله وصييره

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ما فيها لم تذكر (فإذا كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم)

(٢) في نسخة في هامش ل (فربك) .

(٣) أي وإلا تضم أعمالاً أخر واقتصرت على ما ذكرناه فهذا هو شكر النعمة الخ .

(٤) كذا ، والصواب في العربية (فهل) .

(٥) كذا في ف ، ل ، ز ، وفي د ط (تنبهك) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط فيها (واعلم أن) .

(٧) الطغيان على الشيء : الختم عليه حتى لا ينفذ شيء إلى يافته ، وطغى الله على القلب مجاز عن

ألا يصل إلى القلب شيء من الهدى ونور الإيمان . ويصح أن يقرأ : الطغيان بالتحريك وهو الصدأ أو الدنس .

(٨) كذا ، وكان الأصل : فاستولى عليه . وقد يريد : فاستولاه أي اتخذها ولياً ، كما يقال :

نولاه ، وإن لم تر هذه الصيغة في النسخ .

يضيع جانب العباد أيضاً . ومن رشيق عبارات " الشافعي رضي الله تعالى عنه : وقد ذكر أن الرشد صلاح الدين والمال معا : من ضيع حق الله تعالى فهو لما سواه أضيع . فعليك أن تتعهد نفسك بالعبادة ومراقبة الحق . وليس مقصدنا الآن البحث عن هذا : إنما الذي عقدنا له الفصل أن ذا النعمة يجب عليه اعتقاد أنها من الله تعالى ، وحمد الله عليها والوفاء بحقوقها . وقد جمع الشاعر هذه الأمور في قوله :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

والشاعر وإن لم يقل : إن هذا شكر فقد جمع أصنافه . وقد بينا لك أن مجموعها الشكر . ومن كلامهم : الشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، وتناء اللسان ، والمكافأة بالفعل . والتعبير بالمكافأة عندي غير سديد : فإن أحداً لا يقدر على مكافأة المنعم بالحقيقة . وإنما ^(١) المعنى به استعمال الجوارح بقدر الاستطاعة في التكليف حسبها شرحناه .

المثال الرابع

إذا كنت مقبول الكلمة عند ولي الأمر ^(٢) فالمطلوب منك أن تنصحه ، وتنبه إليه ما يصح ^(٣) ويثبت عندك من حال الرعايا ، وتساعد عنده على الحق بما تصل إليه قدرتك . ولا يكن حظك منه الاقتصار على حطام تجمعه لنفسك أو دنيا تضمنها إليك ؛ فإن ذلك سبب زواله عنك بل المقتضى لدوام ما عندك منه ما ذكرناه من النصيحة والمساعدة في الحق ؛ لتدوم لك نعمته التي هي سبب نعمتك ، ومودته التي بها وصلت إلى ما وصلت ، ولتدوم لك منه ما أسداه

(١) كذا في كل النسخ ما عدل . ففيها (عبارة الإمام الشافعي) .

(٢) كذا في ف . وفي باقي النسخ (ولكن) .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط (أمر) .

(٤) كذا في د . وفي ط (يوضح) ونسخة ف (تحمل الصيغتين) .

إليك . وما أحق من كانت له كلمة نافذة عند ولي أمر فوجد مظلوما يستغيث فقام يصلي شكراً لله تعالى على أن جعله ذا كلمة نافذة عند ولي الأمر ، وترك المظلوم يتخبطه "الظلم ولا يجد منجداً ، وهو قادر على إنجاده . فذاك الذي صلاته وبال عليه ؛ كما قال الفقهاء فيمن كان يصلي فربّه غريق تتلاطمه أمواج البحر ، وهو قادر على إنقاذه ، فإنه يجب عليه قطع الصلاة وإنقاذه . وذاك وهذا سَيِّان .

واعلم أن هذين المثالين أعنى الثالث والرابع يشملان كل ولي أمر ، وكل مقبول الكلمة عند ولي أمر : صغير أو كبير . ونحن نرى أن تخصّ غالب الناس بأمثلة تستوعب "معظم الوظائف التي استغرت عليها قواعد المسلمين في هذا الزمان ، ونذكر بما "يطالب به صاحب تلك الوظائف يوم القيامة ، ويخشى عليه في الدنيا والدين سوء العاقبة بسبب التفريط فيه ، ما يكون موقظاً له من سنة الغفلة ومرشداً إن شاء الله تعالى ، لعل الله ينفع به أقواماً .

المثال الخامس

السلطان أعنى الإمام "الأعظم . وقد أكثر الفقهاء في باب الإمامة ، وأفرد كثيرون منهم الأحكام السلطانية بالتصنيف . ونحن نفيه على مهمات أهلها الملوك أو قصرنا فيها . فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود ، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ؛ فإن الله تعالى لم يولّه على المسلمين ؛ ليكون

(١) هو من قولهم : تخبط فلانا : مسه بأذى .

(٢) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د (تستوعب معظم) وفي ط (تستوعب بها معظم) .

(٣) كذا في ف ، ط ، د . وفي ل (ما يطالب) وما أثبتنا أجود .

(٤) كأنه يريد بالإمام الأعظم من يستقل بالأمر والتدبير ولا رئيس فوقه يرجع إليه . وقد كان في أيامه سلطان الممالك هو صاحب الأمر ، فكان هو الإمام الأعظم ، ولم يكن من يتسمى بالخليفة شأن معه . والإمام الأعظم هو في العادة الخليفة ، ولكن الأمر لم يستقر على هذا ، وتبدل الحال .

رئيساً آكلاً شارباً مستريحاً . بل لينصر الدين ويُعلي الكلمة . فمن حقه ألا بدع الكفار يكفرون أنعم الله ولا يؤمنون بالله ولا برسوله . فإذا رأينا ملكاً تقاعد عن هذا الأمر ، وأخذ يظلم المسلمين ، وبأكل أموالهم بغير حق ، ثم سلبه الله نعمته وجاء يعتب^(١) الزمان ، ويشكر الدهر ، أفليس هو الظالم ، وقد كان يمكنه بدل أخذ أموال المسلمين وظلمهم أن يقيم جماعة في البحر يتلصصون^(٢) أهل^(٣) الحرب ؛ فإن كان هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في أعداء الله الكفار ، ويجاهدهم ويتلصصهم ، ويعمل الحيلة في أخذ أموالهم حلاً وبلاً^(٤) ويدع عنه أذية المسلمين .

ومن وظائفه أن ينظر في الإقطاعات ، ويضعها مواضعها ، ويستخدم من ينفع المسلمين ، ويحمي حوزة الدين ، ويكف أيدي المعتدين . فإن فرّق الإقطاعات على عمالك اصطفاه وزينها بأنواع الملابس ، والزراكن المحرمة ، واقتخر بركوبها بين يديه ، وترك الذين ينفعون الإسلام جياعاً في بيوتهم ، ثم سلبه الله النعمة ، وأخذ يبكي ويقول^(٥) : ما بال نعمتي زالت ، وأبأى قصرت ؛ فيقال له : يا أحمق ، أما علمت السبب ؛ أو لست الجاني على نفسك ؛ ومن وظائفه الفكرة في العلماء والفقراء وسائر المستحقين ، وتنزيلهم منازلهم ، وكفائتهم من بيت المال الذي هو في يده أمانة عنده ، ليس هو فيه إلا كواحد منهم ؛ ولدلوه نسبة دلاء المسلمين ، فإن ترك العلماء والفقراء جياعاً في بيوتهم ، يبيتون ومنهم من يطأوي الليلة والليلتين هو وعياله ، وأخذ

(١) كذا في م . وفي ف . د (ثب الزمان) والمعروف أن يقال : يعتب على الزمان .

(٢) يريد : يسرقون . ولم تق على هذه الصيغة . وفي التصحيح : لمن العي . بلغة لصا — من باب قتل — سرقة .

(٣) كذا في ف . د . ل . وفي م (يتلصصون على أهل) .

(٤) كذا في د . م . ل . وفي ف (وبلا) وكلا اللفظين صحيح . يقال : حل وبلا : أي حلل .

مباح . وبلا يكون معناه الحلال ومعناه الحرام . وهو هنا معناه الحلال .

(٥) كذا في ل . م . وفي غيرها (يقول) .

يمن^(١) بعظيم ملكه ومحاسن سماطه^(٢) وزينته ولباسه ولباس حاشيته ، فذلك أحق جهول . وإن ضم إلى هذا أنه استكثر على الفقهاء ما بأيديهم ، وتعرض لأوقاف وقفها أهل الخير عن تقدمه عليهم ، فهو بلاء على بلاء . فإن من حقه أن ينظر في مصالحهم وأوقافهم ، وألا يكلمهم إليها . بل يرزقهم من بيت المال ما تم به الكفاية . فإذا تعرض لها فقد خرق حجاب الهيبة . فإن ضم إلى ذلك أنه يبيعها^(٣) بالبرطيل^(٤) ، ويضعها في غير مستحقها فما يكون جزاؤه ؟

ومن وظائفه بيت مال المسلمين . وقد قدر الشارع المصارف فيه ، وجعل لكل مال^(٥) أقواما وقدرأ . فإن تعدى هذا كله ، وصرفه في شهواته ولذاته ، وحسب أن الملك عبارة عن ذلك ، فلا يلوم^(٦) إلا نفسه . وإذا جاء سهم رباي لا يستوحش ؛ فإن^(٧) أخذ يصرف الأموال على خواصه ومن يريده استمالة قلوبهم إليه لبقاء ملكه^(٨) ، لا لإعزاز الدين ، وأعجبه مدائح الشعراء لكرمه ، فذلك خرق^(٩) وقد امتلأت التواريخ من^(١٠) كان يهب الألوف للشعراء ، والألوف للهايك ، والألوف للمغاني^(١١) وكل ذلك وبال على صاحبه

(١) كذا في ف ، د ، ط ، و في ل (يجب لعظيم) . وفي ز (بيت تعظيم) .

(٢) هو ، يمد عليه القناع .

(٣) كذا في ل . ز ، و في ف ، د : (سنها) غير معجمة . وفي ط : (يبيعها) .

(٤) هو الرشوة . والبرطيل في الأصل : حجر طويل . وقد قيل : إن رجلا وعد آخر أن يعطيه حجرا إذا هو قضى حاجة له ، فشاخ البرطيل — وهو الحجر — لما يستعمل به قضاء الحاجات من العروض والأموال . وانظر شفاء الغليل .

(٥) كذا في د ، ط . وفي ف (وجعل لكل أقوام مالا وقبرا) .

(٦) كذا في ف ، د ، ط ، و في ز ، ل (فلا يلوم) .

(٧) كذا في ف . وفي د ، ط (وإن) .

(٨) كذا في النسخ ما عدا ط ف فيها (لبقاء ذكره وملكه) .

(٩) أي حق .

(١٠) كذا في النسخ ما عدا د فيبدو أن فيها (بمن) . وما في د أظهر ، وإن كان الاستعمال

الآخر صحيحا .

(١١) هو جمع مني بمعنى الغناء ، ولم تقف على هذا في اللغة ، إنما التقى في الشعر . وقد يمد به جمع من على طرح زيادة التضعيف ، وإن كان بعيدا في القياس .

فقد كان بيت المال في زمن^(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضعاف ما هو اليوم بما لا يحصى كثرة ، وفتح الله عليه من الفتوحات ما أمره مشهور ، وجاءه مع ذلك أعرابي يستمنحه فقال :

يا عمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنةَ اكسُ بُذيتاني وأمتنه
وكن لنا من الزمانِ جُنةً^(٢) أقسم بالله لنفعلنه

فلم يرتح لترقيقه ، ولا راعه قسمه عليه ؛ بل قال : فإن^(٣) لم أفعل يكون ماذا ؟ قال^(٤) :

إذن أبا حفص لأذهبتَه .

فقال : وإذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال :

يكون^(٥) عن حالي إنسانك يوم تكون الأعطيات هته^(٦)
وموقف المشول بينهما^(٧) إما إلى نار وإما جنة

فلما ذكر له الجنة والنار ، والموقف بين يدي المولى الجبار ، بكى حتى أخضلت^(٨) لحيته بدموعه ، وقال : يا غلام ، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره . أما والله لا أملك غيره . فانظره^(٩) مع ما حصل عنده^(١٠) من

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ما فيها (على زمن عمر) .

(٢) كذا في النسخ كلها ما عدا ف فيها (خير جنة) وهي زيادة مضية للوزن .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط ، ز (إن لم أفعل) وفي ل (وإن لم) .

(٤) كذا في ف . وفي د (فقال) وفي ط (فقال منشدًا) .

(٥) كذا في ف ، ط . وفي ل ، ز (تكون) وفي د من غير خط .

(٦) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط (رهنه) . وهو يريد هنا أيدك للألب هاهنا أو حذفت وجيء بهاء السكت . وهنا يريد بها هناك ، وروى المؤلف هذه القصة في طبقات الشافعية (ج ١ ص ١٣٩) وفيها أنه في موضع منه ، وذكر أن الله يريد بها ثمه وهي لغة فيها وتم من إشارات المكان كهنا ، فالقبي واحد .

(٧) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (بينهما) وفي ط (بينهما) . ورواية (بينهما) جيدة من جهة المعنى وإن كان فيها التأكيذ من غير داع .

(٨) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (أخضبت) . وأخضلت : أبطلت .

(٩) كذا في د وقد سقطت الهاء في سائر الأصول .

(١٠) كذا في ف ، د . وفي ط (له) .

الزكاة الدينية لم ينعم^(١) إلا بما هو من خاصة ماله ، ولم يجد غير قيصره . وقد كانت خزائن الأموال مملوءة بين يديه .

قال العلماء : ولم يعطه من بيت مال المسلمين وإن كان الأعرابي فقيراً مستحقاً ؛ لأنه لما استنزه^(٢) بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين ، فلم يعطه^(٣) من مالهم . قالوا : أو أنه لم يثبت عنده أن الأعرابي من جملة مصارف مال الصدقات . وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ، والخزائن مملوءة بين يديه : من يشتري مني سيفي هذا ؟ ولو وجدت رداءً أستر به ما بعته . فهذه سيرة أهل الحق والدين . ولستنا نطالب أهل زماننا بها ؛ فإنهم لا يصلون إلى هذا المقام . ولكن نذكرهم لعلمهم يرجعون أو يقصرون عما هم فيه . فلا^(٤) بد في الذكرى من نفع إن شاء الله تعالى .

ومن وظائفه النظر في الدين والصلوات . ولقد رأينا منهم من يقمر الجوامع ظاناً أن ذلك من أعظم القرب . فيبغى أن يفهم مثل هذا الملك أن إقامة جمعيتين في بلد لا يجوز^(٥) عند الشافعي وأكثر العلماء ؛ فإن قال : قد جوزها قوم ، قلنا له : إذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل فذاك الوقت أفعل الجائز عند البعض . وأما أنك تركب^(٦) ما نهى الله عنه وتترك ما أمر به ، ثم تريد أن تعمّر الجوامع بأموال الرعايا ؛ ليقال : هذا جامع فلان ، فلا ؛ والله لن يتقبله الله تعالى أبداً ، وإن الله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً . ومن أجمع البدع المحرمة تقبيل الأرض بين أيدي الملوك . فإن كان سجوداً بأن لاقى بحبته الأرض قال النواوي : فسواء أكان إلى القبلة أو غيرها وسواء قصد السجود لله تعالى

(١) كذا في النسخ ما عدل فيها (لم ينعم عليه) .

(٢) كذا في ف ، ل ، ز ، د ، و في ط (استر) .

(٣) كذا في ف ، ط ، و في ل ، ز (فلم يعط من مالهم) وفي د (فلم يعط مالهم) .

(٤) حكنا في كل النسخ ما عدل فيها (ولا بد) .

(٥) كذا في د ، و في ط (يجوز) وفي ف (يجوز) من غير نقط للتعريف الأول .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (تريد) .

أو غفل هو حرام . وفي بعض صورته ما يقتضى الكفر أو يقاربه ، عافانا الله
الكريم . انتهى . قال وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى : ورفع أيديه على العرش
وخرّوا له سجداً ، والآية منسوخة أو متأولة^(١) كما هو معروف في كتب
العلماء . ومثل ابن الصلاح عن هذا السجود فقال : هو من عظام الذنوب ،
ونحشى^(٢) أن يكون كفراً . وفي بعض كتب الحنفية أن بعضهم قال : يكفر
مطلقاً ، وبعضهم قال : إن أراد التحية^(٣) فهو حرام ولكن لا يكفر ، وإن لم يكن
له نية كفر عند أكثرهم .

المثال السادس

نواب^(٤) السلطنة

وعليهم مثل ما على السلطان . ويزدادون أن من حقهم مراجعته إذا أمر
بما يخالف المصلحة ، وازديادهم من تفقد حال الرعية صغرهم وكبرهم ، جليلهم
وحقيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، والنظر في القرى والعلات ، ونحو ذلك ، وإيصال
الحقوق إلى مستحقيها من ذوي النهضة والكفاية والحاجة ، وتولية المناصب
لأهلها^(٥) . فإن اعتذر نائب السلطان بأن الزمان لا يمكنه ، قلنا له ولغيره :
أنتم مطالبون من كل ما تأمركم^(٦) به بما تصل إليه قدرتكم ؛ فعليكم الجهد والاجتهاد
والله يعين .

(١) من وجوه التأويل أن السجود كان لله ، وكان يوسف ذبلة ، أو أن السجود كان لعمارة
بالرأس ، وكان هذا تحيته .

(٢) كذا في ف ، ط ، د ، و ، ل ، ز (ينحشى) وفي د من غير نقط .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ط فيها (أراد به التحية) .

(٤) مفرد النواب نائب . ويريد به من يقوم عن السلطان في الحكم وفي تنفيذ أمره . وكان
لسلطان المماليك نواب في الجهات الثمانية : قلة نائب في الإسكندرية ، ونائب في الوجه البحري ،
ونائب في الوجه القبلي ، ونائب في الشام . وكان بعض سلاطينهم يتخذون أحياناً نائباً في الحضرة
أي في القاهرة يسمى النائب الكافل ، وكان يشطع بشئون السلطنة حتى قيل : إنه سلطان مختصر .

(٥) كذا في ف ، ط ، و ، د ، ل ، ز (لأهلها) .

(٦) كذا في ف ، ط ، و ، ل ، ز (تأمركم) وفي د من غير نقط .

ومن حقهم إقامة فقيه في كل قرية لا فقيه فيها ، يعلم أهلها أمر دينهم .
ومن العجيب ^(١) أن أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيباً ويستصحبونه
في أسفارهم بمعلوم من بيت المال ، ولا يتخذون فقيها يعلمهم الدين ؛ وما ذلك
إلا لأن أمر أبدانهم أهم عندهم ^(٢) من أمر أديانهم . نعوذ بالله من الخذلان .
ومن حقهم إلقاء مقاليد الأحكام إلى الشرع لأنه لا حاكم إلا الله تعالى ،
ولن تفعل العقول شيئاً . فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطنة ^(٣) انقياده
لشرع وينسبه بذلك إلى اللين والرخاوة فاعلم أنه يخشى عليه أن يكون ممن
طبع على قلبه وأن ^(٤) عاقبته وخيمة ، بل حتى على كل مسلم الرضا بحكم الله
تعالى والانقياد له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ^(٥) .
الكافرون الظالمون . وسنبسط في فصل الحجاب القول في ^(٦) هذا ؛ لكونه
أمرس بهم . ومن حقهم دفع أهل البدع والأهواء ، وكف شرهم عن المسلمين .
ولا يسعهم ^(٧) في دين الله تعالى الصبر على من يسب الشيخين أبا بكر وعمر
رضي الله عنهما ، ويقذف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ويفسد عقائد
أهل الدين . بل يجب عليهم الغاظة على هؤلاء بحسب ما تقتضيه المذاهب .
وهذه المذاهب الأربعة والله الحمد في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل
الاعتزال أو التجسيم . وإلا لجمهورها على الحق ؛ يقرون ^(٨) عقيدة أبي جعفر ^(٩)

(١) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (العجيب) .

(٢) كذا في النسخ ماعدا ط فقيها (عليهم) .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (السلطان) .

(٤) كذا في كل النسخ ماعدا ف فقد سقط منها ؛ (وأن عاقبته وخيمة) .

(٥) كذا في كل النسخ ماعدا د فقيها الكافرون الفاسقون الظالمون ؛ وكلا الترتيبين غير موافق .

فتزيل الحكم ؛ في التزيل : الكافرون الظالمون الفاسقون .

(٦) كذا في كل النسخ ماعدا ف فقيها (بهذا) .

(٧) كذا في ف ، ط . وفي د ، ل ، ز (فلا يسعهم) .

(٨) كذا في كل النسخ . ماعدا د فقيها (يقرون) .

(٩) هو أحمد بن محمد بن سلامة الإمام الجليل صاحب « معاني الآثار » وهو ابن أخت الزكي

صاحب الشافعي . يقال : إنه بلغ رتبة الاجتهاد . وتوفي بمصر سنة ٣٢١ . وانظر ترجمته في وفيات —

الطحاوى التى تلقاها العلماء سلفاً^(١) وخافاً بالقبول ، ويدينون الله برأى شيخ
السنة أبى الحسن^(٢) الأشعرى الذى لم يعارضه إلا مبتدع . ومن مهماتهم النظر
فى أمر المفسدين من قطاع الطريق وأهل الفتن كالعشران^(٣) وغيرهم ،
والغاية والتشديد عليهم . وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب
فى شدة تعزيرهم^(٤) والمبالغة فى عقوبتهم على جرائمهم ، وطول مكثهم فى السجن
فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهى وحظ النفس
ومحبة شيباع الاسم بالانتقام ؛ فإن ذلك فنّ من الجنون . فقد كان ملك
الصحابه رضى الله عنهم أوسع ، وأمرهم أنفذ ، ولم يحبوا أن يشيع اسمهم
إلا بالعدل والرفق ؛ لا بالعسف^(٥) والظلم . ومنها سفك دم من يقتص^(٦)
جذاب سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أو يسه^(٧) ؛
فإن^(٨) ذلك مرتدّ كافر ، ذهب كثير من العلماء إلى أن توبته لا تقبل . وهو

== ابن خلكان . وعقيدته يقول فيها المؤلف فى الطبقات (٢٥ ص ٢٦٩) : « سمعت الشيخ الإمام
رحمه الله — يريد والده — يقول : « تضمنته عقيدة الطحاوى هو ما يعتقده الأشعرى لا يغالقه
إلا فى ثلاث مسائل » .

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فيها (خلقاً وسلفاً) .

(٢) هو على بن إسماعيل ينتهى نسبه إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه . وهو شيخ أهل
السنة ، وصاحب الطريقة المثلى فى أصول الدين . وكانت وفاته فى بغداد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة هـ
وانظر ترجمته فى ابن خلكان ، وحبقات الشافعية المؤلف .

(٣) جمع عشر ، وكانت هذه الكلمة (العشران) تطلق فى الشام على البدو الذين من دأبهم
القارة والنهب .

(٤) التعزير عند الفقهاء التأديب على فعل معصية لا حد لها ولا كفارة ، كشهادة الزور ،
والضرب بغير حق ، وقد يصرع التعزير لما ليس بمعصية مما ينهى التجزأ منه كالاشتغال باللهو الذى
لا معصية فيه كالضرب بالدف ، وغناء الرجل فى الجامع من غير آلة فهو محرمة . والتعزير يرجع فيه
إلى تقدير القاضي ، ويكون بنحو الحبس والضرب والتوبيخ بالكلام . وقد عقد له الفقهاء له باباً
يبتوا فيه أحكامه وحدوده . والتعزير فى أصل اللغة من المزل وهو المنع . ويأتى التعزير فى اللغة
أيضاً للتضييق والتعظيم ومنه قوله تعالى : وتعرزوه وتؤزروه ، كأنك إذ تخضع الرجل تمنع عنه
الأزهر والاحتقار .

(٥) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ط (لا بالساد والظلم) وفى ز (لا العسف) .

(٦) كذا فى ب ، د ، ل ، ز . وفى ط (يقتص) .

(٧) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ز (أو يسه) وفى ط (أو من يسه) .

(٨) كذا فى كل النسخ ما عدا ل فيها (فإنه) .

اختيار طوائف من المتأخرين . فإن كان الذي وقع منه هذا ممن يتكرر هذا الحال منه ، أو عرف بسوء العقيدة وصحة^(١) المشهورين بذلك ، أو وقع منه ما وقع على وجه قطيع^(٢) تشهد القرائن فيه بالخيب الباطن ، فأرى أنه لا تقبل له توبة ، ويسفك دمه ، وهو رأى الشيخ الإمام الوالد نعمده الله تعالى برحمته ، والشيخ العلامة تقي الدين^(٣) بن تيمية . ومنها نظروهم في أمر دوا داريتهم^(٤) فأكثر ما يلبس فساد بابهم عنهم وهم غافلون . فإذا عرف نائب السلطنة أن ميزان باب الدوا دار ، لحق عليه الاحتياط في أمره ، وعدم الإصغاء إليه فيما يقوله : بل يستوضح الحال ويستكشفه من بطلانة^(٥) الخير عنده ؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما^(٦) من ملك أو أمير إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، وما يختص بالإمام ، وليس لنوابه الاستبداد به من غير استئذانه ، الحسي^(٧) . فلا يحس غير الإمام الأعظم على الصحيح عند الوالد وكثيرين إلا بإذنه .

(١) كذا في ط . وفي ف ، د (وصحة) .

(٢) كذا في ف ، وط . وفي ل ، ز (قطيع) وفي د غير واضحة .

(٣) هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي المجتهد المحدث . وهو أشهر من أن يعرف . كانت وفاته في قلعة دمشق ٧٢٨ هـ .

(٤) سائر الكلام على الدوا دار في المثال السابع .

(٥) بطانة الرجل صاحب سره ، الذي يشاوره الرجل في أحواله .

(٦) هذا الحديث في صحيح البخاري في كتاب الأحكام ، ولفظه فيه : ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالفسق وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله تعالى . وورد أيضاً في سنن الترمذي في كتاب البيعة بعدة روايات ، ومنها ما يوافق لفظ البخاري ، ومنها : ما من وال إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالاً ، فمن وفى شرفاه فقد وفى . وكأن المؤلف اعتمد في رواية الحديث على المعنى .

(٧) الحى : موضع فيه كلاً يمنع من الناس أن يرعى . وقد كان القوى في الجاهلية يتخذ لماشيته حى لا يقربه غير ماشيته . روى أن الشريف منهم كان إذا نزل يلبس استعوى كلباً حى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره ، فلم يرعه معه أحد ، وجاء الإسلام فأبطل هذا وفرض أن الحى لا يكون إلا لصلصة عامة المسلمين ، وقد حى عمر رضى الله عنه الضعيف لإبل الصدقة ، واستعمل عليها رجلاً أوصاه ألا يمنع المحتاج أن يرعى ماشيته فيه . قال الفقهاء : ليس للإمام أن

المثال السابع

الدوادار^(١)

فمن حقه الاستئذان على^(٢) ذي الحاجة ، وإنهاء ظلامته ، وألا يتركه^(٣) على الأبواب لا يجد ملجأً إلى الدخول على الملك . وليعلم أن لصاحب^(٤) الحاجة حقاً عند أستاذه : لأن من وظيفة^(٥) أستاذه سماع كلامه ، وقضاء حاجته إذا أمر بها الشرع : وليس لأستاذه حقّ عنده ، والمثبة لله تعالى على أستاذه أن^(٦) جعل حاجة الخلق إليه ، وعليه أن يجعله في باب المرصاد لهذا الأمر . فإن هو قصر فيها وصفناه كان هو الظالم لأستاذه ، المتسبب في خراب دياره ، الباغي على الرعية . وعليه المبادرة إلى تقديم الدواة عند ارتفاع القصص ، وتذكير^(٧) مخدومه بها . فربما اشتغل بال الملك عن ذلك ولم يجد من يذكره . وهذه وظيفة الدوادار وكان الدوادار يسمى^(٨) في الزمان القديم الحاجب .

== يدخل مواشيه فيما حماه للمسلمين لأنه قوي ، وإنما الحمي للضعيف ، وقد عرض الفقهاء لأحكام الحمي في باب إحياء الموات من الأرض .

(١) هذا اللفظ مركب من كلمتين : عريضة وهي (دوا) وهي الدواة يحذف التاء ، وفارسية وهي (دار) ومعناه تمسك أو صاحب أو حافظ فمعنى دوادار تمسك الدواة أو صاحبها . وسرى أن الكلمة الثانية تدخل في كثير من ألقاب السلطنة في عهد المؤلف . ووظيفة الدوادار الدوايرية ، وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص (والعرائش) إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وأخذ خط السلطان على عامة الناشير والتوقيعات . انظر صبح الأعشى ص ١٩ ج ٤ .

- (٢) كذا في كل النسخ ما عدا ز فقها (على حاجته) .
- (٣) كذا في كل النسخ ما عدا ط فقها (وأن لا يترك على الأبواب من لا يجد) .
- (٤) كذا في ب ، د ، ز ، ل ، و في ط (لصاحبه حقاً) .
- (٥) كذا في ف ، ل ، ز ، و في ط (لأن وظيفة أستاذه) وفي (د) غير واضحة .
- (٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط فقها (إذ جعل) .
- (٧) كذا في د وفي ب ، ط (ويذكر) ، وقوله بها : أي بالقصص .
- (٨) كذا في د ، ط . وفي ف (وكان الدوادار في الزمان القديم يسمى الحاجب) .

المثال الثامن

الخازندار^(١)

وحق عليه ألا يَتمْطَل من أحيل إليه ، بل يدفع إليه ما أمر له به مُهْتَنًا^(٢) مُبَسَّرًا^(٣) . والخازندار أمين ؛ فلو ادعى أنه دفع المال إلى مخدومه كان القول قوله بيمينه ، وإن كان له على الخزندارية معلوم أو إقطاع ؛ لأنه كالوكيل يجعل .

المثال التاسع

أستاذ الدار^(٤)

وهو من يتكلم في إقطاع^(٥) الأمير مع الدواوين^(٦) والفلاحين وغيرهم ، عليه^(٧) ألا يُطعمه حراماً ، ولا يبيع أستاذه رخيصاً ، وأن يرفق بأهل القرى ويؤدى أمانة الله تعالى التي علّقها في رقبته حيث دخل في هذه الوظيفة .

(١) هذه الكتابة خطأ سببه توهم أن دار هي الدار العربية . والصواب : « الخازندار » من « خزنة » العربية و « دار » الفارسية أي متولى الخزانة . وقد حذف ألف الخزانة طلباً للاختصار . وقد ذكر هذا الرسم على الصواب في قوله بعيد هذا : « وإن كان له على الخزندارية » وانظر صريح الأعشى ص ١٦٣ ج ٥ .

(٢) هكذا في النسخ ما عدا د ففيها مبرأ مبسراً .

(٣) هذا الضبط عن ف ، ل . وفي ز : مبسراً .

(٤) كذا بإعمال الدال في ف في هذا الموضع ، وتراه في غير هذا الموضع بالإشباع كما في غيرها من النسخ . والكلمة في الأصل فارسية فقد تعرب بالإشباع وقد تعرب بالإعمال ، وكتابتها هكذا خطأ وقع فيه بعض الكتاب ؛ توهموا أن « دار » هي الدار في العربية وصواب كتابتها : « استدار » أو « استدار » من « استد » أي أخذ في الفارسية و « دار » أي عمك ، ومعنى هذا المركب : متولى الأخذ وقبض المال . وانظر صريح الأعشى ص ١٥٧ ج ٥ .

(٥) الإقطاع : ما يهبه السلطان الأمراء وغيرهم من الأرض الزراعية الخراجية لاستغلالها ودفع الخراج عنها .

(٦) هكذا في النسخ ما عدا ف ، ففيها « من الدواوين » ولا معنى لهذا ويريد بالدواوين الكتاب الذين يدونون متعلقات الأمير .

(٧) كذا في ف ، د ، ط ، وفي ل ، ز وعليه .

للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير ، كما عليه أن يؤدي حق الأمير . بل هؤلاء
أحوج من الأمير إلى الرفق بهم ، واعتماد الحق معهم . فأين يكون الأمير يوم
يعض الظالم على يديه ولا آمر إلا الله تعالى ؟

المثال العاشر

الوزير

وهو اليوم ^(١) اسم لمن ينظر في المكوس ^(٢) وغيرها من الأموال التي
ترفع إلى السلطان وبيت المال . ومن حقه بذل النصيحة للملك ، وكفّ أذاه
عن أموال الرعية ، وتخفيف الوطأة عنهم ما أمكنه . وقد علم أن المكوس
حرام . فإن ضمّ الوزير إلى أخذها الإجحاف في ذلك وتشديد الأمر فيه ،
والعقوبة عليه ، فقد ضمّ حراماً إلى حرام . بل إذا لم يقدر على إبطال حرام ،
فلا يزيد الطين بلة ، بل لا أقل من الرفق والتخفيف . وما يجب عليه التيقظ
له الأموال التي تجتمع ^(٣) عنده ، ومنها حلال ومنها حرام . فعليه ألا يخلطها
بل بدع الحلال بمفرده ، والحرام بمفرده ، وإلا فتي خلطهما ^(٤) ولم تتميز صار
الكل حراماً . وفي ذهن كثير من العامة أن الأموال إذا خلطت ودخلت بيت
المال صارت حلالاً . وهذا جهل ؛ ما اجتمع الحلال ^(٥) والحرام إلا غلب
الحرام ^(٦) الحلال . وبيت المال لا يحل ما حرّم الله تعالى . ثم إذا تميز الحلال

(١) وكانت الوزارة قبل من أرفع الراتب . كان الوزير يلي صاحب الأمر خليفة أو سلفاً .
وقد قال منصور النجدي يمدح يحيى بن خالد البرمكي :

ولو علمت فوق الوزارة رتبة تنال بمجد في الحياة لها

(٢) واحده مكس . وهو ما يؤخذ من التجار . وكان السلطان يأخذ البعض في الأسواق .
ومثله كل ما يؤخذ من المال بغير حق شرعي . من الضرائب التي تستحدث سوى الزكاة .

(٣) كذا في ف ، ط . وفي د ، ل ، ز (تجميع) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (خلطها) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (حلال وحرام) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (إلا غلب الحرام على الحلال) .

عن الحرام صرف الحلال على أهل العلم والدين ومن يتحرى أكله . ويتعين عليه التخفيف في العقوبات على من اتوجه عليه بغير حق إذا لم يمكنه دفعها . فليت شعري إذا جلس وزير يعاقب الرعايا ليستخرج منهم الخبائث التي لا يجوز له أخذها ، ودفعها إلى من يأخذها ظلماً ، ويصرفها فيما لا يحل فكيف يكون وجهه عند الله تعالى ! وكيف لا يقبدر إليه الوخم وسوء العاقبة في الدنيا ! وكذلك ترى عواقب الوزراء وقبض^(١) الدواوين شر^(٢) العواقب في الدنيا والآخرة .

المثال الحادي عشر

مشد^(٣) الدواوين

ووظيفته استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه منه . والكلام فيه كالكلام في الوزير . وهو أشد حالاً ؛ لأن الوزير يدعى أنه يعرف الحساب ولا يؤخذ إلا بما تقرر في الديوان ، وهذا يقلد الوزير : فيضرب ويعاقب على جهل بالشرع والعادة . بل حق عليه لو رفع إليه من توجه عليه حق معين أن يرفق به . حكى أن^(٤) المنصور رحمه الله بلغه عن جماعة من كتاب الدواوين خيانة^(٥) فأمر بمعقوبتهم فقال صبي^(٦) منهم وهو يضرب :

أطال الله عُمرَكَ^(٧) في صلاح وعز يا أمير المؤمنين
بمعفوك أستجير فإن تجازي فإنك عصمة للعالمين
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهنا للكرام الكاتبين

(١) كذا في ل . وفي ز (والقبض الدواوين) وفي ف (والقبض والدواوين) وفي ح (والقبض أهل الدواوين) وسقطت هذه الجملة من د .

(٢) كذا في ف ، ز ، وفي د ، ل ، ح (سوء العواقب) .

(٣) ويقال فيه أيضاً : شاد الدواوين .

(٤) أورد هذه الحكاية المجهشباري في كتاب « الوزراء والكتاب » ص ١٣٦ .

(٥) في كتاب المجهشباري أن المنصور بلغه أنهم يزودون في دواوين داره .

(٦) عند المجهشباري « واحد منهم » .

(٧) كذا في ح ، وفي ف ، د ، ز (عرك) .

المشال الثاني عشر

الدواوين^(١) في سائر الجهات

وإلى الوزير إن كانوا دواوين السلطان مرجعهم . وإن كانوا دواوين
الأمراء فأمر كل ديوان إلى مخدومه . وعلى الكل الأمانة ، وتجنب الحياة .
ويختص ديوان الأمير بالرفق بالفلاحين . ويمن الكل تجنب حُرُمات الله تعالى
على ما وصفناه ؛ فلقد كثر منهم اتخاذ دُوى الذهب أو المحلاة بالذهب والفضة
والسكاكين المفضضة . والأصح تحريم ذلك كله ، إلا أن يكون نوه^(٢) بقدر
لا يحصل منه شيء بالعرض على النار . سمعت بعضهم يقول وقد قرأ متفوشا
على دُوى بعض الكتاب :

دواتنا سعيدة ليس لها من مَنزَلة^(٣)
عروس حن جُليت منقوشة مَكْتَبَهِ^(٤)
قد انطلت جليتها على الكرام الكتب

لم^(٥) تنطل إلا على المصوص ، الكتب في المكوس . فإذا رأيت ديوانا
من وزير أو غيره يخرج من بيته بعد أن امتلأ باطنه^(٦) بالحرام ، وهو لا يس

(١) الديوان موضع الكتاب ودارهم . وتراعى يطلق الدواوين على الكتاب أنفسهم وهو يريد
الكتاب الذين يختصون بكتابة الالتزامات وحساب ما يمدى من الأرض لاستغلالها واستغلال
ما هو مراتب عليها .

(٢) كذا في د و هاشم ل . وفي ط ، ز (قدموه) وفي د (قدروه) والتوبة : الرض ،
والتوبة الغلاء بذهب أو فضة شتتاس أو الحديد ، وتري أن « موه » أجود وألصق بالمعنى .
و « نوه » إذا لم تكن معرفة فالمراد أن ترفع وتحسن بالطلاء .

(٣) إن قرئ متربة بكسر الهمزة ظرف كان يوضع فيه تراب لترب الكتاب وتحسينه .
وقد يوضع فيه رمل فيسقى مرمرلة . وإن قرئ متربة بفتح الهمزة فهي الفقر والحاجة .

(٤) جليت . يقال : جلا العروس : نظر إليها في بهائها وزينتها . وقد تكون : جليت . وقوله :
مكتبة كأنه يريد أنها كتب عليها ونقش .

(٥) يريد الشاعر أن الرائي لها وقد جليت بالذهب مثلا يخال أنها كلها من ذهب . وهي ليست
كلها من ذهب ، فبذلك تخدع الكرام الكتب من الناس . وخصى هذا الذي ينفذ هذه الأبيات أن
يذهب القاري إلى الكرام السكاكين من اللاتكة ، فقال ما وصف .

(٦) كذا في كل النسخ . وقد يكون أصلها : بطنه .

الحرام ، وجلس على الحرام ، وفتح الدواة الحرام ، وأخذ يُمَدُّ^(١) الأقلام للحرام ، ثم عاقب للحرام ، أفليس حقاً إذا رأيته بعد زمن يسير مضروباً بالمقارع ، يطاف به في الأسواق ويحى^(٢) عليه ؟

المسألة الثالث عشر

كاتب السر

ووظيفته التوقيع عن^(٣) الملك والاطلاع على أسرارها التي يكتبها بها ، وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل . ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك وتفهمه إياها ؛ فإن أكثر الملوك يعسر عليهم الفهم ، ويؤتون من قبل ذلك ، لاسيما إذا اشتبكت الأمور ، وازدحمت الأشغال . فعلى كاتب السر التلطف في ذلك بحيث تصل إلى ذهن الملك . وإلا فحق ظلم الملك واحداً في واقعة لعدم فهمه ، وكان كاتب السر هو الذي قرأ عليه القصة فيها كان شريكاً له أو مستبداً عنه بالظلم . ومن حقه أن يكتم ما أسره إليه كما قال الشاعر :

ويكتم الأسرار حتى إنه ليصونها عن أن تمر بخاطره

وأن يحترز من الكتابة في قطع الأرزاق ؛ فقلنا أفلح كاتبه . وما أحسن ما نقشه بعض كتاب السر على دواته فقال^(٤) .

حلفت من يكتب بي بالواحد الفرد الصمد
ألا يُمَدَّ مدّة في قطع رزق لأحد

(١) يفتسها في المداد .

(٢) كذا في ل . وفي د ، ز ، ط (ويحي) وفي ف اغير . معجمة ا .

(٣) كذا في ف ، ز ، ط . وفي ل (على الملك) . وفي د (عند الملك) .

(٤) كذا في ز وفي ط (حيث قال) وفي باقي النسخ سقطت هذه الجملة . والنسخ مجمعة على أن القول : هو حلفت اليدين فقط . وقد انفردت نسخة ط بإثبات يات قبليهما ، وهو : إذا فطحت دواة السر والنعم فلجعل مدادك من جود ومن كرم

المثال الرابع عشر

الموَقَّعون^(١)

وعليهم الرفقُ بالرعية فيما يكتبونه ، والتخفيف من التشديدات التي يُؤمرون بكتابتها ، ولا يسوغ الأمر بها ، فإن كان لا يقدر على التخفيف فلا أقل من ألا يزيد الطين بلةً ويسدد^(٢) فلقد بلغني أن بعض الملوك قال لموقع : اكتب إلى فلان بالحضور . فأبرق في الكتابة وأرعد ، وقعقع في العبارة . فلما وصل إليه^(٣) الكتاب أرعده^(٤) ذلك بحيث وضعت امرأته وكانت حاملا ، وأرسي^(٥) هو مضاربه من الخوف . ولذلك قال فيهم بعض الشعراء :

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا مالا يُنال بحوت المشرفيات^(٦)
ومن حقه ألا يستعمل وحشي^(٧) اللغة ولا مالا يفهمه إلا أكثر من الناس
لا سيما إذا كتب إلى من يبعد فهمه لذلك .

المثال الخامس عشر

المَهْمَنْدار^(٨)

اسم لمن يقوم بأمور قُصَاد الملوك ورسالتهم . فمن حقه أن يعتمد مصلحة الإسلام^(٩) ، ويُرهب القصاد ، ويروهم قوة المسلمين وشدة بأسهم وعظيم

(١) يريد الذين يكتبون الرسائل والكتابات بأمر السلطان أو نائبه .

(٢) كذا في ف ، وفي د ، ط ويسدد . والأول عطف على ألا يزيد والثاني على يزيد .

(٣) كذا في ف ، وفي ط (وصله) .

(٤) كذا في ف ، وفي د ، ل (أرعبه ذلك) وفي ز (ارتعد لذلك) . وفي ط (أرعبه)

يحذف ذلك .

(٥) أرى لنة في رمي .

(٦) هي السيوف ، كانت تنال من مشارف الشام قتلت إليها .

(٧) كذا في ف ، ل و ط . وفي د ، ز (وحشي) والمراد الغريم من الكلام .

(٨) هذا اللفظ مركب من لفظين فارسيين : مهمن ومعناه الضيف ، والآخر دار ومعناه مسك

ومحافظة كما سلف .

(٩) كذا في ف ، ل ، ز ، ط وفي د ، ط (المسلمين) .

سلطوتهم ، واتفاق كلمتهم ، وقيامهم في حوزة الدين وذئبهم عن حريم الملة الإسلامية ، وحفظ النظام ، وأن يُنهي أمور القصاد إلى الملك بمقدار^(١) ما يكون فيه المصلحة ، ورُبَّ من يتعين^(٢) عليه المبادرة إلى [كرامه ، ومن يتعين عليه الكف عن إعظامه ، بحسب ما تقتضيه الحال . ومن الحق على الملك ونوابه الاحتفال عند حضور قُصاد الملوك ، وإظهار القوة وجسن الملبس وكثرة الجيش واستعدادهم على الوجه الشرعي .

المثال السادس عشر

البريدية

وهم الذين يحملون رسائل الملك وكتبه . وكانت آئمة العدل لا تُبرد^(٣) البرد^(٤) إلا لهم من مهمات الإسلام ، لمثله تساق الخيول ، وتزعج النفوس ، والآن أكثر ماتهلك خيول البريد وتساق للأغراض الدنيوية ، من شراء الممالك وجلب الجوارى والأمتعة . وإذا ركب الفقيه^(٥) فرسا أنكر [عليه^(٦)] ذلك ، وقيل : قد أخطأ السلطان أو نائبه في إركابه ؛ فإن البريد لا يساق^(٧) إلا لمهمات السلطنة . كأنهم يعنون بمهمات السلطنة ما اعتادوا به^(٨) من شراء مملوك مبيع ، أو استدعاء مغن حسن الصوت ؛ أو خراب بيت شخص أنهى عنه ما لا صحة له ، إلى أمثال^(٩) ذلك . وخفى عنهم أن آئمة العدل كانوا يستدعون

(١) كذا في ف م د . وفي م (بقدر) .

(٢) كذا في م ، وفي د (يتعين) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (يبردون) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (البريد) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (فقيه) .

(٦) هذه الزيادة في م وقد خلت منها سائر النسخ .

(٧) كذا في النسخ ما عدا ف ففيها (تساق) .

(٨) كذا والمعروف أن اعتاد يتعدى بنفسه ، فإن صيغ هذا الأصل فقد ضمن اعتاد معنى منك .

(٩) كذا في النسخ ما عدا ل ففيها (مثال) .

العلماء من البلاد لأجل نفع المسلمين واشتهار^(١) الدين، وأن ركوب البريد لهذا الغرض خير من ركوبه في أغراضهم الفاسدة . وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يُبرِد البريد للسلام على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل رأيت في زماننا ملكاً يفعل ذلك ؟ ومن حق البريدى كتمان الأسرار ، وسر العورات ، وكفّ لسانه عن الفضول فضلاً عن الكذب . فلقد كثرتهم الكذب ونقل البهتان لأجل حطام من الدنيا . ومن حقّه حمل رسائل الإخوان إليهم : ففي ذلك أجر عظيم وشكر هذه النعمة . وحق على كل بريدى ألا يجهد^(٢) الفرس بل يسوقها بقدر طاقتها . وقد كثرت منهم سوق الخيول السوّى المزعج بحيث تهلك نخمهم . أفما علموا أنها من خلق الله تعالى . فإذا رأيت بريدياً يسوق الخيل في أمر لا يجوز حتى يهلكها ، ثم يقدّم على أهل بلاد فيزعجهم ، ثم يعود للسلطان^(٣) فيدلّ على عورات المسلمين ويُغري الظلمة بالمساكين ، الغافلين والغافلات ، ثم يزيل الله سبحانه عنه النعمة ، وبذيقه أنواع الذل والإهانة فلا تعجب ، واعلم أن ذلك من الله عدل .

المثال السابع عشر

ناظر الجيش

فمن حقّه النظر في حالهم ، وتجويد من يرى فيه^(٤) المصلحة والكفاية والقدرة . وحرام عليه أن يجهر عاجز الفقراء^(٥) وغيره ، أو أن يُغري به الملك . بل عليه الدفع عنه بما يمكنه : فإنه ناظر عليه كناظر اليتيم ، وعليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين ؛ فإنه مطالب بذلك كله ، فليتنق الله ربه .

(١) كذا في ف ، د ، و ، ي (واشتهار) ولم يزد أشهر الشيء في معنى أعلته .

(٢) يقال : جهدت الدابة وأجهدتها : جلت عليها في السير فوق طاقتها .

(٣) في ل ، لل السلطان .

(٤) كذا في ف ، و ، ي (وفيه) .

(٥) قد يكون : عاجزاً فقراً أو غيره .

ومن قبائع ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الإقطاعات بالفلاحة ، والفلاح حر لا يد لآدمي عليه وهو أمير نفسه . وقد جرت عادة الشام بأن من زرع^(١) من دون ثلاث سنين يلزم ويُعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد^(٢) الفلاحة . والحال في غير الشام أشد منه فيها . وكل ذلك لا يحل اعتياده ، والبلاد تعمر بدون ذلك . بل إنما تخرب^(٣) بذلك : لأنهم يضيقون على الناس فيضيق الله عليهم . ومن قبائحهم أنهم إذا اعتمدوا شيئاً مما جرت^(٤) به عوائدهم^(٥) القبيحة يقولون : هذا شرع الديوان : والديوان لا شرع له ، بل الشرع لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم . فهذا الكلام يذهب إلى الكفر : وإن لم تشرح النفس لتكفير قائله : فلا أقل من ضربه بالسياط : ليكف لسانه عن هذا التعظيم^(٦) الذي هو في عُنية عنه بأن^(٧) يقول : عادة الديوان أو طريقه أو نحوه ذلك من الألفاظ التي لا تشكر .

المثال الثامن عشر

السلحدار : الذي^(١) يحمل السلاح

ومن حقه الاحتفاظ حسبما شرعناه ونشرجه في أرباب الوظائف .

المثال التاسع عشر

الجُعقدار

حامل الدبوس^(١) .

- (١) كذا في ل . وفي عامتها (خرج) ، وفي باقي الأصول (يروح) .
- (٢) كذا في د ، ط ، ز ، ل . وفي ف (يبد) .
- (٣) كذا في ف . وفي د ، ط (تخرب البلاد بذلك) .
- (٤) كذا في ف ، د . وفي ط لم تذكر جملة (مما جرت) .
- (٥) كذا في ف . وفي ل ، د ، ز (عاداتهم القبيحة) .
- (٦) كذا في ط . وفي ف ، د (العظيم) .
- (٧) كذا في كل النسخ ما عدا ن فقيها (بل يقول) .
- (٨) في ط : وهو الذي يحمل السلاح . والسلحدار أصله السلحدار ، وقد يكتب هكذا بالذات ، وكثيراً ما تحذف الألف في مثل هذا ، ومعناه ممتلك السلاح .
- (٩) كذا في د ، ف . وفي ط (وهو الذي يكون دائماً حامل الدبوس) والدبوس من أدوات السلاح : قضيب من حديد في نهايته كتلة من حديد .

المشال العشرون

الطَيْرُ دار^(١)

وهو الذى يحمل السلاح بين يدى السلطان لأجل حفظ نفسه .

المشال الحادى والعشرون

الجُوكاندار^(٢)

وهو الذى يحمل الجوكان^(٣) .

المشال الثانى والعشرون

الجَمَّ سِدَارِيَّة^(٤)

وأكثر ما يكونون صبياناً ملاحاً مردداً ، يتعانهم^(٥) الملوك ، وكذا
الأمراء ، يكونون بالنوبة مع المخدم ، يلزمونه حتى وقت نومه ، وقد
تناهت الرغبة فيهم لاستيلاء شهوة المرد الملاح على قلوب أكثر أهل الدنيا ،
وصارت الجمدارية تنوع فى الملابس المبهجة للشهوات البشرية ، ويتزينون
فيُزينون فى ذلك على النساء ، ويفتنون الناس بجمالهم . وحرام على

(١) هذا اللفظ مركب من طير + وهو القاس ، ودار أى ممسك . وكلاهما لفظ فارسي .

(٢) هذا الرسم عن ف - وفى ل ، ط (الجوكندار) وفى ز (الجوقدار) .

(٣) كذا فى ط - وفى ف (الجوكندار) وهو غلط والجوكان هو الحجين الذى تضرب الكرة به .

(٤) كذا فى ز - وفى غيرها : (الجمدار) والجمدار هو الذى يتولى لباس السلطان أو الأمير

ثيابه ، وأصله جماندار وهو مركب من « جمان » أى الثوب فى الفارسية ومن دار أى ممسك .

(٥) كذا فى ف - وفى ل ، ز (يتعانهم) وفى هامش ل (يتعانهم) وفى د (يتعانهم الملوك) وقوله :

يتعانهم الملوك أى يطلبونهم وهو من عنت الشيء : قصده ، وقد شاعت هذه اللفظة ولم تنف عليها
فى اللغة ، يقال : فلان يتعانى الأدب . ونسخة د : يتعانهم كائن من القنية أى تفتنهم ، وكان ما فى

ز ، وهامش ل محرف عن هذا .

نجدد أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلصق نفسه لهذا الغرض ، أو^(١) أن يتشبه بالنساء فيما خلقن له . وليس له أن يمكن مخدومه من أن يلوط^(٢) به ، ولا أن يقتله . فليثق الله ربه ، وليرحم شبابه ؛ فإن^(٣) الدنيا أهون^(٤) عند الله من ذلك كله . ومن آدابه إذا ألبس المخدم ثيابه أن يقدم الأيمن من الحنف قبل الأيسر ، وإذا نزع أن يعكس .

المثال الثالث والعشرون

البشعقدار^(٥)

وهو من أقبح البدع لأنه موضوع لخل نعل الأمير . وذلك من الرعونة والحق . ومن آدابه ألا يضع النعل على البساط وغيره مما يطؤه الناس بأرجلهم حفاة ، وربما لاقاه وجه مصل ، وربما كانت بخاسة في النعل . وبتقدير ألا يكون شيء من ذلك فلا يخفى ما في وضعه على هذا الوجه من الكبر^(٦) والخيلاء . فإذا كان لابد من بشعقدار^(٧) فلا أقل من أن يضع نعل الأمير موضع نعال الخلق .

(١) كذا في ف . وفي د ، ط (وأن) .

(٢) كذا في ف . وفي د ، ط (يلوط) .

(٣) كذا في ف . وفي ط ، د (فالدنيا) .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ط (أقل) .

(٥) هو الذي يعمل نعل السلطان أو الأمير . وهذا اللفظ مركب من « بشق » وهو النعل بالتركية ، ومن دار القارية ، ومعناها ممسك .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (الكبرياء) .

(٧) كذا في ف ، ط ، د ، ز . وفي ل (البشعقدار) .

المثال الرابع والعشرون

أمير عالم

وإليه أمر طبول الطليخانات^(١) . ومن حقه الاحتياط وقت الحرب في
الضرب^(٢) ، وتهيجُ العسكر على الإقدام والمبارزة ، والكفُ حسبما يقتضيه
دين الله تعالى ، وتدعو إليه الغيرة على بيضة الإسلام .

المثال الخامس والعشرون

أمير شكار^(٣)

وإليه أمر الطيور والكلاب المعدة للصيد .

المثال السادس والعشرون

أمير آخور^(٤)

وإليه أمر الخيول والإصطبل :

المثال السابع والعشرون

السفقاء

وإيهم أمر المشروب . وهم^(٥) من أقبج البدع والتنعط في الدنيا . قد كانت
الصحابة رضي الله عنهم وملكهم أوسع وأعظم من ملك الأتراك ، والأملاك

(١) أى بيت الطبل . ويشتمل على الطبول والأبواق وتواقيعها من الآلات .

(٢) كذا في د ، ل ، ز ، و في ف (في الضروب) وفي ط (في الضرب وقت الحرب) .

(٣) شكار بكسر الشين : الصيد في الفارسية ، قلعي : أمير الصيد ومتوليه .

(٤) كذا في كل النسخ ماعدا ط فقيها (أمير آخور) وكذا في هامش ل . والصواب ما أثبت

وآخور بعد الهجزة : الملقب ، وهو لفظ فارسي فناه أمير الملقب لأنه الثنوي لأمر الدواب ، وأهم
أمورها الملقب .

(٥) كذا في ف ، د ، و في ط (وهو) .

التي كانت في أيديهم أضعاف هذه الأموال بما لا يحصى إلا الله تعالى .
يكرعون^(١) في الماء . وعلى كل أرباب هذه الوظائف النصيح حـ يا^(٢) تقتضيه
وظائفهم . ونذكر الساقى بشئين : أحدهما أنه لا يحل لساقى يؤمن بالله
واليوم الآخر أن يحضر لخدمته منكراً^(٣) يشربه . وعليه إعمال الفكرة
والحيلة في سب هذا الباب ، وإبعاده عن الأمير بقدر طاقته وقدرته . وله أن
يكذب ويقول : لم أجد : أو ذهب ، وما شاء في هذا الباب مما لا يخفى على
صاحب القوى .

وإن رأى الأمير جباراً لا يرجعه عذراً^(٤) فعليه التوسط ودفع المنكر
ما أمكنه وإبعاده عنه : لاسيما في الأوقات التي يجلس فيها الأمير للحكم بين
الرعية . فبإوجب أمير يجلس للحكم بين الرعية وهو سكران ! وثانيهما حفظ
حقوق مخدميه ، والخشية عليهم من عدو يضع له في المشروب ما يهلكه من
سم ونحوه . ولقد بلغنا عن جماعة من المماليك السُّقاة قتل مخاديمهم لأغراض
الدنيا . فقبحهم الله من طائفة ! وجربنا فلم نجد مملوكاً ساعد على أستاذه
إلا وأهلكه الله قريباً ، ولم يحصل على شيء مما أمله ، بل تنعكس آماله
وتتغير أحواله .

(١) أي يصرون من غير الاستعانة بكوز أو قدح ، بل يتناولون الماء بأفواههم .

(٢) كذا في النسخ ، أعدا ف فليها (فيها) .

(٣) في نسخة على هامش له : منكراً .

(٤) يريد الغلب . ولم أتلف على هذه الصيغة في مصدر عذل .

المشال الثامن والعشرون

الطواشية^(١)

اعلم أن الممسوح : الذي ذهب^(٢) أنثياه وذكره بالكلية ، ذهب أكثر أصحابنا إلى جواز نظره إلى الأجنبية . وفيه وجه آخر^(٣) : أنه حرام ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد رحمهما الله . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يختاره . وأما الحصى : الذي ذهب أنثياه دون ذكره ، والمحبوب : الذي ذهب ذكره دون أنثيه فلا يحل لواحد منهما أن ينظر إلى الأجنبية على الصحيح . وهذا كله في نظر الطواشي إلى الأجنبية . أما نظره إلى سيده فأكثر أصحابنا أن نظر العبد إلى سيده حلال ، وإن كان سليم الذكر والأنثيين . هذا ما رجحه الرافعي والنووي . وعلى هذا نظر الطواشي أولى بالحل ؛ ولكن الصحيح عند الشيخ الإمام وجماعة أن نظر سليم الذكر والأنثيين إلى سيده حرام ؛ وهو الحق ؛ فكيف يباح نظر المالك لحسان الذين يفتنون بحالهم إلى سيداتهم ، والنساء ناقصات عقل ودين . أما إذا اجتمع كونه طواشياً وكونه^(٤) مملوكاً لسيده فهو أقرب إلى الجواز ممن لم يجتمع فيه الأمران . ولذلك^(٥) جواز مالك نظر المرأة إلى الطواشي إذا كان مملوكاً لها أو لزوجها ، ومنعه إذا لم يكن كذلك . ومن الطواشية الزمام^(٦) وهو الذي يخص النساء . ومن حقه غص

(١) واحد الطواشية طواشي ، وهو الحصى ، وهذا لفظ مولد لم يوجد في كلام العرب ، كما في شرح القاموس .

(٢) كذا في د ، ل ، ز ، ط . وفي ف (ذهب) .

(٣) كذا في ف . ولم تأت هذه الكلمة في سائر النسخ .

(٤) كذا في ل ، ز ، وفي ب ، د (طواشياً ومملوكاً) وفي ط (طواشياً ومملوكاً) .

(٥) كذا في ف ، د . وفي ط (وكذلك) .

(٦) وقد يقال له الزمام دار ، ويذكر صاحب صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٩٠) أن الأصل فيه زمان دار ، وزمان في الفارسية : انهاء ، ودار : المسك أي متول أمور النساء . غرقت إلى زمام دار .

بصره عما يخصهن ، والنصح لصاحب البيت ، وإعلامه بما يعجز عن إزالته من الريب ، ومنع أرباب الفجور من العجائز وغيرهن من الدخول عليهن ، ومنهم مقدّم الممالك وهو الذي إليه أمر المزدان . ولا يحل له المواطأة على الفجور بهم ، ولا يمكن^(١) بعضهم من مضاجعة البعض في فراش واحد . وقد كثر في هذه الطائفة نوع القيادة لخدمتهم ، وكذلك لغيرهم . وكذلك في الزمام كثر منهم القيادة . وذلك لما جبلت عليه الطواشية من نقصان العقول وشبههم^(٢) بالنساء : حتى قيل : ما اختلى طواشي بالنساء إلا وحدث نفسه بأنه رجل ، ولا بالرجال إلا وحدث نفسه بأنه امرأة . وقيل : الطواشية أشد الناس غيرة^(٣) وأكثرهم استحساناً^(٤) وقيادة على من تحت أيديهم : من امرأة أو مملوك . وفي كتب الحنفية أنه يكره استخدام الخصيان مطلقاً : لأنه تخريب على الخصاص المنهى عنه .

المثال التاسع والعشرون

الحاجب

والحجوبية^(٥) وظيفة قديمة كانت كسّفتي القيادة . وكان الحاجب يسمى قائد الجيش . ولم يكن في الزمان الماضي يحكم بل يمرض الجيش ، ويعتبر حاله ، وينبه إلى الأمير . والآن اصطلحت الترك على أنه يفصل [في] القضايا . فنقول : عليه رفع الأمور إلى الشرع ، وأن يعتقد أن السياسة لا تنفع شيئاً ؛ بل تضر البلاد والرعايا ، وتوجب الهرج والمرج . ومصلحة الخلق فيما شرعه الخالق

(١) كذا في ف . وفي باقي النسخ (يمكن) .

(٢) كذا في ف ، د ، و في ط (وشبههم) .

(٣) كذا في الأصول . وقد يكون : (عدم غيرة) حتى يناسب ما سيحكم عليه به .

(٤) الاستحسان هنا الديانة والقيادة على الحرم . وانظر شفاء القليل .

(٥) الذي في القاموس أن خطة الحاجب أي حرقه ووظيفة الحجابة . وكان المولدين صاغوا الحجوبية على مثال المروسية والمجوبية .

الذى هو أعلم بمصالحهم ، ومفاسدهم ؛ وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم . ولا يأتي الفساد إلا من الخروج عنها ، ومن لزمها صلت آيامه ، واطمأننت ؛ ولم يقض رسول الله صلى الله عليه وسلم نجه حتى أكمل الله لنا ديننا . وقد اعتبرت — ولا يفيتك مثل خبير — فوجدت ، ولا رأيت ، ولا سمعت بسطان ، ولا نائب سلطان ، ولا أمير ، ولا حاجب ، ولا صاحب شرطة يلقى الأمور إلى الشرع إلا وينجو بنفسه من مصائب هذه الدنيا ، وتكون مصيبته أبداً^(١) أخف من مصيبة غيره ، وآيامه أصلح ، وأكثر أمنا وطمأنينة ، وأقل مفاسد . وأنت إذا شئت فانظر تواريخ الملوك والأمراء العاديين ، والظالمين ، وانظر أى الدولتين أكثر طمأنينة وأصول آياما ؟ وكذلك اعتبرت فلم أر ولم أجد من يظن أنه يصلح الدنيا بعقله ، ويدبر البلاد برأيه وسياسته ، ويتعدى حدود الله تعالى وزواجره إلا وكانت عاقبته وخيمة ، وآيامه منقصة منكدة^(٢) وعيشه قلقا ، وتفتح عليه أبواب الشرور ، ويتسع الخرق على الراقع ، فلا يسدالة إلا وتفتح ثلمات ، ولا يرفع^(٣) فتنة إلا وينشأ بعدها فتن كثيرة . وعلى مثله يصدق قول الشاعر :

ترقع دينانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما ترقع

فن خطر له أنه إن لم يسفك الدماء بغير حق ، يضرب المسلمين بلا ذنب لم تصلح آيامه فعرفه أنه جهول باغ أحق حمار ، دولته قريبة الزوال ، ومصيبته سريعة الوقوع ، وهو شقي في الدنيا والآخرة . وإذا أخذه الله لم يفله ؛ قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليبا ، أخبر عز وعلا أنا إن^(٤) لم نحكم

(١) كذا في ف ، ل ، ز ، وفي د و ط من غير ذكر لفظ (أبدا) .

(٢) كذا في د وهامش ل . وفي ز ، ف (منكدة أو منكدة) . وفي ط (منكدة) .

(٣) في نسخة في هامش ل : يدفع .

(٤) كذا في ف ، ل ، ز (أنا لم نحكم) . وفي د (أن لم نحكم) . وفي ط (أنا لم تؤمن

هذا النبي العظيم ثم إذا حكم لم نجد في أنفسنا حرجاً وضيقاً وقلقاً من حكمه بل نطمئن له ونسلم ، وننقاد ونذعن . وإلا^(١) فنحن غير مؤمنين ، فكفى بهذه الآية واعظاً وزاجراً لمن وفقه الله تعالى . فإن قال حمار من هؤلاء : أنا من أين أعرف هذا وأنا عاتى تركى لا أعرف كتاباً ولا سنة ؟ قلنا له : هذا لا ينفعك عند الله تعالى شيئاً ؛ ألم يجعل الله لك عيين ، ولساناً وشفعتين ، وهداك التجدين . إذا كنت لا تعرف فاسأل أهل الذكر ؛ فإن هذا شأن من لا يعلم ؛ وإلا فأنت تأتى يوم القيامة وغرماؤك الذين ضربتهم وعاقبتهم يجرؤونك فى الخيال وأنت تسحب على وجهك ، ولا^(٢) ينفعك هناك شئ من هذه الأقاويل . وإن عجزت عن الفهم فمالك وللدخول فى هذه الوظيفة ١٩ دعها^(٣) .

إذا لم تستطع أمراً^(٤) فدعه . وجاوزه إلى ما تستطيع

المشال الثلاثون

النجباء^(٥) فى أبواب الحجاب والولاية وغيرهم

على الواحد منهم إذا جُهِز فى طلب أحد السكون فى الحركة ، والرفق بمن يطلبه . وحرام عليه أن يزججه ويُرعبه . فإن هو فعل فهلك أحد فى الدار — وكثيراً ما أجهضت حامل جنينها — أو أرتجف واحد من الصبيان فهلك فقد أوجب عليه بعض العلماء القصاص . وإن^(٦) كان إنما فعل ذلك لحطام

(١) قوله : (وإلا) لا داعى إليه ، وقوله : فنحن غير مؤمنين جواب (إن لم نحكم) .

(٢) كذا فى ف . وفى باقى النسخ بدون واو .

(٣) فى ل بعد قوله دعها : (وما أحسن ما قيل)

(٤) كذا فى ف . وفى باقى النسخ (شيئاً)

(٥) واحد النجباء نقيب . ونقيب القوم عربيتهم وضيقهم . ونقيب الخيش : الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء والأجناد ، وكأنه المراد هنا .

(٦) كذا فى ف . وفى باقى النسخ (وإذا)

الدنيا ، وأن يقال : النقيب الفلاني شاطر ناهض ، ما راح في شغل إلا وقضاء ، فذاك أقبح وأبشع . بل عليه الرقق ذاهبا وآتيا . وإذا عاد وعلم الحال ترفق في إنهائه ؛ بحيث لا يزداد الأمر شدة ، ولا الأمير حدة .

المثال الحادى والثلاثون

الوالى

وكان هذا الاسم قديما لا يسمى به إلا نائب السلطان . وهو الآن اسم لمن إليه أمر أهل الجرائم من اللصوص والخمارين وغيرهم . ومن حقه الفحص عن المنكرات : من الخمر والحشيش ونحو ذلك ، وسد الذريعة فيه ، والستر على من ستره الله تعالى من أرباب المعاصى ، وإقالة ذوى الهيئات عثراتهم . وليس له أن يتجسس على الناس ويبحث عما هم فيه من منكر ، ولا كبس بيوتهم بمجرد القال والقال ؛ قال الله تعالى : « ولا تجسسوا » . وثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تجسسوا » . قال العلماء : أراد بالظن سوء الظن . وقيل لابن مسعود : هذا فلان تقطر لحيته خمرا . فقال : إنا نهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به . أخرجه أبو داود^(١) وعن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنا نكف عن عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت تفسدهم » ؛ أخرجه أبو داود أيضا . فقل^(٢) للجاهل يخطر له أنه يصلح الناس بتبصير عوراتهم : رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البشر قال : إن اتبعنا أفسدتهم أو كدت . بل حق على الوالى — إذا تبين — أن

(١) يقال : كبس بيت فلان : هجم عليه والمراد أن يعجأه ، ويدخله على غرة .

(٢) كذا في ف ، د ، ط (أبو داود وغيره) والحديث في سنن أبي داود في أبواب الأدب وانظر ص ٢١٣ ج ٤ من سنن أبي داود للمصنوع على هامش شرح الزرقاني الموطأ .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفى ل (فليل لجاهل) . وفى ز (قبل لجاهل) .

يبحث سرّاً رجلاً ما مونا ينهى عن المنكر بقدر ما نهى الله ولا يزيد على ذلك . وما تفعله الولاية من إخراج القوم من بيوتهم ، وإزعاجهم وإزعاجهم وهتكهم ، كل ذلك من تحدى حدود الله تعالى ، والظلم القبيح . وليس للوالى غير أن يجلدهم فقط بسوط معتدل بين القضيب ^(١) والعصا ، لا رطب ولا يابس ، ويفرق السياط على الأعضاء ، ويتقى الوجه والمفاصل ، ولا يتقى الرأس على الصحيح ، وهو مذهب أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفيه وجه أنه يتقيه ، وهو مذهب على رضى الله عنه ؛ وبه قال أبو حنيفة . ولا يأتى على وجهه ولا يمد ، ولا يجرد عن ثيابه ، بل عن مقدار ما يدفع وصول الألم ؛ ويترك عليه قميص أو قميصان . ولا يقام حد الحجر في السكر بل يؤخر حتى يضيّق . فإن أقامه في السكر خطأ ولم يعده إذا أفاق ، نقله أبو حيان ^(٢) التوحيدى عن القاضى أبى حامد . فإن سمعت بوال بلغه عن جماعة أنهم على منكر فأتى بخيله ورجله ، وهتك ستر أناس سترهم الله تعالى ، ثم ضم إلى ذلك أخذ مال منهم تسميه الولاية التأديب والجنايات ، فاعلم أن صفقته خاسرة ؛ ليت شعرى آله أمره بهذا حتى يعتمد مع خلقه الذى يجب عليه التأديب هذا الوالى الذى يأخذ مال الناس من غير حله . فإن ضم إلى ذلك أن حد الحامل الفقير ولم يحد المتجوه ^(٣) الغنى فقد ضم ظلماً ^(٤) إلى ظلم . فإن زاد وأخرج القوم من بيوتهم وهتك حريمهم فقد باء بأقبح إثم ؛ فإن الله تعالى لم يأمر

(١) أى القضيب .

(٢) هو على بن محمد بن العباس صاحب الإنشاع والمؤانية ، والقباسات . وهو من أعلام القرن الخامس ، وله ترجمة في طبقات الشافعية في أول الجزء الرابع . وشيخه الأستاذ أبو حامد الإسفرايينى شيخ طريقة العراقيين في فقه الشافعية ، كانت وفاة أبى حيان في سنة ٤٠٦ هـ وانظر طبقات الشافعية ص ٢٦ ج ٣ .

(٣) يريد ذا الجاه . ولم تقف في اللغة على تجوّه في هذا المعنى ، وقد ورد وجهته ؛ جعلته وجهاً ، ولا بأس أن يقال في معناه : توجه ، فيكون الصواب في عبارة المؤلف (التوجه) وقد وجدنا في نسخة هامش لـ (التوجه) .

(٤) كذا في ف ، ط . وفي د (فقد ضم ظلمات بعضها فوق بعض وظلماً إلى ظلم) .

بذلك . ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه ، ومن الولاة من يتجاوز في الضرب المقادير ، ويتنوع في إيصال الآلام لمن يعاقبه بمجرد التهمة والظن ؛ أفما علم هذا الفاجر أن ضرب برى . أصعب عند الله تعالى من تخليّة ذي ^(١) جريمة . وبعض من طبع الله على قلبه من الولاة ، يأمر بالرجل أن يحرد ^(٢) ، فإذا شرع الجلاد في ضربه قام الوالي للصلاة ، وأطال — سمعت ذلك عن بعض ولاة القاهرة — فيستمر المضروب تحت الوصيّ والمقارع مادام الوالي في الصلاة . فقبحه الله ، آله أمره هذا ! وأى صلاة هذه !

ومن أحكام الولاة الفاسدة ، أنه إذا رفع إليهم من أزال بكارة امرأة أمرود بزواجها ، وكذلك إذا أحبلها : ظناً منهم أن ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب ، وهتك الزنا . وهذا خلاف دين الله تعالى ؛ فإن ولد الزنى لا يلحق بالزاني ، ولا يكون ابناً له ، ولا يرثه ، فيفعلون حراماً يستمر أبداً الآباد ، وهو جعل ولد الزنى ابناً يرث الزاني ويصلى عليه إلى غير ذلك من أحكام الأبناء . وحكم الله تعالى فيمن أزال بكارة امرأة بغير ^(٣) حق إن كانت مكرهة أنه يجب عليه مهر بكر وأرث ^(٤) البكارة هذا هو الصحيح ، وقيل : مهر نيب وأرث البكارة . وقيل : مهر بكر فقط . وكل منها وقع للرافعي ترجيحاً ، وتبعه النووي ، ولكن ^(٥) الأول هو التحقيق . وأما المطاوعة فلا يجب لها شيء .

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ط فقيها (من تخليّة غير برى) .

(٢) كذا في كل النسخ ماعدا ط فقيها (أن يحرد) .

(٣) كذا في د . وفي باقي النسخ (إن كانت مكرهة أنه يجب) .

(٤) يريد بأرث البكارة ما يعرف عند الفقهاء بالمسكوة . وهو الفرق بين قيمة المهر عنه سلباً وقيمه مبيعاً بفرسته رقيقاً . فهنا يقدر قيمة الزنى بها على فرض أنها أمة وهي بكر . وقيمتها وهي نيب . والأرث ما بين القيمتين .

(٥) كذا في كل النسخ ماعدا ط فقيها (لكن) .

المثال الثاني والثلاثون

البواب

وأهل الشام يسمونه المعروف ، وربما قيل المقدم وهو ^(١) رجل يباب
الوالى يكون بالمرصاد للصوص ؛ عليه الفحص عن أمرهم ^(٢) ؛ ليكشف عن
الحلق شرهم . وعليه مجانبة الهوى والميل . ولا بأس عندي إذا وقع له
متروك ^(٣) ، وغلب على ظنه أنه السارق لما اتهم به أن يُعْمِل الحيلة في تقريره
بأخذ المال من غير عقوبة ، ولا داعية إلى الإقرار على وجه يوجب القطع ؛
فإن القطع حق الله تعالى ، والفحص عنه لا ضرورة إليه ؛ لبنائه على المسامحة ،
بخلاف المال .

فهذه غالب وظائف الدولة .

المثال الثالث والثلاثون

أمرام الدولة

عليهم تفقد حال الأجناد ، وتعليمهم رعى الثغاب ، والمسابقة على الخيل ؛
بحيث يعرفون الطعان والضرب والحرب . وللأمر أن يختمهم في المسابقة
والمناضلة على الرهن إذا كان يبعث عزائمهم . والرهن في ذلك جائز . ومن
شرط العقد عليه لزمه ^(٤) إلا أن يكون على صورة القمار ؛ فهو حرام
لا يلزم فيه العرض . وصورة القمار أن يكون كل واحد منهما ^(٥) لا يتخلو عن
غنم أو غرم ؛ وذلك أن يُخرج كل واحد من الفارسين ديناراً مثلاً على أن
من سبق منهما أخذ الدينارين جميعاً . فهذا حرام ، إلا أن يكون هناك محلل ؛

(١) كذا في ل ولم تثبت في باقي النسخ .

(٢) كذا في ف ، د ، ط ، ز ، وفي ل (عن أمورهم) .

(٣) كذا في النسخ ماعدا ط ففيها (تردد) .

(٤) هم المروءون الآن بضباط الجيش .

(٥) كذا في د ، ط ، ل ، وفي ف (لزمه) .

(٦) كذا في النسخ ماعدا ل ففيها (منهم) .

وهو ثالث يسابقهما بفرس كفي^(١) افرسيهما على أنه إن سبقهما أخذ
الدينارين ، وإن سبقاه لم يغرم شيئاً . وتصح المسابقة على الفيلة والبغال
والحمير في الأصح . ولا يجوز^(٢) على الحمام ، ولا على غيره من الطيور .
ولا يجوز الضراع على الأصح . وما يعتاده الأمراء في هذا الزمان من لعب
الكرة^(٣) في الميدان حلال . وينبغي أن يقصدوا به تعليم الخيل الإقبال
والإدبار ، والكر والفِر .

وأما المراهنة في ذلك إن كانت من جانب واحد فهي جائزة ولكن لا يلزم
العوض فيها بل هي^(٤) تبرع إن شاء وفي به ، وإن شاء لم يفد . وإن كان
الرهن من الجانبين^(٥) كان قماراً حراماً . وأما العلاج^(٦) الذي يتعاطاه^(٧)
الشباب^(٨) فإن كان لا يضر أبدانهم ولا يشغلهم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهو جائز ، ولا يجوز فيه الرهن . وعلى الأمير إذا سار بالجيش الرفق بهم ،
والسير على سير أضعفهم ، وتفقد خيولهم ، وتقوية قلوبهم . ومن قبائح كثير
من الأمراء أنهم لا يوقرون أهل العلم ، ولا يعرفون لهم حقوقهم ، ويشكرون
عليهم ما هم يرتكبون^(٩) أضعافه . وما أحق^(١٠) الأمير إذا كان يرتكب^(١١)

(١) كذا في ف ، د ، وفي ط (كفى) والكنى . والكنز بمعنى واحد .

(٢) كذا في ف ، د ، وفي ط (تصح)

(٣) كذا في ط ، وفي د (من الكرة) وفي ف (من لعب الكرة) .

(٤) كذا في كل النسخ . معدا ط فيها (بل هو) .

(٥) كذا في كل النسخ . معدا ط فيها (من جاتين) .

(٦) العلاج هو إشالة الأحجار ورفعها . وكانوا يسابقون في ذلك . وفي هذه الأيام قد يعمرى

التسابق في إشالة كتل الحديد .

(٧) كذا في ف ، د ، وفي ط (يتعاطاه) .

(٨) كذا في ط ، وفي ف ، د (الشاب) .

(٩) كذا في ف ، وفي د (ما يرتكبون) . وفي ط (ما هم يرتكبون) . وكذا في هامش ل .

(١٠) كذا في ف ، وفي د ، ط (أفصح) .

(١١) كذا في كل النسخ . معدا ط فيها (يرتكب) .

معصية ووجد فقها يقال عنه ^(١) مثلها أن يلتزمه ^(٢) ويعيبه ^(٣) . وما له لا ينظر إلى نفسه مع ما حوله الله تعالى من النعم ! أما علم أن القبيح عند الله تعالى حرام بالنسبة إلى كل أحد ؟ وربما كان عند الفقيه ما يستر قبيحه ^(٤) وليس عند الأمير وراء ذلك القبيح إلا أمثاله من القبائح . فمما ^(٥) يتعين على الأمير إذا أنهى إليه عن أحد من أهل العلم سوءاً ألا يصدق : ويحسن الظن بهذه الطائفة ؛ فإن لحومهم مسمومة . وما رأيت أميراً يفض ^(٦) من جانب الفقهاء إلا وكانت عاقبته عاقبة سوء . فإن تيقن على أحد منهم سوءاً واتضح عنده كالشمس — ولن يصير ذلك إن شاء الله تعالى — فعلى الأمير بعد ذلك أن يفقد ^(٧) نفسه فإن كان هو أيضاً يفعل ذلك ^(٨) الفعل فليعُد على نفسه باللائمة ويقول : أنا أذنبت ذنبتين ؛ لأنى جاهل مرتكب هذا القبيح ، فكيف أؤاخذ هذا الذى لم يذنب إلا ذنباً واحداً وهو ^(٩) هذا القبيح ، فقد شاركى فى ارتكاب ^(١٠) الذنب وفارقنى فى أنه عالم وأنا جاهل ، فأنا أحسن منه ، لأنى صاحب ذنبتين ، وهو صاحب ذنب واحد . وبلغنا أن فقها رُفع إلى بعض الأمراء وهو سكران فأخذ الأمير يحلده ، والأمير ^(١١) أيضاً سكران ، فلما قام الفقيه قال : رب اغفر لى ^(١٢) ، وجاء إلى القاضي وقال : أقم على الحد ، فإن

(١) كذا فى النسخ كلها ما عدا ط فإنها (يقال له عنه) .

(٢) كذا فى ط ، ز ، و ، ف ، د (يفتقه) . وفى ل (يفتقه) .

(٣) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فقها (يفتقه) .

(٤) كذا فى النسخ ما عدا د فقها (يفتقه) .

(٥) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فقها (فإ) .

(٦) كذا فى ف ، ل ، و ، د (يفتقه) وفى ط (يفتقه) .

(٧) كذا فى د ، ط ، و ، ف (يفتقه) .

(٨) كذا فى ف ، د ، ل ، ز ، و ، ف (يفتقه) وفى ط (يفتقه) .

(٩) كذا فى ل ، ز ، د ، و ، ف ، ط (وهذا هو القبيح) .

(١٠) كذا فى ف ، د ، و ، ف (هذا الذنب) .

(١١) كذا فى كل النسخ ما عدا ط فقها (والأمير هذا سكران) .

(١٢) كذا فى النسخ ما عدا ف فلم تثبت فيها .

الأمير فاسق لا تصح^(١) إقامته الحد . فأهلك الله ذلك الأمير بعد أيام يسيرة .
ومن قبائحهم استكثرهم الأرزاق — وإن قلت — على العلماء ، واستقلالهم
الأرزاق — وإن كثرت — على أنفسهم . ورأيت كثيرا منهم يعيبون على بعض
الفقهاء ركوب الخيل ، ولبس الثياب الفاخرة . وهذه الطائفة من الأمراء يخشى
عليها^(٢) زوال النعمة عن قريب ؛ فإنها تبختر في أنعم^(٣) الله مع الجهل والمعصية .
وتنقم على خاصة خلقه يسيرا مما هم فيه . أفأ^(٤) يخشون ربهم من فوقهم ؟
ولو اعتبر واحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده . أفأ
يستحي هذا الأمير المسكين^(٥) من الله تعالى ؟ وإذا سلبه الله تعالى نعمته فلم
يتعجب ويسكى ؟ أو ما يدري أن واحدة من هذه المصائب تهلكه وتدمره ؟
وما أحسن ما رأيته منقوشا على دواة بعض الأمراء ، وهو من نظمي ، وأنا
أمرت بأن^(٦) يكتب :

حلفت من يكتب في بالله رب العالم
ألا يعد مدة تؤلم قلب عالم

ومن قبائحهم ما يذهبونه من الذهب في الأطرزة^(٧) الدريضة والمناطق
وغيرها من أنواع الزركش^(٨) التي حرّمها الله عز^(٩) وجل وزخرفة البيوت
سقفها وحيطانها بالذهب ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من

(١) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (لم تصح) .

(٢) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (عليهم) .

(٣) كذا في النسخ ما عدا د فيها (نعم) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف ، فيها (أما) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (المسكين) .

(٦) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (أن) .

(٧) جمع الطراز ، وهو علم يوضع على النوب ، يحتوي شعار السلطان أو الأمير . وقد كان

لسكّانة الطراز في اليهود السابقة دار خاصة تسمى دار الطراز .

(٨) كذا في ف ، ط . وفي ل (الزركش) . وفي ز (الزركش) . وفي د (الزركش) .

(٩) كذا في ف . وفي ل (تعالى وعز وجل) . وفي ط (تعالى عز وجل) . وفي د ، ز

(حرم الله وزخرفة) .

ضيق سكة^(١) المسلمين . وأنت إذا اعتبرت ما يذهب من الذهب^(٢) في هذه
الأغراض الفاسدة تجده قناطير مقنطرة لا يحصيها إلا الله تعالى ؛ فإنه لا بد
في كل^(٣) منطقة أو طراز ونحوه من ذهاب شيء — وإن قلَّ جداً — تأكله
النار ، وهو في الأبدية أكثر . فإذا ضمنت ذلك القليل إلى قليل آخر على
اختلاف^(٤) في البقاع والأزمان لم يحصر ما ضاع من القناطير المقنطرة من
الذهب إلا الله تعالى . ثم القدر الذي يسلم ولا يضيع يصير محبوساً عندهم
أطرزة ومناطق وسلاسل وكنائش^(٥) وسروجاً وغير ذلك من المحرمات
المختلفة الأنواع . ولو كان مضروباً سكة يتداوله المسلمون لانتفعوا به ،
ورخصت البضائع ، وكثرت الأموال . ولكنهم احتجروا^(٦) وفعلوا هذه القبائح
وطلبوا من الله تعالى أن ينصرهم ، ومنا أن ندعولهم . ولو أنهم اتقوا الله حق تقاته
لما افتقدوا إلى دعائنا . وهذا نائب^(٧) السلطنة في الشام الذي هو عندنا اليوم
لا يلبس طرازاً من ذهب ، ولا يفعل شيئاً من هذه المحرمات ، والله تعالى
ينصره ويؤيده . وقد ناب في دمشق ثلاث مرات ولم يخرج منها قط^(٨) إلا معززاً

(١) السكة في الأصل الطابع الذي يطبع به النقد من دراهم ودنانير ، وهو يكون من حديد .
والمراد بسكة المسلمين هنا النقد نفسه .

(٢) كذا في ف ، د ، ل ، ز ، د . وفي ط (ما يذهب بالذهب) .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز ، د . وفي ط (فإنه لا بد في تحلية منطقة) .

(٤) كذا في د ، ل . وفي ف (على اختلاف البقاع) وفي ط (على الاختلاف في البقاع) .

(٥) كذا في النسخ كلها ما عدا ط ففيها (كنائش) والكنائش واحد ما كنشوش —

بفتح الكاف — وهو البردعة تكون تحت السرج ، وكان يكتب عليها ألقاب السلطان أو
الأمير بالزركش والحرير في عهد الملائكة . انظر محبط المحيط ، وهامش السلوك ص ٥٢ ج ١ ص ٢ .

(٦) كذا في النسخ ما عدا ط ففيها (احتجروا) وفي هامشها (احتجروه) ، وقوله :

احتجروا أي استأثروا بالمال يقال : احتجروا الأرض أي ضرب عليها مناراً واختص بها .

(٧) يرى ناشر النسخة الأوروبية أن هذا النائب هو على السارديني . وهذا نائب حقيقة في

دمشق ثلاث مرات ، وقد ناب في المرة الثالثة سنة ٦٢ . ويقول ابن حجر في الدرر إنه مكث هذه

المرة دون السنة ، ووصفه بأنه كان متقاداً للشرع ، وكان يحب العلماء ويقر بهم ، وسكته يذكر

أنه كان منجراً عن المؤلف ، وترى ثناء المؤلف عليه ، على أن هذا لا غرابة فيه ، وهو مما يدل

على إنصاف المؤلف وتحرره الحق . وانظر ترجمة هذا النائب في الدرر السكينة .

(٨) كذا في ل ، د ، د . وفي ف لم تذكر لفظة (قط) .

مكرما . أفترى ذلك سدى ١ والله ^(١) لولا تفواه ^(٢) لما كان ذلك أبداً . وقد طلب الملك المظفر سيف الدين قطز ^(٣) شيخ الإسلام وسلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام بحضرة الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون وغيرهما من الأمراء ، وحادثه في الخروج إلى لقاء العدو من التتار ، لما دهموا البلاد ووصلوا إلى عين ^(٤) جالوت فقال له : أخرج وأنا أضمن لك على الله النصر . فقال [الملك ^(٥)] : إن المال في خزائني قليل ، وأريد الاقتراض من التجار . فقال : إذا حضرت أنت وجميع العسكر كل ما في بيوتكم وعلى نسائكم من الحلبي الحرام ، وضربته على السكة ، وأنفقته ^(٦) في الجيش ، وقصر عن القيام بكلفتهم ^(٧) أنا ^(٨) أسأل الله تعالى لكم في إظهار كنز من كنوز الأرض يكفيكم ويفضل عنكم . وأما أنكم تأخذون أموال المسلمين وتخرجون إلى لقاء العدو عليكم المحرمات من الأطرزة المزركشة ، والمناطق المحرمة ، وتطلبون من الله النصر ^(٩) فهذا لا سبيل إليه . فوافقوه وأخرجوا ما عندهم . ففرقه ، وكفى ، وخرجوا وانتصروا . وأنت ففكر وأحسب تقديرا : كم على وجه الأرض من طراز ومنطقة وحلي حرام ؟ ولم يكون مبلغه إذا اجتمع وضرب نقدا

(١) كذا في ل ، د . وقد سقط القسم من ف .

(٢) في ل : (تفواه لله) .

(٣) في النجوم الزاهرة ج ٧/٧٢ أن حادثة العزيز بن عبد السلام كانت بحضرة الملك المنصور على الذي خلفه قطز وتولى مكانه . وقد تولى الملك قطز الملك في مصر في دولة ممالك الترك سنة ٦٥٧ وقل سنة ٦٥٨ وقد كان له شرف النصر والحق اقترعة بالتتار . وكانت وفاة العزيز بن عبد السلام سنة ٦٦٠ هـ .

(٤) بلدة اطيقة من أعمال فلسطين ، كما في معجم البلدان .

(٥) كذا في ل . ولم يذكر هذا اللفظ في باقي النسخ .

(٦) كذا في ف . وفي كل الأصول (نفقته) .

(٧) كذا في ف ، ل ، د . وفي ز (يكلفهم) . وفي ط (يكلفتم) .

(٨) كذا ، والعريفة تضي أن يقال : فأنا أسأل .

(٩) كذا في ف ، د . وفي ط (النصر) .

يتعامل به المسلمون ؟ قال لي ^(١) مرة بعض الأمراء وقد حكيت له ~~كثيراً~~ ^(٢) ما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقطعهُ للأجناد ^(٣) وكذلك من بعده من خلفاء الصحابة رضى الله عنهم ، وخلفاء بني أمية ، وما كان عدد عساكرهم التي تضيق الأرض دونها . فقال : إذا كان عسكرهم هذا القدر العظيم ، وإقطاعاتهم هذه الإقطاعات ، فمن أين كانوا يحدون المال الذي يكفيهم ؟ والبلاد البلاد ما تغيرت . فقلت : من هذه الأطرزة والحلى المحرم والخيول المسومة . قال : كيف ؟ ^(٤) قلت : ما كانوا يعملون هذا الحلى ولا يشترون الفرس بمائة ألف [درهم ^(٥)] والملوك بخمسين ألفاً ، ولا يفتنون في الخيل إلى معشار ما انتهتم إليه . فقال : صدقت . ولقد سمعت أن واحداً منهم خرج مرة إلى الصيد فافتض هو وواليكه من بنات البر ما يزيد على سبعين بنتاً حراماً . فإذا فعل واحد منهم هذا الفعل ، وتنوع في الفسق بالغلمان والخمر والبرطيل ونحو ذلك ، ثم سلبه الله النعمة ، وسلط عليه أقل الأعداء في أيسر وقت لا يتعجب ؛ بل يذوق بأس الله إذا نزل بساحته . ومن منكراتهم ركوبهم والجنائب ^(٦) تقاد بين أيديهم مُسَرَّجة غير مركوبة ^(٧) ، وهم مع ذلك يحدون المحتاج ماشياً ولا يُركبونه ، وإنما يمشون بالجنائب للترش لا الحاجة . روى أبو داود ^(٨) من حديث سعيد ^(٩) ابن أبي هند عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تكون إبل للشياطين ، وبيوت للشياطين » . فأما إبل الشياطين

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط سقطت هذه اللفظة .

(٢) كذا في ف ، د ، ط . وفي ز (كثيراً مما كان) .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفي ز ، ل (يقطعهُ الأجناد) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (وكيف) .

(٥) كذا في ط . وفي باقي النسخ لم تثبت كلمة (درهم) .

(٦) جمع جنية ، وهي الدابة تقاد إلى جنب الراكب .

(٧) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (غير مركوبهم) .

(٨) وزد هذا في سنن أبي داود في أبواب الجهاد .

(٩) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقد سقط منها لفظ (سعيد) .

فقد^(١) رأيته : يخرج أحدكم بنجيات^(٢) معه قد أسبها ، فلا^(٣) يعلو بعيراً منها ، ويمر بأخيه قد^(٤) انقطع فلا يحمله . وأما بيوت الشياطين فلم أرها . قال سعيد : لا أراها إلا هذه الأقفاص التي تُستر بالديباج . قلت : الأقفاص المستورة بالديباج كالحفّة والمخار^(٥) وغيرها مما يتعاناها أهل الثروة . وهذا فيمن قاد الجنائب بالخيل . أما من يقودها ليحمل ضعيفاً يراه^(٦) في الطريق فهو حسن . وكذلك إذا قادها في الجهاد خشية أن فرسه تعجز . ومنها أن الجندي يقاتل ويخاطر بنفسه فيقتل في الحرب كافراً ، فلا يُعطونه سلبه ؛ والنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاه إياه حيث قال : « من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » . فيمنعونه ما أعطاه سيد الأولين والآخرين صلى الله تعالى عليه وسلم ويفترون^(٧) بذلك عزائم الجند ؛ فإن الجندي إذا عرف أنه يخاطر بنفسه فلا ينصف^(٨) فترت عزمته . وحق عليهم أن يعطوه سلب المقتول . وهو ثياب القتل ودرعه وسلاحه ومركوبه وسرجه ولجامه . وكذا سواره ومنطقته وخاتمه وما معه من النفقة ، ومن جنيب يقاد معه على الصحيح . وإنما يستحق السلب من ركب الخطر لكفاية شر كافر في حال الحرب . فلو رمى من حصن ، أو من الصف ، أو قتل نائماً ، أو أسيراً ، أو قتله بعد انتهزام الكفار ، فلا سلب له . ولو لم يقتله ولكن أسره أو قطع يديه أو رجله استحق سلبه على الجديد ؛ وخالف فيه الشيخ الإمام .

(١) كذا في ط . وفي (رأيته) وفي د (قد رأيته) .

(٢) كذا في النسخ ما عدا ط فيها (بيّنات) وهي جمع بنية ، وهي ضرب من الإبل .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ط فيها (ولا يعلو) .

(٤) في السن : انقطع به .

(٥) واحدها مخارة ، وقد استعملها البلاديون في هودج صغير . وهي في الأصل ضرب من

الصدق . وانظر شفاء الغليل .

(٦) كذا في د ، ط . وفي ف (رآه) .

(٧) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (يفترنون) .

(٨) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (ينصف) .

المثال الرابع والثلاثون

الإجناد

فإن^(١) حق الله سبحانه وتعالى عليهم وشكر نعمته اللطيف بالفلاحين .
فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جندياً والجندي فلاحاً ، فإذا كان لا يشكر
نعمة الله تعالى على^(٢) أن رفعه على درجة الفلاح فلا أقل من أن يكفى الفلاح
شره وظلمه . وعليهم^(٣) مصابرة العدو إذا التقى الجمعان . ولا ينهزم^(٤) الجمع
إلا عن أكثر من مثليه بماله وقمع ؛ كانهزام مائة عن مائتين وخمسين .
وأما انهزامه عن مثليه كعشرة عن عشرين فلا يجوز ، إلا أن ينصرف
متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة يستنجد بها . وإذا طلب الكافر المبارزة
استحب لمن جرب نفسه الخروج إليه بإذن أمير الجيش . وعليهم تأدية الأمانة
فيما حازوه من الغنائم ، وامثال أمر الأمير فيما لم^(٥) يخالف الشرع ، والتعاون
والتناصر واجتماع الكلمة .

المثال الخامس والثلاثون

أمراء العرب في هذا الزمان

وهم^(٦) الذين يظعنون وينزلون . وقد أنعم الله تعالى عليهم بالأرزاق
الوافرة ، والإقطاعات الهائلة ، ليرفعوا أذانهم عن المسلمين . ومن قبائحهم أنه
إذا قطع السلطان إقطاع واحد منهم تسلط^(٧) على قطع الطرقات وأذية من لم

(١) كذا في النسخ ما عدا ف قفيها (ومن) حق الله .

(٢) كذا في النسخ ما عدا ف فقد سقطت منها لفظة (على) .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ف قفيها (وعليه) .

(٤) كذا في ف ، د ، و في ز وهامس ل (ولا ينهزم) وفي ل (فلا ينهزم)

(٥) كذا في ف ، د ، ط ، وفي ل (فيما لا يخالف) .

(٦) هذا تفسير لعرب لا للأسماء كما لا يخفى .

(٧) كذا في النسخ ما عدا ف قفيها (تسلطوا) .

يؤذه ، وأخذ مال من لم يظلمه ، ولا يتوقفون في سفك الدماء لأجل هذا الغرض . وبذلك يقابلهم الله عز وجل . فلو أنهم صبروا واتقوا الله لكان خيراً لهم . ومن أعظمهم جرماً عرب الحجاز وعبيد عربها ، ربما^(١) اعتقد بعضهم حِلَّ أموال الحجاج ، وسفك دم امرئ مسلم حاج على درهم . ولا يخفى ما في ذلك من الجرأة على الله تعالى . وكثير من العرب لا يتزوجون المرأة بعقد شرعي ؛ وإنما يأخذونها باليد ، وربما كانت في عصمة واحد فنزل^(٢) عليها أمير غيره ، واستأذن أباه وأخذها من زوجها . فهات قل لي : أي ولد حلال ينتج من هذه ؟ لا جرم أنهم لا يلدون إلا فاجراً . ومن قبائحهم أنهم لا يورثون البنات ، ولا يمنعون الزنى في الجوارى ، بل جواريتهم يتظاهرن بالزنى مع عبيدهم . وكل ذلك من المورثات العظام .

المثال السادس والثلاثون

القاضي

وقد استوعبت كتب الفقه ما يتعين له وعليه . وخص جماعة من الأئمة كتاب القضاء بالتصنيف . ورى أن نحصر هذا المكان بالتنبيه على الهدية فنقول : قبول الهدايا من أقبح ما يرتكبه القضاة ، فليس^(٣) بابها بالكافية . وقد علم أن مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه لا يجوز له أن يقبل الهدية من لم تكن له عادة أن يهاديه قبل ولايته القضاء ، ولا من كانت له عادة مادامت له حكومة . والمذاهب في المسألة معروفة . وأنا أعتقد أنه يحرم على القاضي قبول هدية من يهدى للقاضي في العرف ليستعمل مخاطره لقضاء أربه . وذلك

(١) كذا في د ، ط ، ز ، وفي ل (وربما) . وقد سقطت هذه اللفظة من ف .

(٢) كذا في ز وهامش ل ، وفي باقي النسخ (ينزل) .

(٣) كذا في ف ، ط ، ل ، وفي ز ، د وهامش ل (فليس) .

يشمل كل من هو دون القاضى ، ومن هو مثله من قد^(١) يحتاج إلى القاضى ، وكثيراً من هو فوقه . ويخرج بعض من هو فوق القاضى ، كالمملوك الذين يصل إلى القاضى إنعامهم ، ولا يقصدون بذلك استئالة خاطره لقضاء حوائجهم عنده . فإن حوائجهم عنده إن كان من يراعيهم لا تحتاج إلى الهدايا^(٢) ؛ لما لهم من الجاه . وإلا فلا تفيد الهدية ؛ فأقول : يحرم قبول هدية القسم الأول : كانت له عادة قبل القضاء أم لم تكن ، كانت له حكومة أم لم تكن . ويجوز قبول هدية القسم الثانى بشرطين : أحدهما أن يوجد القاضى من نفسه أن حاله لم يتغير فى التصميم على الحق ، وأنه قبل الهدية كغيره من غيرها . وهذا يتأتى فى هدايا المملوك ، ولا يتأتى فى غيرهم . والثانى أن تجرى عادة ذلك الملك بفعل هذا مع من هو فى منصب هذا القاضى ، وإنما خصصت فصل الهدية بباب القضاء ، وإن كانت تشمل كل ولى أمر ؛ لأنها من القاضى أقيع .

ومن محاسن الشيخ الإمام رحمه الله تعالى كتاب « فصل المقال » فى هدايا العمال ، اشتمل على فوائد نفيسة ؛ فليست من شاء . ومما يتعين على القاضى تفهم الملك الحكم الشرعى فيما يُنبئ إليه من الوقائع ، ومناضلته عنده عنها ، وإفهامه أن ذلك هو الدين الذى إن حاد عنه هلك ؛ وإن اعتمده نجا ، وأن ينظر فى أمر الأوقاف والمستحقين ، من المشتغلين والمحتاجين وغيرهم . وهذا يخص قاضى الشافعية فى بلادنا والبلاد^(٣) الشامية ؛ لأنه^(٤) كبير القضاة ، وله النظر العام فى الأوقاف وغيرها ؛ فهو بذلك أوسع . وما هونت بعض القضاة فيه الأمر الحكم بالصحة ؛ فتراهم يقدمون عليه بمجرد ثبوت العقد والملك والحيازة . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يشدد النكير فى ذلك ، ويذكر للصحة

(١) كذا فى النسخ ما عدا ف فقد سقطت هذه اللفظة .

(٢) كذا فى النسخ ما عدا ف فيها (الهدية) .

(٣) كذا فى ز وهامش ل . وفى باقى النسخ (فى بلادنا البلاد الإسلامية) .

(٤) كذا فى النسخ ما عدا ف فيها (فإنه) .

المطلقة عنده اثنين وعشرين شرطاً : كون المبيع — مثلاً — طاهراً ، منتفماً به ، مقدوراً على تسليمه ، مملوكاً للعاقِد أو لمن يقع العقد له ، مرئياً رؤية لا تتقدم على العقد بزمان يمكن التغير فيه ، معلوماً . وكل واحد من البائع والمشتري كونه ^(١) بالغاً ، عاقلاً ، رشيداً ، مختاراً ، غير محجور عليه في تلك السلعة المبيعة ، وكون الثمن المعين مستجمعاً شروط ^(٢) المبيع . وأما الذي في الذمة فالعلم بقدره ، ووصفه ، وكون العقد بإيجاب وقبول لا يطول الفصل بينهما ، ولا يقترون به شرط مفسد ، وأن ينقضي الخيار والحال على ذلك . والدعوى ، والإنكار ، وقيام البينة بما ليس بظاهر وجوده من هذه الأشياء ، وسؤال الحكم ^(٣) وحضور المحكوم عليه أو وكيله أو المنصوب عنه . قال فهذه عشرون شرطاً . قال : والإعذار ^(٤) يختلف فيه . ووصيتي لكل قاض ألا يحكم إلا به ، ولا يحكم بعليه ، بل بالبينة . وفي اشتراط العلم ^(٥) بالملك الخلاف المعروف فيما لو باع مال ^(٦) أبيه عن ظن حياته فبان ميتاً ؛ فإن شرطناه فهي اثنان وعشرون شرطاً للصحة المطلقة . قال : وأما الصحة بالنسبة إلى المتداعين في شيء يتداعيانه ؛ كما إذا ادعى أحدهما أنه غير مرثى ، وكان الحاكم لا يرى اشتراط الرؤية ، فيحكم عليه بالصحة مع عدم الرؤية ؛ لأنه مذهبه ولم يحصل النزاع إلا فيه فهذا حكم بصحة مقيدة لا بصحة مطلقة . فلا يمنع حاكماً آخر من الحكم بفساده من جهة أخرى . وأطال الشيخ الإمام الكلام في الصحة

(١) بدل من (كل واحد من البائع والمشتري) .

(٢) كذا في ف ، د ، هـ ، وفي ط (أشروط) .

(٣) كذا في ف ، د ، هـ ، ل ، وفي ز (وسؤال الحاكم) وكذا في هامش ل ، ط .

(٤) الإعذار أن يبعث القاضي إلى المدعى عليه الذي لم يحضر مجلس القاضي رسولاً ينادي على بابه ثلاث مرات في اليوم : يا فلان ، احضر مجلس الحكم وإلا نصب عنك وكيلًا وقبِلت البينة عليك ، ويكرر هذا ثلاثة أيام . وقد استغنى عن الإعذار في هذه الأيام بإعلان المدعى عليه بالحضور ثلاث مرات في ثلاثة أيام بالطريقة العادية على يد أحد المحضرين .

(٥) كذا في النسخ ماعدا ط ففيها . (وفي اشتراط الحكم بالعلم) .

(٦) كذا في النسخ ماعدا ط ففيها (ملك أبيه) .

المطلقة فيما عده من الشروط في كتابه المسمى « وقت الصبحة »^(١) في الحكم بالصحة ، وهو كتاب لم يتممه . ومن كلام الشيخ الإمام رحمه الله في وصية أخرى للقضاة قال فيها بعد أن ساق حديث : (القضاة ثلاثة : واحد في الجنة ؛ واثانان في النار ؛ قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة ، وقاض قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ، وقاض قضى بغير الحق فهو في النار .) مانعه — ونقلته من خطه — : تنبه أيها القاضي لما أنت فيه من الأخطار ، وطب نفسا إذا حكمت بحق تعلم الله تعالى ، وإلا فلا ، واعلم أن الحلال بين ، وهو الذي تجده منصوصاً عليه في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو بحكما عليه ، أو عليه دليل جيد غير ذلك من سائر الأدلة الراجعة إلى الكتاب والسنة ، بحيث يشرح صدرك لأنه حكم الله تعالى . فهذا حكمك به عبادة تثاب عليه ؛ وينبغي لك أن تقصد به وجه الله تعالى ، فلا يكون حكمك به مخلوق ، ولا لغرض من أغراض الدنيا . فذلك تكمل العبادة فيه ، وتنال الأجر من خالقك . وإن حكمت به لغرض من أغراض الدنيا صح الحكم ، ولكن لا يكون لك فيه أجر . وما سوى هذا فهو على درجات : إحداها أن تحكم بذلك من غير قصد القرينة ، ولا غرض من الأغراض الدنيوية ، فهذا خير من القسم [الثاني]^(٢) الذي قبله ، الذي قصد به غرض دنيوي ، ولكنه يظهر أيضا أنه لا أجر فيه ؛ لعدم قصد القرينة . واعلم أننا لا نشترط وجود قصد القرينة عند الحكم ؛ بل نكتفي^(٣) به في أصل ولاية القضاء ، لأنه قد يشق استحضاره في كل حكم ، فنكتفي^(٤) به عند الدخول في أوله ، كما اكتفى بنية المجاهد في أول خروجه . الرتبة^(٥) الثالثة أن يكون الحكم مختلفا فيه ، وحصل ما يجوز

(١) كذا في ف . وفي ل ، ز (وقت الفسحة) وفي د (وقت الصبحة) وفي ط (بوقت الصبحة)

(٢) هذا اللفظ في ل ، وسقط في بقية الأصول .

(٣) كذا في د ، ل . وفي ط ، ز (يكتفى) وفي ف من غير نقط .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدل فليها (يكتفى) .

(٥) كذا في ف ، د ، ط ، ل . وفي ز وهامش (الرتبة) .

الإقدام على الحكم به من الأدلة الشرعية مع احتمال يمنع من انشراح الصدر له
الانشراح الكلى ، فهذا جائز ، والأجر فيه دون القسم المجمع عليه ؛ لأن
المصلحة في المجمع عليه أتم ، فالعبادة فيه أكمل ، وإن كان لا تقصير في هذا .
الرتبة الرابعة : أن تحصل شبهة تمنع من غلبة الظن بأن ذلك حكم الله تعالى ،
فلا يحل الحكم . الرتبة الخامسة : أن يعتقد أنه خلاف حكم الله تعالى ، فلا يحل
له الحكم ، وإن كان بعض العلماء قال به . الرتبة السادسة : أن يكون مجمعا على
أنه ليس بحكم الله تعالى ، فلا يحل الحكم . وهذه المراتب الثلاث عدم الحل فيها
مرتب ترتيبا لا يخفى . واعلم أن المرتبة الخامسة والسادسة ما أظن أحدا يقدم
عليهما إن شاء الله تعالى ، والمرتبة الرابعة قد تكون عند قيام الشك ومخالفة^(١)
الاحتمال . قد^(٢) تسول لك نفسك أو الشيطان أو أحد من الناس الإقدام
على الحكم لغرض من الأغراض ، ويسهل عليك لأنك لم تجزم بالتحريم ، فإياك
أن تقدم على الحكم ، فتدخل في قوله : وقاض^(٣) قضى بالحق وهو لا يعلم ،
فإذا كان الذى قضى بالحق وهو لا يعلم فى النار فالذى قضى وهو لا يعلم
والمقضى به متردد بين الحق والباطل كيف يكون حاله ؟ وفى هذه المرتبة
نجد كثيرا من إخوان السوء يسولون لك الحكم ، فإياك ثم إياك ، واستحضر
بقلبك غدا يوم القيامة إذا انتصب الجبار لفصل القضاء ، وجيء بالنبيين
والشهداء ، وجيء بك يامسكين ، وأنت كالقمحة ، بل كالذرة بين أرجل الناس
بل أقل من ذلك ، وفى ذلك الموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى
أنت نائبه ، وقد بلغك شريعته ، وجبريل الذى نزل بها عليه ، ورسول الله
تعالى وأنبيأؤه وملائكته والصديقون والشهداء كالسرج المضيئة فى ذلك
المشهد بين يدي الله تعالى ، وسألك الله تعالى بغير واسطة بينك وبينه :

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا ذلك فلنفيها (مجانحة) .

(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا ذلك فلنفيها (وقد) .

(٣) كذا فى ل ، ز . وفى باقى النسخ (فأمر قضى) .

لم حكمت في هذا الأمر ؟ ومن بلغك عن هذا ؟ ونظرت يمينا وشمالا فلم تجد هنالك سلطانا ولا أميراً ولا كبيراً تمن سؤل لك ذلك الحكم ، ورأيت نفسك غريباً حقيراً وحيداً ، ونظرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقدم في ذلك المشهد العظيم الذي ترجو شفاعته ، وقد حكمت بغير شريعته ، كيف يبقى وجهك معه ؟ أو كيف يبقى حالك عنده ؟ وسائر الأنبياء والرسل والملائكة وأهل ذلك الموقف من الصالحين ينظرون إليك والله تعالى ينظرك هل ينفعك ذلك الوقت أحد من أهل الدنيا أو مال أو جاه أو غير ذلك ؟ كلا والله لا ينفع^(١) فأنظر يا مسكين هذا الموقف ، فما علمت أنه ينجيك لا تستحي بسية فيه ، فافعله ؛ وما سوى ذلك كن منه على حذر ، ولو طلبه منك أكبر ملوك الأرض بماؤها ذهباً . وإن قيل لك : قد يكون توقفك تركاً للحكم الواجب ، قل : إنما يكون واجباً إذا ظهر ، وعند الشك لا ، وإذا دار الأمر بين التردد مع الشك والإقدام مع الشك ، كان التردد أسهل ، لأنه أخف وأقل جرأة^(٢) فهذا الذي تيسر ذكره بما أوصيتك^(٣) به أيها القاضي .

المشال السابع والثلاثون

كاتب القاضي

ومن حقه أن يعرف مدلولات الألفاظ العرفية والألفوية . وأن يكون حسن الفهم عن الالفاظين من عوام الواقفين والمقرئين وغيرهم ، وأن يلبه كل لفظ على ما لعله يشك في إرادته له . ولقد ضاع كثير من أوقاتنا^(٤) في مدلولات ألفاظ الواقفين ضياعاً مشوه الشروطين . وقد كثر من الشروطين

(١) هكذا في ف ، د ، ط وهامش ل ، ز . وفي ل (لا ينفعك) .

(٢) هكذا في ف ، د ، ط وهامش ل . وفي ل (جزاء) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (أوصيك) .

(٤) في ل : أوقاتنا .

أن يكتبوا في بيع القرية مثلا : خلا ما فيها من مسجد لله تعالى ومقبرة وملك لأربابه ، ووقف ؛ يذكرون ذلك بعد تحديد القرية ، ولا يحددون هذا المستثنى ، فيورث ذلك الجهل بالمبيع . قال الشيخ الإمام : إن كانت تلك المواضع معروفة للمتعاقدین صح البيع ؛ وإلا فيحتمل أن يفسد ؛ لأن جهالتها تقتضى جهالة الباقي المعقود عليه . ويحتمل أن يقال : الجملة معلومة ولا^(١) بضر جهالة القدر المستثنى ؛ قال : ولم أر فيه نقلا . وأما كتابة الشرطين الصداق في الحرير فختلف في جوازه . وأفتى النووي رحمه الله تعالى بتحريمه وعزاه إلى جماعات من أصحابنا ؛ ولكن الأظهر حله ؛ لأنه لمصلحة النساء . وقد كان الشيخ الإمام أولا امتنع من كتابة الصداق^(٢) على الحرير ، ثم رأيه يكتب عليه . وهذا آخر الأمرين منه . والتردد في المسألة شبيه باختلاف الأصحاب^(٣) في ألواح الصبيان .

المشال الثامن والثلاثون

حاجب القاضى

ومن حقه الاستئذان على ذوى الحاجات^(١) ، ورفع الأمور إلى القاضى حسبما ذكره الفقهاء .

- (١) كذا في ف . وفى ذ ، ط (فلا تضر) وفى ل (ولا تضر) وفى ز (فلا يضر) .
 - (٢) كذا في ط . وفى ف ، د ، ل (امتنع من الكتابة على صداق الحرير) .
 - (٣) للشافعية في مس ألواح الصبيان التي كتب فيها قرآن قولان : قول بالجواز ، وقول بالحرمة خلا على المصنف . وهذا الخلاف هو الذي بينه المؤلف .
- ووجه التشبه بين الموطئين أن وثيقة الصداق لمصلحة النساء ، ويتولى كتابتها الرجال ، فمن فقهاء من نظر إلى شأن النساء فيها فجوز أن تكتب على الحرير ، ومنهم من نظر إلى المباشر فحرم ذلك . وكذلك ألواح الصبيان هي مقدمة للصبيان الذين يحصل لهم المس دون طهارة ، فجوز بعضهم نظرا لذلك من الرجال لها مع الحدث ، ومنع بعضهم ذلك .
- (٤) كذا في د ، ف ، ط . وفى ل ، ز (المواضع) .

المثال التاسع والثلاثون

نقيب القاضى

ومن حقه تنبيه القاضى على الشهود ، وتلبيه الشهود على القاضى .

المثال الأربعون

أمناء القاضى

وعليهم التحفظ فى أموال الأيتام والغائبين . والصحيح عندنا تبعاً للشيخ الإمام أنه لا يجوز للقاضى إقراض مال اليتيم . وعلى الأمناء إذا أمر القاضى بصرف زكاة اليتيم تأديتها لمن يعينها له مهنة ميسرة ، ولا يجوز إخراجها قبل التحول . ومن أخرج أم اليتيم أن تتردد إلى بابه ^(١) لأخذ نفقة اليتيم [من ماله ^(٢)] فقد ظلم ظلماً عظيماً .

المثال الحادى والأربعون

وكلاء ^(٣) دار القاضى

وقد مدحهم قوم فقالوا : هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق ، ودمهم آخرون فقالوا : هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم . والحق عندنا أن من أراد منهم وجه الله تعالى محمود ، وإن تناول أجرته ؛ ومن أراد الخصام وإبطال الحقوق مذموم . ومن حقهم التفهم عن الموكل ، ومعرفة

(١) كذا فى النسخ ما عدا ط نقبها (إلى إنياته) .

(٢) كذا فى النسخ ما عدا ف فقد سقطت منها هذه العبارة ومى (من ماله) .

(٣) هم العرفون فى هذا العصر بالمحامين ، وقد عظم شأنهم ، وغلت مكانتهم فى أيامنا .

الواقعة ، والحق في أى الطرفين ، فلا يتوكل على الحق ^(١) معتذراً بأنه وكيل ، ولا يبدى من الحجة إلا ما يعرفه حقاً ، أو يقوله له الموكل وهو يجهل الحال فيعتمد عليه ، فإن عليه باطلاً وأدلى به فهو في جهنم .

المثال الثاني والأربعون

الشهود ^(٢)

وفهم ^(٣) قوام غالب المعاش والمبادلات . وقد ذكر الفقهاء ما لهم ، وما عليهم ، فاستوعبوا ، وذمهم قوم وقالوا : إن سفيان الثوري قال : الناس عدول إلا العدول ^(٤) ؛ وإن عبد الله بن المبارك قال : هم السفلة ؛ وأنشدوا :

قوم إذا غضبوا كانت رماحهم بثَّ الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين إلا أن حكمهم على السجلات والأملاك والدور

وقال آخر :

إياك أحقاد الشهود فإنما أحكامهم تجري على الحكم
قوم إذا خافوا عداوة قادر سفكوا الدماء بأسنة الأقلام

وقال آخر :

احذر حوائيت الشهور د الأخرين الأرذالنا
قوم لثام يسرقون ويخلفون ويكذبونا
وكل هذا عندنا غلو ، وإفراط ، وتجاوز . ومن سلك منهم ما أمر به

(١) كذا في النسخ ما عدل فيها (على الحق) .

(٢) كان اليهود في العهد الماضي قوماً يعرفون أحوال الناس ويشهدون في القضايا ، وقد نصبوا أنفسهم لذلك فصار ذلك حرقهم ، وكانت لهم حوائيت كما يطلقها الخامين في هذه الأيام مكاتب وقد عطلت حرفة الشهادة في هذا العصر .

(٣) في ل : (بهم) .

(٤) هم اليهود لأنه يمتنع فيهم العدالة ، وأحدهم عدل .

واجتنب ما نهى عنه محمود ماجور؛ غير أنه قد غلب على أكثرهم التسرع إلى التحمل، وذلك مذموم. وأخذ الأجرة على الأداء وهو حرام. وقسمة ما يتحصل لهم في الخانوت، وذلك منهم شركة أبدان، وهي غير جائزة فعلهم النظر في ذلك كله، ومراقبة الحق سبحانه وتعالى. وأما جهود القيمة^(١) فعلى خطر عظيم.

المثال الثالث والأربعون

ناظر الوقف ونحوه من المباشرين

من حق العارة والتنمية، وقول الأصحاب: إن ولي اليتيم لا تجب عليه المبالغة في الاستئمان، وإنما الواجب أن يستنمي قدر مالا تأكل النفقة والمؤن المال صحيح. ولكن الزيادة من شكر النعمة. وبما تعم به البلوى مدرسة غير محصورة عدد فقهاء، فنزل القاضي أو الناظر فيها أشخاصاً وقرر لهم من المعلوم ما يستوعب قدر الارتفاع^(٢)، فهل يجوز تنزيل زائد؟ قال ابن الرفعة: لا يجوز، قال الشيخ الإمام: وهو الذي استقر عليه رأيي، بشرط أن يكون في مدرسة قرر للفقيه مثلاً قدر معين. أما لو قرر عشرة فقهاء مثلاً ولم ينص في معاليهم على قدر ولا جزء معين من أصل الوقف — وهو غالب ما يقع في المدارس التي ليست بمحصورة — فلا يمتنع. ومنه ناظر وقف يؤجر خانوتاً أو نحوه خراباً بشرط أن يعمره المستأجر بماله، ويكون ما أنفقته محسوباً من أجرته. وهذه الإجارة باطلة؛ لأنه عند الإجارة غير منتفع به. أما إن كان الخانوت منتفعاً به فأجره بأجرة معلومة، ثم أذن للمستأجر

(١) في نسخة بهامش ل: القسمة. وشهادة القية تكون عند تقويم ما يتنازع فيه الشركاء توملاً للتقسيم، ويحول هذا في اصطلاح العصر الحديث.

(٢) يريد ربح الوقف وما يحصل من غلته. ويقال له في هذه الأيام: الإيراد.

في صرفها إلى العمارة جاز ، صرح به الرافعي في أوائل الإجارة . ولا يجوز إجارة الحمام بشرط أن تكون مدة تعطّله بسبب عمارة أو نحوها محسوبة على المستأجر لا على المؤجر .

المثال الرابع والأربعون

وكيل بيت المال

فن حقه ألا يبيع من أملاك بيت المال ما المصلحة في بقائه ، ولا يبيع إلا بعبطة ظاهرة . أو حاجة : كما في البيع على الثأم . وكثر في زماننا من وكلاء بيت المال من يبيع من الشارع ما يفضل عن حاجة المسلمين ؛ وقد أفت ابن الرفعة والشيخ الإمام الوالد رحمهما الله بأن ذلك حرام . وفتها العصر يترددون في انعزال وكيل بيت المال بانعزال الإمام الأعظم أو موته ، وكان الشيخ الإمام يرى أنه لا ينعزل بذلك .

المثال الخامس والأربعون

المحتسب

وعليه النظر في القوت ، وكشف نعمة المسلمين فيما تدعو إليه حاجتهم من ذلك ، والاحتراز في المشروب ؛ فظالما^(١) أوهم الخمار أنه فقاع^(٢) أو أقساماوى^(٣) ، والطعام^(٤) ؛ فظالما أوهم الطباخ أن اللحم الكلاب لحم ضأن .

(١) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (لريخا) .

(٢) الفقاع أو الفقاع : شراب يتخذ من أصناف الخلوات ، يرتفع في رأسه زبد وفتافيع ، فن هذا اسمه . وهو ما يعرف في هذه الأيام بالشربات . وانظر مطالع البدر ص ٨٨ ج ٢ .

(٣) أقساماوى ، ويقال : أقسا : نقيع الزبيب . قال في شفاء الغليل : وأثلته مجرب أسما .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ط (والمأكول) .

فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلَا يَكُنْ ^(١) سِبْياً فِي إِدْخَالِ جُوفِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) مَا كَرِهَهُ اللَّهُ لِمَنْ مِنَ الْخَبَائِثِ ، وَيَحْرَمُ عَلَيْهِ التَّسْمِيرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ عَلَى الصَّحِيحِ ، وَقِيلَ : يَحْجُوزُ فِي زَمَانِ الْغَلَاءِ ، وَقِيلَ : يَحْجُوزُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَجْلُوباً ، بَلْ كَانَ مَزْرُوعاً ^(٣) فِي الْبَلَدِ ، وَكَانَ عِنْدَ الشِّتَاءِ ^(٤) . وَإِذَا سَمَرَ الْإِمَامُ انْقَادَتِ ^(٥) الرِّعْيَةُ لِحُكْمِهِ ، وَمَنْ خَالَفَهُ اسْتَحَقَّ التَّعْزِيرَ . وَمِنْ مَهْمَاتِ الْمُحْتَسِبِ — لَا سِبْياً فِي بِلَادِ الشَّامِ — أَمْرَانِ ارْتَبَطَا بِهِ : أَحَدُهُمَا النُّقُودُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الْمَضْرُوبِينَ ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ فِي رِغَالِهِمَا هَلَاكُ أَمْوَالِ الْبَشَرِ ؛ فَعَلِيهِ اعْتِبَارُ الْعِيَارِ بِمَحَلِّ النَّظَرِ ، وَالتَّثَبُّتِ فِي سِكَكِ الْمُسْلِمِينَ . وَثَانِيهِمَا الْمِيَاهُ . فَعَلِيهِ الْإِحْتِرَازُ فِي سِيَاقَتِهَا ^(٦) . وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ أَنَاسٍ فِي الشَّامِ أَنْ يَشْتَرِيَ بَعْضُهُمْ قَدِراً مَعْلوماً مِنْ مَاءِ نَهْرِ تَوْرَى أَوْ بَانَسٍ ^(٧) مثلاً ، وَيَتَحَيَّلُ لَصِحَّتِهِ بِأَنْ يُوْرَدَ الْعَقْدُ عَلَى مَقَرِّهِ بِمَالِهِ فِيهِ مِنْ حَقِّ الْمَاءِ ، وَهُوَ كَذَا ^(٨) إَصْبَعاً ثُمَّ يَسُوقُهُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى مِيَاهِ النَّاسِ بِرِضَا طَائِفَةٍ بِسِيرَةٍ ^(٩) مِنْهُمْ . وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَشْدُدُّ النِّكَيرَ فِي هَذَا . وَلَهُ فِيهِ تَصْلِيفُ سَمَاءِ السَّكَّالِمِ عَلَى أَنْهَارِ دِمَشْقَ . . وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي أَنْهَارِ دِمَشْقَ سَوَاءٌ يَقْدَمُ الْأَعْلَى مِنْهُمْ قَالاً أَعْلَى . وَلَا يَحْجُوزُ بَيْعُ شَيْءٍ مِنَ الْمَاءِ وَلَا مَقَرِّهِ ، وَلَا يَفِيدُ رِضَا قَوْمٍ وَلَا كَلْهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ إِلَّا الْإِنْتِفَاعَ ، بَلْ وَلَا رِضَا أَهْلِ الشَّامِ بِحِمْلَتِهِمْ ^(١٠) لِأَنَّ رِضَاهُمْ لَا يَكُونُ رِضَاً مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَنْ يَحْدُثُ مِنَ الْخَلْقِ .

(١) كَذَا فِي ف . وَفِي د ، ل (وَلَا يَكُونُ) وَفِي ط وَلَا يَهْمِلُ شَيْئاً يَدْخُلُ جُوفَ الْمُؤْمِنِينَ .

(٢) كَذَا فِي ف . وَفِي د (الْمُؤْمِنِينَ) .

(٣) كَذَا فِي ف . وَفِي د ، ط يَزْرَعُ .

(٤) كَذَا فِي ط ، ف . وَسَقَطَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَكَانَ عِنْدَ الشِّتَاءِ فِي د .

(٥) كَذَا فِي ف . وَفِي د ، ط انْقَادَ .

(٦) كَذَا فِي ف ، وَفِي ط (سِيَاقَتِهَا) وَفِي نَسْخَةٍ فِي هَامِشِ ل (سِيَاقَتِهَا) .

(٧) تَوْرَى وَبَانَسٌ مِنْ أَنْهَارِ دِمَشْقَ .

(٨) كَذَا فِي ف . وَفِي د (كَذَا كَذَا) .

(٩) فِي ل (يَشْتَرِيهِ) .

(١٠) كَذَا فِي د ، ط . وَلَمْ يَذْكُرْ فِي ف كَلِمَةَ (بِحِمْلَتِهِمْ) .

المثال السادس والأربعون

العلماء

وهم فرق كثيرة : منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والمتكلم ، والنحوي وغيرهم ، وتشعب كل فرقة من هؤلاء شعوباً وقبائل . ويجمع الكل أنه حق عليهم إرشاد المتعدين ، وإفتاء المستفتين ، ونصح الطالبين ، وإظهار العلم للسانين ؛ فمن كتم علماً أجهل الله بهجام من نار ، وألاً يقصدوا بالعلم الرثاء والمهااة والسمعة ، ولا جعله سبيلاً إلى الدنيا ؛ فإن الدنيا أقل من ذلك . قال : الفضيل ^(١) رحمه الله : إني لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنيا افتقر ، وعالماً تلعب به الدنيا . وأشد بعضهم :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب ^(٢)

فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخسستها ، وكدورتها وانصرامها ، وعظم الآخرة وصفاءها ودوامها ، وأن يعلم أنهما متضادتان ، وأنهما ضرَّتان ؛ متى أرضيت واحدة أسخطت الأخرى ، وكفَّنا ميزان ؛ متى رجحت إحداها خفت الأخرى ، وكالمشرق ^(٣) والمغرب ؛ متى قرُبَت من أحدهما بُعدت عن الأخرى ، وكمدَّ حين أحدهما مملوء فبقدر ما نصب منه في الآخر تفرغ ^(٤) من هذا فمن لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالعموم فاسد العقل ؛ فإن المشاهدة والتجربة ترشد العقلاء إلى ذلك ، فكيف يكون في العلماء من لا عقل له ! ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر لا إيمان له ، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ! ومن لا يعلم أنهما ضرَّتان والجمع بينهما بعيد فهو

(١) هو ابن عياض ، الزاهد المشهور . وكانت وفاته سنة ١٨٧ هـ . وانظر النجوم الزاهرة .

(٢) في ل بعد هذا البيت : وأعجب من هذين من باع دينه دنياه سواء فهو من ذن الخرب .

(٣) في ل : (والمشرق) .

(٤) كذا في ف . وفي ط (يفرغ من الأول) وفي د (يفرغ من هذا) .

جاهل . ومن علم هذا كله ، ثم آثر الحياة الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان ؛ قد أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعدُّ من العلماء من هذه درجته . ووَحق^(١) الحقُّ إني لأعجب من عالم يجعل علمه سبيلا إلى حطام الدنيا ، وهو يرى كثيراً من الجهَّال وصلوا من الدنيا إلى مالا يقتنى هو إليه ؛ فإذا كانت الدنيا تُنال مع الجهل فما بالنا نشترها بأنفس الأشياء وهو العلم ؟ فينبغي أن يقصد بالعلم وجه الله تعالى ، والترقى إلى جوار الملائكة الأعلى . والكلام في العلماء وما ينبغي لهم بطول ولبنا نُدبُه على مهمَّات ؛ فمن هؤلاء من يطلب العلم في الدنيا والتردُّد إلى أبواب السلاطين والأمراء كما ذكرناه ، وحبُّ المناصب والجاه ، فيؤدى ذلك إلى أن قلبه يُظلم بهذه الأكدار ، ويحول صفاؤه هذه الأمور التي تُظلم القلوب ، وتُبعد عن علام الغيوب ، وإلى أنه يشتغل بهم وبها^(٢) عن الازدياد في العلم ؛ فكم رأينا فقيها تردُّد إلى أبواب الملوك فذهب فقهه ، ونسى ما كان يعلمه ، وإلى فساد عقيدة الأمراء في العلماء فإنهم يستحقرون المتردد إليهم ، ولا يزالون يعظمون الفقيه حتى يسألهم في حوائجه . ويشول^(٣) ذلك إلى أنهم يظنون في أهل العلم سوء ولا يطيعونهم فيما يفتون به ، وينقصون^(٤) العلم وأهله ؛ وذلك فساد عظيم ، وفيه هلاك العالم . وإذا قال لك فقيه : إن التردُّد إلى أبواب السلاطين لإعزاز الحقِّ ونصرة الدين ، وانغرض من الأغراض الصحيحة ، فقل له : إن صحَّ ما نقول — وأنت أخبر بنفسك — فأنت على خطر عظيم ؛ لأنَّك قد انغمست في الدنيا ، وأنت تدعى أنك تقصد بها الآخرة . وإن ثبت هذا فما تأمن عليك أن تنجرَّ مع الدنيا . ولذلك كان سفيان الثوري رحمه الله يقول : إن دعوك لتقرأ عليهم

(١) كذا في ف ، ط . وفي د (وحق) .

(٢) في ل (وجها) .

(٣) كذا في ف ، ط . وفي د سقط لفظ (ويشول ذلك) .

(٤) في نسخة في هامش ل (ينقصون) .

« قل هو الله أحد » فلا تمض ، ولا تقرأها . وبإجملة أنت أخير بنفسك ، فابحث عنها . أنشدنا الحافظ أبو العباس بن المظفر^(١) الأشعري بقراءتي عليه قال : أنشدنا الحسن^(٢) بن علي بن أبي بكر محمد بن الخلال بقراءتي عليه^(٣) قال : أنشدنا جعفر الهمداني سمعا قال : أنشدنا أبو محمد^(٤) عبد الله بن عبد الرحمن ابن يحيى العثماني الديباجي الإمام قال : كتب إلى العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري^(٥) من مكة وأجازني^(٦) وكتب^(٧) إلى أحمد بن علي الحنبلي وزير^(٨) بكت الكمال وفاطمة^(٩) بنت أبي عمر عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ أبي طاهر^(١٠) السلفي عن الزمخشري قال : أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي قال : أنشدنا أبو سعد النحس بن محمد الجشمي قال : أنشدنا الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن قال : أنشدنا القاضي أبو الحسن علي^(١١) بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه :

يقولون لي : فيك انقباض . وإني رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ومن أكرمه عزة النفس أكرما

- (١) كذا في ف ، ل ، د ، وفي ز (أبو العباس المظفر) .
- (٢) في ف (أنشدنا الحسن علي بن أبي بكر محمد بن) وفي ل ، ط (أنشدنا الحسن بن أبي بكر بن محمد بن الخلال) وفي ز (الحسن أبي بكر الخلال) وفي د (أنشدنا الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال) وكانت وفاة ابن الخلال سنة ٧٠٢ هـ كما في الشذرات ص ٤ ج ٦ والدرر الكامنة (٣) كذا في ز ، د . وقد سقط لفظ (عليه) من باقي النسخ .
- (٤) كذا في ف ، ز ، ط ، وفي ل (أبو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن) .
- (٥) كانت وفاة الزمخشري سنة ٥٢٨ هـ .
- (٦) كذا في ف ، د ، ز ، وفي ل ، ط (وأجازني حينئذ) - و (ج) عند المحدثين رمز لتحويل الإسناد . أي إن المؤلف إلى الزمخشري طريقين ساهما هكذا .
- (٧) كذا في كل النسخ ما عدا ز فليها (كتب) .
- (٨) هي المرأة الصالحة القدسية ، توفيت سنة ٧٤٠ هـ من الشذرات ص ١٢٦ ج ٦ .
- (٩) توفيت فاطمة سنة ٧٤٧ هـ الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٥ .
- (١٠) كذا في د ، ف ، ل . وفي ز (الحافظ بن طاهر) وفي ط (الحافظ بن أبي طاهر) وكانت وفاة الحافظ السلفي سنة ٥٧٦ هـ وانظر ابن خلدون وحسن الحاضرة .
- (١١) هو صاحب الوساطة بين النبي وخصومه ، له ترجمة واسعة في البيهقي ، وترجم له ابن خلدون ، وكانت وفاته سنة ٣٦٦ هـ وقد أورد المؤلف هذا الحديث كله في طبقاته ص ٣٠٨ ج ٢ .

وما كل برق لاح لي يستفزني
ولاني إذا ما فاني الأمر لم أبت
ولم أقصر حق العلم إن كان كلما
إذا قيل : هذا منهل قلت : قد أرى
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
الشيء^(١) به غرسا وأجنيه ذلة
ولو أن أهل العلم صانوه صاهم
ولكن أذلوه فهان ، ودنسوا

فلقد^(٢) صدق هذا القائل : لو عظموا العلم لعظمهم . وأنا أفرا قوله : لعظما
بفتح العين فإن العلم إذا عظم يعظم^(٣) وهو في نفسه عظيم ؛ ولهذا^(٤) أقول :
ولكن أهانوه فهانوا ؛ ولكن الرواية فهان ولعظم بضم العين ، والاحسن
ما أشرت إليه . وقد نحا شيخ الإسلام^(٥) تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله
تعالى نحو هذه الآيات فقال :

يقولون لي : هلا نهضت إلى العلا فما لذ عيش الصابر المتقنع
وهلا شددت العيس حتى تحلها^(٦) بمصر إلى ظل الجناب المرفع
ففيها من الأعيان من فيض نفه إذا شاء رؤى سيله كل بلقع

(١) ق ل . (أ أسق) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (فقد) .

(٣) كذا في ز . وفي ق (إذا عظم لعظم) وفي د ، ل ، ط (تعظم) .

(٤) كذا في ل ، ط . وفي باقي النسخ (وبهذا) .

(٥) هو محمد بن علي القشيري ، قيل عنه : إنه العالم الميعوث على رأس سبع المائة على ما في الحديث . نشأ في فوس وفتح بها وذاع صيته ثم رحل إلى القاهرة وسمي مجده ، قيل : كان السلطان لابن يعزل له عن سريرته ويقبل يده ، وقد ولي القضاء بالديار المصرية ، وكانت وفاته سنة ٧٠٢ هـ وله ترجمة مبسطة في طبقات الناقية في أول الجزء السادس ، وترجم له أيضاً في الدور السكينة .

(٦) يجوز أن يكون من الإحلال ، أي حتى نزلها ، ويجوز أن يكون من الحسل ، أي تحل رملها ، وهو أسب بقوله : شددت .

وفيه قضاء ليس يخفى عليهم وفيها شيوخ الدين والفعل والآل وفيها ، وفيها ، والمهانة ذلة فقلت : نعم أسمى إذا شئت أن أرى وأسمى إذا مالذ لي طول موقفي وأسمى إذا كان النفاق طريقتي وأسمى إذا لم يبق في بقية فكم بين أرباب الصدور مجالسا^(١) وكم بين أرباب العلوم وأهلها مناظرة تحمي^(٢) النفوس فتنتهي^(٣) إلى^(٤) السفة المزرى بمنصب أهله فإما توفى^(٥) مسلك الدين والتقى

تعين^(١) كونه العلم غير مضيع ويشير إليهم بالعملا كل إصبع فتم واسع واقصد باب رزقك واقرع ذليلا مهانا مستخفا بموضعي على باب محبوب اللقاء بمنع أروح وأغدو في ثياب التصنع أراعي بها حق التقى والتورع تشب بها نار الغضى بين أضلعي إذا بحثوا في المشكلات يجمع وقد شرعوا فيها إلى شر مشرع أو الصمت عن حق هناك مضيع وإما تلقى غصنة المتجرع

ومنهم من يضيع كثيراً من وقته في طلب القضاء وغيره من المناصب فإن كان مراده القوت فالقوت يحى بدون ذلك ، وإن كان مراده الدنيا فقد كان في اشتغاله بصنعة الاجتاد والدواوين وغيرهم من العامة ما لعله أنجح في مقصده ؛ فإن الدنيا في أيدي أولئك أكثر . ومن هذه الطائفة من يقول : أكرهت على القضاء : وأنا لم أر إلى الآن من أكره على القضاء إلا كراه

(١) في طبقات الشافعية ص ٩ ج ٦ : (يعين) وكأنه تحريف .

(٢) في نسخة في هامش ل (مجالس) .

(٣) أي تجعلها حامية متقدمة من الغضب .

(٤) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (فتش) .

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (من السفة) .

(٦) أي اجتناب مسلك الدين . أي هو بين أمرين : ألا يعني بأمر الدين فيخوض فيها يخوضون ، غير مهال عافية ذلك ، وإما أن يبالي بهذا فيجوز الأسف والنمعة على اقتراف الآثام في المناظرات والمجادل .

الحقيقي^(١) . وقد ضرب جماعة من السلف على أن يلوا القضاء فأبوا ، وسُئِر
باب أبي علي بن خيران^(٢) مدة . وما ذاك إلا لأنهم يخشون ألا يقيموا فيه
الحق لفساد الزمان ، وإلا فالقضاء إذا أمكن فيه نصر الحق من أعظم القربات ؛
ولكن أين نصر الحق وهم لا يدخلون فيه إلا بالسعي ، وربما بذلوا عليه
الذهب ؟ ومذهب كثير من العلماء أن من يبدل الذهب على القضاء لا تصح
أحكامه . ولا يخفى أنه إذا فسق^(٣) لم يكن نافذ الأحكام . وكأني بأحق من
الفقهاء ، يقول : تعين على طلب القضاء ، وأنا لا يخفى على ما قاله الفقهاء
فيمن تعين عليه ، ولكن من ذا الذي تعين عليه ؟ فقائل هذا الكلام إما ممن
لبست عليه نفسه ، واستزله الشيطان من حيث لا يدري ، أو ممن يريد
التلبس على الناس ، فهو إبليس من الأبالسة ، نعوذ بالله منه ؛ وما فعلت
هذه الطائفة ولا كان ثمره عليها إلا أن جعلت العلم حطام الدنيا ، ثم أخذت
تُداجي في دين الله تعالى ، وتلبس على الخلق ، وتاكل الدنيا بالدين ، فقبحها
الله تعالى من طائفة ! أخبرتنا شقراء بنت يعقوب بن إسماعيل بن عبد الله
ابن عمر بن قاضي اليمن قراءة عليها وأنا أسمع قالت : أخبرنا جدي إسماعيل
وأخوه إسحاق أخبرنا عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ أنا أبي شيخ الشيوخ
أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد بن أحمد النيسابوري الصوفي أنا الشيخ
أبو القاسم علي بن محمد بن علي النيسابوري الكوفي سنة تسعين وأربعمائة قال :
سمعت القاضي أبا مسعود — يعني صالح بن أحمد بن القاسم بن يوسف من مشايخي —
يقول : سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن صالح^(٤) الثمار يقول : سمعت أبا بكر

(١) كذا في ف ، وفي د (الفرعي) بدل الحقيقي .

(٢) هو الحسين بن صالح بن خيران ، أحد أركان الشافعية ، عرض عليه القضاء في بغداد
فامتنع . وكانت وفاته سنة ٣٢٠ هـ ، وخلفه امتناعه عن القضاء مهوولة في الفلقات لهؤلاء
ص ٢١٢ ج ٢ .

(٣) في ل زيادة : (بدل الذهب) .

(٤) كذا في ف ، د ، وفي هـ : (البصري) وفي ز (سمعت أبا الحسن علي بن أحمد البصري
الصوفي عبيد الله يقول : سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن صالح الثمار) .

محمد بن يحيى العدوى يقول : سمعت عبد السميع بن سليمان يقول : سمعت
عبد الله^(١) بن المبارك يقول وقد بلغه عن ابن^(٢) عليه رحمهما الله أنه قال
ولي الصدقات بالبصرة فكتب إليه هذه الآيات :

يا جاعل العلم له بازيا يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعد ما كنت دواء للمجانين
أين رواياتك فيما مضى عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك في سردها لترك^(٣) أبواب السلاطين
إن قلت : أكرهتُ فذاً باطلاً زلَّ حمارُ العلم في الطين

قال : قلنا بلغت هذه الآيات ابن عُلَية بكى واستغنى وأشأ يقول :

أف لدنيا أبت تواتيني إلا بنقضي^(٤) لها عُرَى ديني
عني لحبتي ضمير مقلتها تطلب ما سامها لترضي
وأنشد بعضهم في قاضيين عُرِل أحدهما وولى الآخر :

عندي حديث طريف بمثلـه يُتَغنى
في قاضيين يمزى هذا وهذا يُهَى
هذا يقول : أكرهونا^(٥) وذا يقول : استرحنا
ويكذبان جميعاً ومن يصدق منا

(١) هو الورع النقي ، كان من أثبت الناس في السنة توفي سنة ١٨١ هـ ، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ص ١٥٢ ج ١٠ .

(٢) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مضم ، وعليه أمه ، وهو محدث البصرة وعالمها ، توفي سنة ١٩٣ هـ وله ترجمة واسعة في تاريخ بغداد ص ٣٢٩ ج ٦ .

(٣) كذا في ف ، وفي د ، ط (في ترك) .

(٤) في ل (بقض) .

(٥) كذا في ف ، د ، ل ، ط ، وفي ز (جبرنا) و (أكرهونا) يحذف الميم للضرورة

فإذا بلا^(١) الله تعالى أهل هذه الخرقه^(٢) بولاية الجهال عليهم ، ووصول وظائف القضاء ومناصب الدين لغير أهلها ، أليس ذلك عدلاً من الله تعالى ! ومنهم المؤرخون . وهم على شفا جرف هار ؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس ، وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب ؛ فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغص منه . وربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة ، واعتقاد أنهم على ضلال ، فيقع فيهم ، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك ؛ وكثيراً ما يتفق هذا لشيخنا الذهبي رحمه الله في حق الأشاعرة . والذهبي أستاذنا — والحق أحق أن يتبع — لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد عليه في الضعة من الأشاعرة . وقد أطلعنا في تقرير هذا الفصل في الطبقات^(٣) الكبرى ، وحكينا في ترجمة أحمد بن صالح المصري ما ذكره الشيخ الإمام في شروط المؤرخ ، ومن كلام أبي عمر بن عبد البر وغيره ما يزداد به الإنسان بصيرة . ومن ذلك فقهاء عصر واحد ؛ فلا ينبغي سماع كلام بعضهم في بعض . وقد عقد ابن عبد البر باباً في أن كلام العلماء بعضهم في بعض لا يقبل ، وإن كان كل منهم بمفرده ثقة حجة . ومنهم من تأخذه في الفروع الحجة لبعض المذاهب ، ويركب الصغب والدلول في المصيبة وهذا من أسوأ أخلاقه . ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبائع في التعصب بحيث يتمتع بعضهم من الصلاة خلف بعض إلى غير ذلك بما يستقبح ذكره . وبأوضح هؤلاء ! أين هم من الله تعالى ! ولو كان الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى حينئذ لشددا الزكير على هذه الطائفة . وليت شعري لم لا تركوا أمر الفروع التي العلماء فيها على قولين ،

(١) كذا في ل ، د ، و ، ط ، ز (إبلى) .

(٢) كذا في د ، و ، ف (الخرقة) .

(٣) ج ١ ص ١٨٧ .

من قائل : كل مجتهد مصيب ، وقائل : المصيب واحد ، ولكن المخطئ يؤجر ،
واشتغلوا بالرد على أهل البدع والأهواء ، وهؤلاء الخفية والشافعية والمالكية
وفضلاً . الحنابلة — والله الحمد — في العقائد^(١) بذواحدة كلهم على رأى أهل
السنة والجماعة ، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري
رحمه الله ، لا يجيدونها إلا رعايا من الخفية والشافعية ، لحقوا بأهل الاعتزال ،
ورعايا من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم ، وبرأ الله المالكية فلم ير مالكيًا
إلا أشعريًا^(٢) عقيدة . وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر
الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ، ورضوها عقيدة . وقد ختمنا
كتابنا جمع الجوامع بعقيدة ذكرنا أن ملف الأئمة عليها . وهي وعقيدة
الطحاوي . وعقيدة أبي القاسم القشيري والعقيدة المسماة بالمرشدة مشتركات
في أصول أهل السنة والجماعة . فقل هؤلاء المتعصبين في الفروع : ويحكم ذروا
التعصب ، ودعوا عنكم هذه الأهوية^(٣) ، ودافعوا عن دين الإسلام ، وشمروا
عن ساق الاجتهاد في حسم مادة من يسبب الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله
عنهما ، ويقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، التي نزل القرآن ببرائتها ،
وغضب الرب تعالى لها ، حتى كادت السماء تقع على الأرض ، ومن يطعن
في القرآن وصفات الرحمن . فالجتهاد في هؤلاء واجب : فهلا شغلتم أنفسكم به !
ويا أيها الناس بينكم اليهود والنصارى قد ملأوا بقاع البلاد ، فمن الذي
انتصب منكم للبحث معهم ، والاعتناء بإرشادهم . بل هؤلاء أهل الذمة
في البلاد الإسلامية ، تركوهم هملاً تستخدمونهم ، وتستطيعونهم ، ولا ترى
منكم فقيهاً يجلس مع ذمي ساعة واحدة ، يبحث معه في أصول الدين ؛ لعل

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (آراءهم في العقائد واحدة) وفي ط (في العقائد عقيدتهم
واحدة) .

(٢) في ل (أشعري العقيدة) .

(٣) كذا في الأصول ، وهو خطأ ، والصواب : الأهواء ، جمع هوى بمعنى الميل إلى
الشهوات والأغراض المحسوسة . وأما الأهوية فجمع الهواء الذي يتنفس ، ولا يراد هنا .

الله تعالى يهديه على يديه . وكان من فروض الكفايات ومهمات الدين أن
تصرفوا بعض هممكم^(١) إلى هذا النوع . فمن القبائح أن بلادنا ملأى^(٢) من
علماء الإسلام ، ولا نرى فيها ذمياً دعاه إلى الإسلام مناظرة عالم من علمائنا ،
بل إنما يُسلم من يُسلم^(٣) إما لأمر من الله تعالى ، لا مدخل لأحد فيه ،
أو لغرض ديني . ثم ليت من يُسلم من هؤلاء يرى فقهياً يمسكه^(٤) ، ويحدثه ،
ويعرفه دين الإسلام ؛ ليشرح صدره لما دخل فيه ؛ بل — والله — يتركونه هملًا
لا يُدرى ما باطنه : هل هو كما يُظهر من الإسلام ، أو كما كان عليه من الكفر ؟
لأنهم لم يُرووه من الآيات ، والبراهين ما يشرح صدره . فإياها العلماء . في مثل
هذا فاجتهدوا ، وتعصوا . وأما تعصيتكم في فروع الدين ، وحاكم الناس على
مذهب واحد فهو الذي لا يقبله الله منكم ، ولا يحملكم عليه إلا محض التعصب
والتحاسد . ولو أن أبا حنيفة والشافعي ومالكاً وأحمد أحياء يُرزقون لشدّدوا
الذكير عليكم ، وتبرءوا منكم فيما تفعلون . فلعمري الله لا أحصى من رأيت
يشمر عن ساعد الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يُسقى ، أو حنفي
يلبس ذكره ، ولا يتوضأ ، أو مالكي يصلي ولا يبسمل ، أو حنبلي يقدم
الجمعة على الزوال ؛ وهو يرى من العوام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ،
يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضرب العنق ،
ولا ينكرون عليه ؛ بل لو دخل الواحد منهم بيته لرأى كثيراً من نسائه يترك^(٥)
الصلاة ، وهو ساكت عنهن . فإيا الله والمسلمين^(٦) ! أهدأ فقيه على الحقيقة !
قبح الله مثل هذا الفقيه . ثم ما بالكم تنكرون مثل هذه الفروع ولا تنكرون

(١) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل وط (هممكم) .

(٢) في ل (ملأه) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (أسلم) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ز ففيها (يسأله) .

(٥) كذا في ف . وفي ل (يتركن) وفي باقي النسخ (يتركون) .

(٦) كذا في د ، ل . وفي ف ، ز (والمسلمين) وفي ط (للمسلمين) .

المكوس والمحرمات المجمع عليها ولا تأخذكم الغيرة لله تعالى فيها ! وإنما تأخذكم الغيرة للشافعي ، وأبي حنيفة ، والمدارس المازخرقة . فيؤدى ذلك إلى افتراق كلمتكم ، وتسلط الجهال عليكم ، وسقوط هيبتكم عند العامة ، وقول السفهاء فى أعراضكم مالا ينفى ، فهلكون السفهاء بكلامهم فيكم ؛ لأن لحومكم مسمومة على كل حال ؛ لأنكم علماء ، وتهلكون أنفسكم بما ترتكبونه من العظائم . ومنهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر^(١) الفارابى ، وأبى على ابن سينا^(٢) وغيرهما من الفلاسفة الذين نشئوا فى هذه الأمة ، واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم ، وسموها الحكمة الإسلامية ، ولقبوا أنفسهم حكماء الإسلام ، وهم أحق بأن يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء ؛ إذ هم أعداء أنبياء الله تعالى ورسوله عليهم الصلاة والسلام ، والمحرفون لكلم الشريعة عن مواضعه . عكفوا على دراسة ترهات هؤلاء الأقوام وسموها الحكمة ، واستجملوا من عرى عنها . ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآنا ، ولا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعمري إن هؤلاء لأضرّ على عوام المسلمين من اليهود والنصارى ؛ لأنهم يلبسون لباس المسلمين ، ويدعون^(٣) أنهم من علمائهم ، فيقتدى العامي بهم ، وهم لا يعتقدون شيئاً من دين الإسلام ، بل يهدمون قواعده ، ويدقون عراه عروة عروة .

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا لصون دماءهم ألا تسالوا^(٤)
فيأتون المناكر فى نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى
الحذر الحذر منهم . وقد أفتى جماعة من أئمتنا^(٥) ومشايخنا ومشايخنا

(١) كانت وفاته سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) كانت وفاته سنة ٤٢٨ هـ .

(٣) كذا فى ف ، ز ، وفى ل ، د ، ط (يزعمون) .

(٤) المصدر النسبى المتى ، وهو (عدم الإسالة) بدل من (صون دمايهم) أو أن (لا)

زائدة ، أى لصون دمايهم من أن تسال .

(٥) كذا فى ل ، ط ، وفى ف ، د ، ز (جماعة أئمتنا) .

مشيختنا بتحريم الاشتغال في^(١) الفلسفة . وأما المنطق فقد ذكرنا كلام الأئمة والشيخ الإمام فيه في أوائل شرح مختصر ابن الحاجب . والذي نقوله نحن : إنه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه ، ويمتلئ جوفه من عظمة هذا النبي الكريم وشرعته^(٢) ويحفظ الكتاب العزيز ، وشيئاً كثيراً جداً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة المحدثين ، ويعرف من فروع الفقه ما يسمى به فنياً ، مفتياً مشاراً إليه من أهل مذهبه إذا وقعت حادثة^(٣) فقهية أن^(٤) ينظر في الفلسفة . وأما من وصل إلى هذا المقام فله النظر فيها للرد على أهلها ، ولكن بشرطين : أحدهما أن يثق من نفسه بأنه وصل إلى درجة لا تزعزعها رياح الأباطيل ، وشبهه الأضاليل وأهواء الملاحدة . والثاني ألا يمزج كلام الحكماء بكلام علماء الإسلام ؛ فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الحكماء بكلام المتكلمين ، وأدّى الحل إلى طعن المشبهة وغيرهم من رعاة الخلق في أصحابنا ؛ وما كان ذلك إلا في زماننا وقبله يسير ، منذ نشأ نصير الدين^(٥) الطوسي ومن تبعه لا حيّاهم الله .

فإن قلت : فقد خاض حجة^(٦) الإسلام الغزالي والإمام غفر الدين الرازي^(٧) في علوم الفلسفة ودونوها ، وخالطوها بكلام المتكلمين فهلّا تسكر عليهما ! قلت : إن هذين إمامان جليلان ولم يتخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين ، وضربت الأمثال باسمهما في معرفة علم الكلام على طريقة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم . فإياك أن تسمع

(١) كذا في النسخ . والمعروف (الاشتغال بالفلسفة) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (وشرعته) .

(٣) كذا في النسخ كلها ما عدا ف ففيها (واقعة) .

(٤) المصدر في هذه العبارة فاعل (حرام) في صدر الجملة .

(٥) كذا في ف ، د ، ط (نصير الطوسي) . انظر ترجمته في الصفحة الآتية .

(٦) كانت وفاة حجة الإسلام سنة ٥٠٥ هـ .

(٧) كانت وفاة غفر الدين الرازي سنة ٦٠٦ هـ .

شيئاً غير ذلك ، فتفضلَ ضللاً مبيناً . فهذان إمامان عظيمان وكان حقاً عليهما نصر المؤمنين وإعزاز هذا الدين بدفع تُرَّهات^(١) أولئك المبطلين . فمن وصل إلى مقامهما لا ملام^(٢) عليه بالنظر في الكتب الفلسفية ، بل هو مثاب مأجور وأما طائفة في زماننا هذا وقبله يسير عكفت على هذه الحركة المَفْتِنَة^(٣) من حين نشأت لا تدري شيئاً سواها ، اشتبه عليها أقوال كفارها بأقوال علماء الإسلام ، وتصرَّفت فيها^(٤) بعقل خفيف^(٥) لم يقم^(٦) بكتاب وسنة ولم يضيء له نور برهان من النبوءات ، ثم تعتقد أنها على شيء فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضيئة وقد اعتبرت — ولا يدبثك مثل خبير — فلم أجد أضراً على أهل عصرنا وأفسد لعقائدهم من نظرهم^(٧) في الكتب الكلامية التي أنشأها المتأخرون بعد نصير الدين الطوسي^(٨) وغيرهم . ولو اقتصروا على مصنفات القاضي أبي بكر^(٩) الباقلاني ، والاستاذ أبي إسحق^(١٠) الإسفرايني وإمام^(١١)

(١) في ل (برهان) وما أثبتناه أجود ، فإن هذه الفرق الضالة لا برهان لهم . والبرهان هو الدليل اليقيني القاطع .

(٢) كذا في ف وهامش ل . وفي د (لا يلام بالنظر) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (المقيمة)

(٤) كذا في د ، ط . وفي ف (وتصرفت بينهما) .

(٥) خفيف كذا في كل النسخ . وفي هامش ل (بعقل ستخيف) ويريد بالعقل الخفيف : الذي لا تور له ، يقال خفيف عين فلان : فقامها ، فهي خفيفة .

(٦) كذا في د ، ط . وفي ف ، ز (لم يتم بكتاب وسنة) وفي ل (لم يتم بكتاب الله وسنته) .

(٧) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (من النظر) .

(٨) هو محمد بن محمد بن الحسن ، الإمام المشهور في العقليات والرياضيات ، توفي في بغداد في سنة ٦٧٢ هـ . وانظر تاريخ أبي الفداء .

(٩) في ل : أبي بكر بن الباقلاني . وهو أحد الأعلام الذين لهم الفضل في تثبيت مذهب الأشعري . وكانت وفاته في بغداد سنة ٤٠٣ هـ وانظر ابن خلكان .

(١٠) هو إبراهيم بن محمد أحد الأركان في فقه الشافعية ، وفي علم الكلام . توفي سنة ٤١٨ هـ وانظر ابن خلكان .

(١١) هو عبد الملك بن الشيخ أبي محمد . أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي . توفي سنة ٤٧٨ هـ كما في الوفيات .

الحرمين أبي المعالي الجويني وهذه الطبقة لما جرى إلا الخير ، ورأى فيمن أعرض عن الكتاب والسنة واشتغل بمقالات ابن سينا ومن انحأ نحوه ، وترك قول المسلمين : قال أبو بكر ، وقال عمر رضي الله تعالى عنهما وقال الشافعي ، وقال أبو حنيفة ، وقال الأشعري ، وقال القاضي أبو بكر ، إلى قوله : قال الشيخ الرئيس يعني ابن سينا ، وقال خواجا^(١) نصير ، ونحو ذلك ، أن يضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق ، ويُنادى عليه : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة . واشتغل بأباطيل المبتدعين .

أوما يستحي من يتخذ أقوال ابن سينا وتعظيمه شعاراً — من الله تعالى إذا قرأ قوله تعالى : « أوجب الإنسان أن لن نجوع عظامه » ، بلى قادرين على أن ندوي بنسائه ، ويذكر إنكار ابن سينا لحشر الأجساد ، وجمع العظام .

ومهم — أعني هؤلاء — فرقة ضمت إلى هذا القدر من الحكمة النظر في كتاب الكشف للزمخشري في التفسير ، وقالت : نحن متشرعون وعارفون بتفسير كتاب الله تعالى . واعلم أن الكشف كتاب عظيم في باب ، ومصنفه إمام في فنه^(٢) إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته ، يضع من قدر النبوة كثيراً ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما في كتابه الكشف^(٣) من ذلك كله . ولقد كان الشيخ الإمام يقرئه ، فلياً^(٤) انتهى إلى الكلام^(٥) على قوله تعالى في سورة التكاوير^(٦) (إنه لقول رسول كريم) الآية

(١) هو نصير الدين الطوسي ، السابق .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (وقته) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل ، وفي ز (كتاب الكشاف) وفي ط (كشط ما في الكشاف) .

(٤) كذا في ف ، ل ، وفي ز ط (فإذا انتهى) .

(٥) كذا في ف . وفي د ط (إلى كلامه) .

(٦) جرى الزمخشري في سورة التكاوير عند قوله تعالى : «إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ، و» صاحبكم بمجنون » على تفضل جبريل عليه السلام على الرسول عليه الصلاة والسلام ، بناء على مذهبه الاعتراف ، وقد أسرف في قوله : « وناعيك بهذا دليلاً على جلاله مكان جبريل عليه السلام وقضاه على الملائكة » ومباينة منزله لمزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم —

أعرض عنه صفحا ، وكتب ورقة حسنة سجاها ، سبب الانكشاف ، عن إقرار الكشاف ، وقال فيها : قد رأيت كلامه على قوله تعالى : عفا الله عنك ، وكلامه في سورة التحريم^(١) في الزلة^(٢) وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرضت عن إقرار كتابه حيا من النبي صلى الله عليه وسلم ، مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة . فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برز في جميع العلوم ، وأجمع المواقف والمخالف على أنه بحر البحار : معقولا ومنقولا ، في حق هذا الكتاب الذي اتخذت الأعاجم قراءته^(٣) دليلا . والقول عندنا فيه أنه لا ينبغي أن يُسمح بالنظر فيه إلا لمن صار على منهاج السمة لا تزحزحه شبهات القدرية .

وممن فرقة ترفعت^(٤) عن هذه الفرقة وقالت : لا بد من ضم علم الحديث إلى التفسير ، فكان قصارها النظر في « مشارق الأنوار ، للصاغانى^(٥) . فإن ترفعت

تتإذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما ، وقابلت بين قوله : « إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين » وبين قوله « وما صاحبكم بمحتون » ، وهذا على تفسير « رسول كريم » بجبريل ، والآية تحتدل غير ذلك . وعلى كل حال فقد كان يسع المرحضرى ألا يبقى قلبه هكذا دأبى على مقام الرسالة السامى .

(١) ورد في أسباب نزول سورة التحريم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد حرم على نفسه جاريته مارية القبطية ، وفي بعض الروايات أنه حرم العسل ، فنزل قوله تعالى « بأيتها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » فكان من المرحضرى في هذا الوطن أن زلت قدمه ، فجعل فعل النبي عليه الصلاة والسلام زلة منه . لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ، لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل الحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله . فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفددة . وقد تعفبه صاحب الانصاف بأن تحريم الحلال ضربان : اعتقاد حرمة ، وهذا لا يكون من مؤمن ، فضلا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والامتناع منه لبعض الأسباب . وهذا لا شىء فيه ، وهذا هو الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم . ونزلت الآية تلقفا بالرسول عليه الصلاة والسلام ، كيلا يشق على نفسه في ترك بعض الحلال ، فهذا حديث الزلة التي نزل بها المرحضرى عفا الله عنه .

(٢) كذا في ف ، د و هـ مشى . وفي ل ، ز (الزلة) .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط (دراسته في هذا الزمان) .

(٤) كذا في د . وفي ل ، ف ، ز (رفعت) وفي ط (ترفعت) .

(٥) هو الحسين بن محمد اللغوى المشهور ، صاحب العباب ، وتكملة الصغاح وغيرهما من ألفه في اللغة ، كانت وفاته سنة ٦٥٠ هـ وانظر بقية البوابة .

ارتقت إلى مصابيح البغوى^(١) ، وظنت أنها بهذا القدر تصل إلى درجة المحدثين . وما ذاك إلا لجهلها بالحديث . فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب ، وضم إليهما من المتون مثلهما لم يكن محدثاً ، ولا بصير بذلك محدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط . فإذا رامت بلوغ الغاية في الحديث — على زعمها — اشتغلت بجامع الأصول لابن الأثير^(٢) . وإن ضمت إليه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح^(٣) أو مختصره المسمى بالتقريب والتيسير للزوى^(٤) ونحو ذلك فيثبذ^(٥) ينادى من انتهى إلى هذا المقام بمحدث المحدثين وبخارى العصر ، وما تناسب هذه الألفاظ الكاذبة . فإن من ذكرناه لا يُعدُّ محدثاً بهذا القدر ؛ إنما^(٦) المحدث من عرف الأسانيد^(٧) ، والعلل وأسماء الرجال والعلل والنازل ، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة^(٨) وسمع الكتب الستة^(٩) ومسند أحمد ابن حنبل وسنن البيهقي^(١٠) ، ومعجم الطبراني^(١١) ، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية . هذا أقل درجاته . فإذا سمع ما ذكرناه ، وكثب

(١) هو الحافظ المحدث الحسين بن مسعود المعروف بابن القراء ، كان يقال له : يحيى السنة . كانت وفاته سنة ٥١٦ هـ . انظر النجوم الزاهرة .

(٢) هو المبارك بن محمد الجزرى ، وهو صاحب النهاية في غريب الحديث . توفى سنة ٦٠٦ هـ . انظر النجوم الزاهرة .

(٣) هو تقي الدين عثمان بن الصلاح الكردى . كانت وفاته سنة ٦٤٣ هـ . انظر النجوم الزاهرة .

(٤) هو شيبغ الإسلام يحيى بن شرف ، الفقيه الشافعى الحافظ الزاهد . كانت وفاته سنة ٦٧٦ هـ . انظر شذرات الذهب ص ٣٥٤ ج ٥ .

(٥) فى ف ، د (وحيث) وفى ط (حيث) بدون واو . والأنسب ما أفتناه .

(٦) كذا فى ف ، د ، ز . وفى ل ، ط (وإنما) .

(٧) كذا فى كل النسخ ما عدا ف ، ففيها (الأحاديث) .

(٨) كذا فى كل النسخ ما عدا د ففيها (مستكثرة من المتون) .

(٩) هى صحيح البخارى ومسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وسنن ابن ماجه .

(١٠) هو الإمام المسلم أبو بكر أحمد بن الحسين ، الشافعى الحافظ . وفاته سنة ٤٥٨ هـ . انظر الشذرات ص ٣٠٤ ج ٣ .

(١١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الحافظ الثقة . تسميته إلى طبرية فى الشام . توفى سنة ٥٣٦ هـ . انظر الشذرات ص ٣٠ ج ٣ .

الطِّبَاق ، ودار على الشيوخ ، وتكلم في العلل والنوَقِيَّات والآسانيد كان في أول درجات المحدثين ، ثم يزيد الله من شاء ما شاء .

وممنهم فرقة رَفَعَتْ ، وقالت : فَضَّمُّ إِلَى الحديثِ الفقه ؛ وكان غايتها البحث في الحساوى الصغير لعبد الغفار^(١) القزويني ؛ والكتاب المذكور أنجوبة في بابهِ ، بالغ في الحسن أقصى الغايات ؛ إلا أن المرء لا يصير به فقيهاً ولو بلغ عَنان السماء . وهذه الطائفة تُضَيِّع في تفكيك ألفاظه ، وفهم معانيه^(٢) زماناً لو صرفته إلى حفظ نصوص الشافعي وكلام الأصحاب لحصلت على جانب عظيم من الفقه ، ولكن التوفيق بيد الله تعالى .

وممنهم طائفة صحيحة العقائد ، حَسَنَةُ المعرفة للفروع ، إلا أنها لم تَرع جانب الله حقَّ الرعاية ، فكان عليها وبالأعلى عليها في الحقيقة ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ^(٣) النَّاسِ عَذَاباً عَالَمٌ لَمْ يَنْفَعِهِ اللَّهُ بِعِلْمِهِ » وعنه صلى الله عليه وسلم « أَوَّلُ مَا^(٤) يُسْعَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالَمٌ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ^(٥) فِي النَّارِ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاءٍ فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا هَذَا ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ » فيقول : كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ . وفي الحديث « إِنَّ أَشَدَّ^(٦) النَّاسِ حَسْرَةً^(٧) يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ عِلْمٌ عَلِماً فَيَرَى^(٨) غَيْرَهُ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ

(١) هو الفقيه الشافعي العظيم . توفي سنة ٦٦٥ هـ وانظر طبقات الشافعية ص ١١٨ ج ٥ .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (مقاربه) .

(٣) هذا الحديث ورد في الترغيب والترهيب عن الطبراني والبيهقي بلفظ « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالَمٌ لَمْ يَنْفَعِهِ اللَّهُ بِعِلْمِهِ » .

(٤) كذا في ف ، وفي د ، ل (أول « تسعر النار يوم القيامة رجل عالم) وفي ز (أول ما تسعر النار يوم القيامة رجل) وفي ط (أول ما يسعر النار يوم القيامة رجل عالم) .

(٥) كذا في النسخ ما عدل فيها (فتندلق أسنانه) و ، عدا د فيها (فتندلق أقنابه) .

(٦) لم نقف على لفظ هذا الحديث ، وفي الجامع الصغير حديث « أَشَدُّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَمَكَّهُ طَلَبُ الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا عِلْمٌ يَهْلِيهِ » ورجل علم علماً ، فانتفع به من سمعه منه دونه « وذكر أن هذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عن أنس .

(٧) كذا في النسخ ما عدل فيها (عذاباً) .

(٨) كذا في ف ، ل ، ط . وفي ز (فرأى غيره) . وفي د (يرى ويرى غيره) .

لعمله به ، وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به ، ورجل جمع المال من غير وجهه ، وتركه لوارثه ، فعمل به الخير ، فيرى غيره يدخل به الجنة وهو يدخل به النار) وكان الشيخ أبو إسحق^(١) الشيرازي يستعين بالله من مثل هذا العلم حيث كان يقول : نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا ، ويلشد :

علمت ما حلال المولى وحرمة فاعمل بعلمك إن العلم للعمل

وفي مثل هذه الطائفة يقول الشاعر^(٢) :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا نفسك كان ذا التعليم !
تصف الدواء من السقام^(٣) لذي الضنى ومن الضنى - - - منذ كنت - - - أنت سقيم
ما زلت تُلقيح^(٤) بالرشاد عقولنا صفة^(٥) وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك تقبل إن وعظت ، ويقتدى بالقول منك ، وينفع التعليم
لا تتم عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فهذه الطائفة إذا واخذها الله تعالى فلا يقبض أن تعتب وتقول : نحن^(٦)
أهل العلم : فإن صنيعها ليس بصنيع أهل العلم الذين هم أهل^(٧) العلم ، بل
هؤلاء كما قال الله تعالى ، لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، فما قبلوا
إلا بعدل من الله تعالى .

وممن طائفة لا تترك الفرائض ، ولكنهم أحببت العلم والمناظرة وأن يقال :

- (١) هو الإمام إبراهيم بن محمد ، صاحب التبيين والمذهب في فقه الشافعية . وافته سنة ٤٧٦ هـ .
- (٢) تنسب هذه الأبيات إلى أبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو . توفي سنة ٢٧ هـ كما في بقية الوعاة .
- (٣) كذا في النسخ ما عدل ، ط فقيهما (لذي السقام من الضنى) .
- (٤) كذا في النسخ ما عدل ط فقيها (وأراك تلقيح) .
- (٥) كذا في النسخ ما عدل ط فقيها (أبدا) .
- (٦) كذا في كل النسخ ما عدل ، ط فقيهما نحن من أهل العلم .
- (٧) كذا في كل النسخ ما عدل ط فقيها (بصنيع أهل العلم بل هؤلاء) .

فلان اليوم فقيه البلد ، حياً اختلط بعضها ولحها ، فاستغرقت فيه أكثر أوقاتها ، واستهانت بالنوافل ، ونسيت القرآن بعد حفظه ، وشغلت بآنافها مع ذلك ، وقالت : نحن العلماء : وإذا قامت صلاة الفريضة قامت أربعاً لا تذكر الله فيها إلا قليلاً ، مزجت^(١) صلاتها بالفكر في باب الحيض ودقائق الجنايات . وربما جاء ليقول : إياك نعبد وإياك نستعين ، فسبق لسانه إلى ما هو مفكر فيه من جزئيات الفروع ، فتطرق^(٢) به . ثم إذا سألت واحداً من هذه الطائفة : أصليت سنة الظهر ؟ قال لك : قال الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة [أو قلت^(٣) له] . أخشعت في صلاتك ؟ قال : ليس الخشوع من شرائط صحة الصلاة . أو قلت^(٤) له : أنسيت القرآن ؟ قال لك : لم يقل إن نسيانه كبيرة إلا صاحب العدة^(٥) ، وما الدليل على ذلك ؟ وأنا لم أنس الجميع ؛ فإني أحفظ الفاتحة ، وكثيراً من القرآن غيرها . فقل له : أيها الفقيه ، كلمة حق أريد بها باطل ؛ إن الشافعي لم يعن ما أردت ، ولكلامه تقرير لسنا له الآن ؛ ونخشى على من هذا شأنه المروق من الدين رأساً^(٦) . أخبرنا الحافظ أبو العباس ابن المظفر بقراءتي عليه ، أنا أحمد بن هبة الله بن عساكر بقراءتي عليه ، أنا الإمام أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار إجازة أخبرنا جدّي الإمام عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور بن الصفار . قال : سمعت جدّي يقول : سمعت الأستاذ أبا القاسم القشيري رحمه الله يقول : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : من استهان بأدب من آداب الإسلام

(١) كذا في النسخ ما عدا زقيقها (ومزجت) .

(٢) كذا في ف ، ل ، د ، د ، وفي ز ، ط فيضيق .

(٣) كذا في ط ولم تذكر هذه الجملة في ف ، د ، وكان ذلك لعمها من السابق .

(٤) كذا في معظم النسخ ، وفي نسخة على هامش ل : (العدة) ، والعدة في فروع الشافعية

لعبد الرحمن بن عيسى الطبري المتوفى سنة ٥٢٠ هـ كما في طبقات الشافعية من ٢٤٤ ج ٤ ؛ والعدة

في هذه الفروع أيضاً لأبي بكر الشافعي المتوفى سنة ٥١٧ هـ .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ؛ ففيها (أصلاً) .

عوقب بحرمان السنّة ، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ، ومن استهان بالفرائض قبض الله له مبتدأ بوقع عنده باطلا فيوقع في قلبه شبهة . قلت : وبلغنا أن الإمام الغزالي أم مرة بأخيه أحمد في صلاة ، ففقطع أخوه أحد الاقتداء به ، فلما قضى الصلاة سأله الغزالي ، فقال : لأنك كنت متضمخاً بدماء الحيض . ففكر الغزالي ، فدكر أنه عرضت له في الصلاة فكرة في مسألة من مسائل الخيض . فانظر فهو لا . أهل الله الذين هم أعرف به منك أنها الفقيه ، قد عرفوك أن ما نعتده بحرك إلى الكفر ، والعياذ بالله .

وممن فرقة سليت من جميع ما ذكرناه ، إلا أنها استهانت ببعض صفات الذنوب ؛ كالغيبة والاستهزاء^(١) بخلق الله تعالى ، ونحو^(٢) ذلك ، أو كان لها معصية ابتلاها الله بها ، فلم تستر ، وقالت : علمنا يغطي معصيتنا^(٣) . وهذا جهل لا علم ؛ فالصغيرة تكبر من العالم ، فإن هو تجاهر بها ازداد أمرها . والمعصية مع العلم فوق المعصية مع الجهل من وجوه . وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلى شيء من هذه القاذورات فليستر بيثر الله » الحديث ؛ فالعالم أولى أن يستتر إن لم يرجع ، فإنه قدوة . ولذلك كان بعض العارفين لا يظهر لتلميذه إلا على أشرف أحواله ؛ خوفاً أن يقتدى به في سيئها ، أو يسوء ظنه به فلا يقتفع به . فينبغي للعالم الكف عن صفات المعاصي ، وكبارها . فإن هو لم يكف فلا أقل من التستر ؛ صيانة لمنصب العلم . وإلى هذا المعنى أشار الشيخ الجليل فتح الدين بن علي أبو منصور الدمياطي فأنشد لنفسه :

أيها العالم إياك الزال واحذر الحفرة والخطب الجلل
هفوة العالم مستعظمة إذ بها أصبح في الخلق مثل
وعلى زائمه نعمتهم فيها يحجج من انحطاط وزل

(١) كذا في ف ، ط ، وفي د ، (الاستهزاء) .

(٢) كذا في ف . وفي د (وغير ذلك) .

(٣) كذا في ف . وفي د (معصيتنا) .

لا تقل : يستر على زلتى بل بها يحصل فى العلم الخلل
 إن تكن عندك مستحقرة فهو عند الله والناس جمل
 ليس من يتبعه العالم فى كل مادق من الأمر وجل
 مثل من يدفع عنه جهله إن أتى فاحشة قيل : جمل
 انظر الأنجم : مهما سقطت من رآها وهى تهوى لم يُبَل
 فإذا الشمس بدت كاسفة وجل الخلق لها كل الوجمل
 وترامت نحوها أبصارهم فى ازعاج واضطراب ووجل
 وسرى النقص لهم من نقصها فعدت مظلمة منها السبل
 وكذا العالم فى زلته يفتن العالم طرًا ويضلل

ومنه فرقة سلمت من ^(١) جميع ما ذكرناه ، إلا أنه غلب عليها الطعن فى
 أمة قد سلمت ، والاشتغال بعلماء قد مضوا ، وغالب ما يؤتى هؤلاء من
 المخالفة فى العقائد ؛ فقل (أن ترى من ^(٢) الخبايلة) إلا ويضع من الإشارة .
 وهذا شيخنا الذهبى ^(٣) كان سيد زمانه فى الحفظ مع الورع والتقوى ، ومع
 ذلك يعيد إلى أئمة الإسلام من الأشاعرة ، فيظهر عليه من التعصب عليهم
 ما ينفر القلوب ، وإلى طائفة من المجسمة فيظهر عليه من نصرتهم ما يوجب
 سوء الظن به ؛ وما كان والله إلا تقيًا نقيًا ، ولكن حمله التعصب ، واعتقاده أن
 مخالفه على خطأ . وقل أن ترى أشعريًا من الشافعية والحنفية والمالكية
 إلا ويبالغ فى الطعن على هؤلاء ، ويصرح بتكفيرهم وإذا كان الأئمة
 المعتبرة ^(٤) كالشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد والأشعري على أن لا تكفر

(١) فى ل (عن) . وهذا على تضييق (سلمت) معنى (نزهت) .

(٢) كذا فى ف . وفى ل ، ط ، د (قل أن ترى من قبل الخبايلة) وفى ز (قل من ترى

من يميل إلى الخبايلة) .

(٣) هو الحافظ المحدث شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان . مات سنة ٧٤٨ هـ .

(٤) كذا فى كل النسخ ماعدال ، فيها (المعتبرون) .

أحداً من أهل القبلة فلم هذا التعصب ؟ وما لنا لانسكت عن أقوام مضوا إلى ربهم ، ولم ندر على ماذا ماتوا ؟ وإن يُبد لنا أحد بدعة قائلناه ، وأما الأموات فلم تنبش عظامهم ؟ هذا والله مالا ينبغي .

ومن الفقهاء فرقة متنتكة تجري على ظواهر الشرع ، وتحسن امثال أوامر الله تعالى ، واجتناب مناهيه^(١) : إلا أنها تهزأ بالفقراء ، وأهل التصوف ، ولا تعتقد فيهم شيئاً ، ويعيبون عليهم السماع ، وأموراً كثيرة . والسماع قد عُرِف اختلاف الناس فيه . وتلك الأمور قل أن يفهمها من يعيها . والواجب تسليم أحوال القوم إليهم . وإنما لا نؤاخذ أحداً إلا بجريرة ظاهرة ؛ ومنى أمكننا تأويل كلامهم ، وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك ؛ لا سيما من عرفناه منهم بالخير ، ولزوم الطريقة . ثم إن بددت لفظة من غلطة ، أو سقطت ، فإنها عندنا لا تدم ما مضى . وهذه الطائفة من الفقهاء ، التي تنكر على المتصوفة ، مثُلها مثل الطائفة من الترك ، التي تنكر على الفقهاء . وقد جربنا فلم نجد فقيهاً ينكر على الصوفية ، إلا ويهلكه الله تعالى ، وتكون عاقبته وخيمة ، ولا وجدنا تركياً يهزأ بالفقهاء إلا ويهلكه الله تعالى ، وتكون عاقبته شديدة . فسبيل هذه الطائفة التوبة إلى الله تعالى ، وحسن الظن بخلق الله تعالى ؛ لا سيما من انقطع إلى الله . واعتكف على عبادته ، ورفض الدنيا وراء ظهره . هذا علاج داء هذه الطائفة ، وما أظنهم يردون : فإنني جربت فوجدت القلوب منقسمة إلى قابل للصلاح وطريق الفقر^(٢) وذلك نراه متقاداً لطريق الفقراء معتقداً من غير تعليم — وغير قابلة ، ولا نراها تنقاد ؛ وإن انقادت في الظاهر لم يفدها الانقياد ؛ لأن هؤلاء القوم لا يعاملون بالظواهر ولا يفيد معهم إلا الباطن ومحض الصفاء ؛ وهم أهل الله تعالى ، وخاصته نعمنا الله بهم . وأكثر من يقع فيهم لا يفلح .

(١) قل (نواصي) .

(٢) كذا في كل الأصول ماعداً ، ففيها (الفقراء) .

ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث ، وجعلت دأبها السماع على المشايخ ، ومعرفة العالي من المسموع ، والنازل ، وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة ؛ إلا أن كثيراً منهم يُجهِدُ نفسه في تهجي الأسماء والمختون ، وكثرة السماع من غير فهم لما يقرؤه ، ولا تتعلق فكرته بأكثر من أني حصلت جزء ابن عرفة عن سبعين شيخاً ، جزء الأنصاري عن كذا كذا شيخاً ، جزء ابن الفيل ، جزء البطاقة ، نسخة أبي مُسَهِرٍ ^(١) وأنحاء ذلك . وإنما كان السلف يسمعون فيعون ^(٢) فيرحلون فيقرءون فيحفظون ^(٣) فيعملون ^(٤) . ورأيت من كلام شيخنا الذهبي في وصيته لبعض المحدثين في ^(٥) هذه الطائفة : لاحظ واحد من هؤلاء إلا أن يسمع ليروي ^(٦) فقط ، قَلْبًا قَبْنٌ بنقيض قصده ، وليشهرته الله تعالى بعد أن ستره مرات ، ولييقن مضغة في الآسن ، وعبرة بين المحدثين ، ثم كَيْطَبَنَّ الله على قلبه . ثم قال : فهل يكون طالب من طلاب السنة يهاون بالصَّلوات ، أو يتعاني تلك القاذورات ! وأنحس ^(٧) منه محدث يكذب في حديثه ، ويختلق الفُشَارَ ^(٨) . فإن تَرَقَّتْ همته الفتية ^(٩) إلى الكذب في النقل والتزوير في الطباق ، فقد استراح . وإن تعانى سرقة الأجزاء أو كشط الأوقاف فهذا لصٌ بسمت ^(١٠) محدث . فإن كمل نفسه بتلوط أو قيادة ^(١١) .

- (١) كذا في النسخ ما عدا ن فيها (مشهر) .
- (٢) كذا في النسخ . وفي ل (يسمعون فيفهمون : ويرحلون فيقرءون ويحفظون) .
- (٣) كذا في د ، وفي ف : (ويحفظون) .
- (٤) كذا في ف ، د ، وفي ط (فيعملون) .
- (٥) كذا في النسخ . والناسب (من) .
- (٦) كذا في النسخ كلها ما عدا ط فيها (فيروي) .
- (٧) كذا في د ، وط . وفي ل ، ف ، ز (أنحس) .
- (٨) هو الفُشَارُ . وهذه الكلمة لم ترد في كلام العرب .
- (٩) كذا في ف ، وفي د ، ل (الفتية) وفي ط (المهينة) وفي ز (العنتة) .
- (١٠) كذا في ف ، د ، ل وفي ز (بسيسة) وفي ط (ليس بمحدث) .
- (١١) كذا في النسخ كلها ما عدا ن فيها (بتلوط اعتاده) .

فقد تمت له الإفادة . وإن استعمل من العلوم قسطاً ، فقد ازداد مهارةً وخبطاً .
إلى أن قال : فهل في مثل هذا الضرب خير إلا كثر الله منهم . انتهى . ول بعضهم :
إن الذي يروى ولكنه يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تتبع^(١) أمواتها^(٢) تسقى الأراضى وهى لا تشرب
وقال بعض الظرفاء في الواحد من هذه الطائفة : إنه قليل المعرفة والخبرة
يمشى معه أوراق ورحبة ؛ معه^(٣) أجزاء يدور بها على شيوخ وبحوز ،
لا يعرف ما يحوز بها^(٤) لا يحوز . وقال^(٥) :

ومحدث قد صار غاية عليه أجزاء يروىها عن الدمياطى
وفلانة تروى حديثاً عالياً وفلان يروى ذاك عن أسباط
والفرق بين عزيرهم وعزيرهم^(٦) وافصح عن الحياط والحناط^(٧)
وأبو فلان ما اسمه ومن الذى بين الأنام ملقب بسباط^(٨)؟
وعلم دين الله نادت جهرة : هذا زمان فيه طي بساطى
ومن العلماء طائفة استغرق حب النحو واللغة قلبها ، وملا فكرها ، فأزادها
إلى التعمق في الألفاظ ، وملازمة حوشي اللغة ، بحيث خاطب^(٩) به من لا يفهمه .
ونحن لا ننكر أن الفصاحة فن مطلوب ، واستعمال غريب اللغة عزيز

(١) كذا في كل النسخ ما عدا فقيها (تتبع) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا فقيها (أقوامها) .

(٣) كذا في د ، ف ، وفى ط (ومعه) .

(٤) كذا في ف ، د ، ز ، وفى ط (يحوز وما لا يحوز) .

(٥) كذا في د ، وفى هامش ل (وقيل في ذلك) .

(٦) كذا في د ، وفى ف (عزيرهم وعزيرهم) وفى ل (عزيرهم وعزيرهم) وفى ز (عزيرهم
وعزيرهم) وفى ط (عزيرهم وعزيرهم) بفتح العين من عزيرهم .

(٧) كذا في ف ، ل ، وفى ز (الحياط والحياط) وفى ط (الحياط والحياط) وفى د
(الحياط والحناط) .

(٨) كذا في ز ، د ، ف ، وفى ل ، ط (بسباط) .

(٩) كذا في ف ، د ، وفى ط (خاطب) ، وقوله خاطب أى الفرد منها .

حسن [ولكن ^(١)] مع أهله ومن يفهمه ؛ كما حكى أن أبا عمرو بن العلاء قصده طالب ليقرأ عليه فصادفه بكلاً ^(٢) البصرة ، وهو مع العامة يتكلم بكلامهم ؛ لا يفرق بينه وبينهم . فنقص من عينه . ثم لما نجر شغل أبي عمرو بما هو فيه تبعه الرجل إلى أن دخل الجامع ، فأخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان فعظم في عينه . وعلم أنه كلما كل طائفة بما يناسبها من الألفاظ . وهذا ^(٣) هو الصواب ؛ فإن كل أحد يكلم على قدر فهمه ، ومن اجتنب اللحن ، وارتكب العالى من اللغة والغريب منها ، وتكلم بذلك مع كل أحد عن قصد فهو ناقص العقل . وربما أتى بعض هذه الطائفة من ملازمة هذا الفن ؛ بحيث اختلط بلحدهم ودمهم ، فسبق لسانهم إليه ، وإن كانوا يخاطبون من لا يفهمه ؛ كما أخبرنا أحمد بن علي الجزري ^(٤) إذنا ، عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ أبي طاهر السلفي ، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا عبد الكريم ابن محمد المحاملي ، أنا إسماعيل بن سعد المعدل ، ثنا محمد بن أحمد بن قطار ^(٥) السمسار ، قال : قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الوراق : ازدحموا على عيسى ^(٦) بن عمر النحوي ، وقد سقط عن حمارة ، وعُشى عليه . فلما أفاق ، وأخذ في الاستواء للجلوس ، قال : ما لكم تكأ كأتهم علي ، ولا تكأ كؤكم علي ذي جنة ، افرقعوا عني . تكأ كأتهم : نجدهم . وافرقعوا : تنحوا بلغة أهل اليمن . فهذا الرجل كان إماماً في اللغة ، وكانت هذه الحالة منه لا تقتضي أنه يقصد هذه الألفاظ ، بل هي دأبه ، فسبق لسانه إليها ، وحكى أنه لما ولي

(١) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ لم يذكر لفظ (ولكن) .

(٢) الكلام : مرافق السفن وموضع بالبصرة — القاموس .

(٣) كذا في ف . وفي باقي النسخ (فهذا) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (الجزري) .

(٥) كذا في ف ، ل ، ط . وفي ز ، د (قطن) .

(٦) هو الإمام في النحوي ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ؛ وكان يتفهم في كلامه .

يوسف بن عمر العراقى أخذ عيسى بن عمر النحوى فطالبه^(١) بوديسة ذكر
أن ابن هيرة الوزير أودعه إياها ، فأمر بضربه ، فقال : والسياط تأخذه :
والله إن كانت إلا آثاباً^(٢) فى أسفاط^(٣) ، قبضها عشاروك . ولعيسى بن عمر
من هذا الخط كثير . وحكى أن على بن الهيثم^(٤) كان لما غلب عليه من ذلك
تأنيه العامة أفواجاً لسماع كلامه ، وأنه مر به مرة فارسى قد ركب حماراً^(٥)
خلفه جحش ، وبيده عذق قد ذهب بشره إلا قليلاً ، يقوده بقرعة يتبعها
عجل لها ، فناداه على بن الهيثم : يا صاحب البیدانة القمراء ، يتلوها ثواب
بيده شملول ، يطبى به خزومة يقفوها عجول ، أتقايض بعجولك جحشاً
زهما ؟ قال : فالتفت إليه الفارسى ، وقال : يا بابا فارسى هم ندائهم . البیدانة :
الأتان ، والقمراء : البيضاء الوجه ، والثواب : ولد الحمار ، والشملول : العذق
ويطبى : يدعو ، والخزومة : البقرة الوحشية ، والجحش : الكلب ، والزهم
السعين . فهذا على بن الهيثم إن لم يكن قصد المؤانسة لبعض الحاضرين ، ولم
تكن ندرت^(٦) منه هذه الألفاظ عن غير قصد ، فهو خفيف^(٧) العقل .
ولا ينكر أنهم يأتون بالألفاظ الغريبة^(٨) لكثرة استعمالهم لها ، وغلبتها على
ألسنتهم : ظناً منهم أن كل أحد يعرفها ، وإلا فكيف يذكرونها فى وقت
لا يظهر فيه لاستعمالها سبب غير ذلك : كما سقناه ، وكما يحكى أن أبا علقمة
الواسطى^(٩) عرض له مرض شديد ، فأناه أعين الطبيب ، فسأله عن سبب^(١٠)

(١) كذا فى د ، ط . وفى ف لم تذكر لفظة (فطالبه) .

(٢) آثاب تصير أثواب ، وأسفاط تصير أسفاط جمع سفاط ، وهو الخلف للشيء
كالجوالق والخنفة .

(٣) كذا فى ط ، ل . وفى د ، ف (أن عيسى بن عمر) وكان على بن الهيثم من الكتاب
كتب فى ديوان المأمون وغيره . وكان كثير الاستعمال لعويس اللفة . وانظر بقية الوعاء .

(٤) كذا فى ف ، د . وفى ط (حماره خلفها جحش) .

(٥) كذا فى ط ، ل . وفى ف (بدون نقط) وفى د (يدرت) .

(٦) فى ل (سخبف) .

(٧) كذا فى ط ، وفى ف ، د بدون لفظة (الغريبة) .

(٨) كذا فى ف ، ط . وفى د (عن علمه) .

علمته ، فقال : أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطَبِئْتُ طَبَاةً ، فأصابني وجع
 بين الوابلة إلى ذَاية العنق ، فما زال يتمأئى ويتنمى ، حتى خالط الحَلْب ،
 وتألّت له الشراسيف . فقال له أعيّن الطبيب : خذ شرقاً وشرقاً ؛ فوهزقه ،
 ودوّقه . فقال أبو علقمة : أعدل ؛ فإني ما فهمت . فقال الطبيب : قبّح الله
 تعالى أفلنا إفيهما لصاحبه . الجوازل : فِراخ الحمام ، الواحد جَوْزَل ، والطساة :
 الهَيْضَة ، والوابلة : طرف الكَيْف ، وهو رأس العُضْد . وذَاية العنق :
 فِقارها ، ويتمأئى : يتمدد ، ويتنمى : يتزايد ، والحَلْب بالكسر : حجاب
 القلب ، ويقال : مضغة فوق الكبد . والشراسيف : غضاريف متصلة
 بالأضلاع . وحكى ابن دريد^(١) أن الأصمعي ذكر^(٢) أن رجلاً مشجوجاً جاء
 إلى صاحب الشرطة فشكا إليه^(٣) أن امرأ شجّه . فأمر بإحضاره . فلما حضر
 سئل ، فأنكر . فقال المشجوج : لى أعرابى بالسوق يشهد لى . فلما حضر
 الأعرابى سئل ، فقال : بينا أنا على كَوْدُن يُضمّرزنى ، إذ مررت برصيد
 دار ، فإذا أنا بهذا الأخيشب ، يدعُ هذا دعاً متراسيفاً ، فعلاه بمسأته ، فقهر
 ثم بدّره بمثلها فقطر ، ثم أدبر ، وبرأسه جديع يُشجّ نجيعاً^(٤) على كنده . فقال
 صاحب الشرطة : شجّنى وأعفى من سماع شهادة هذا الأعرابى [قوله^(٥)] :
 الكَوْدُن : البرذون . يضمّرزنى : يحركى . الوَصِيد : الباب . الدَعُ : الدفع
 المتساة : العصا ، الأخيشب : تصغير الأخشب ، وهو الغليظ . قهر : رجع
 القهقرى . قطره : ألغاه على أحد قطريه ، وهما جانباه . الشجّ الصب : النجيع :
 الدم . الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر ، وهو بُعيد مغرز العنق^(٦) .

(١) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ز (ابن دريد) .

(٢) كذا فى ف ، د . وفى ط (قال) .

(٣) كذا فى ط . وفى ف ، د (فتكا أن امرأ) بدون لفظة (إليه) .

(٤) فى د (يسبح نجيعاً على كنده) . وفى ل (يشجّ نجيعاً على كنده) .

(٥) كذا فى ط وقد سقطت فى باقى النسخ .

(٦) ترك تسمير الجديع ، وهو مصغر جديع أى جرح وخنق .

وذكر الزبير بن بكار أن بعض المتقربين كتب إلى وكيل له بناحية البصرة: احمل إلينا من الخوزج^(١) والكنعد المقهورين^(٢) والأوز المتهوج^(٣) ولحم مها البید ما يصلح للتشیر^(٤) والقديد . فكتب إليه وكيله : إن لم تكف عن هذا الكلام بارت قرينك : فإن الفلاحين ينسبون من ينطق بهذه الألفاظ إلى الجنون .

الكنعد : ضرب من سمك البحر ، والشرارة : اليبس . وحكى أن أصاً أراد فتح باب نحوى ، فأحست به الجارية ، فقالت لسيدها ، فاطلع عليه ، وناداه : أيها الطارق ، ما الذي أولئك بنا ؟ إن أردت المال فعليك بان الجصاص ، وفلان وفلان ، أقواماً^(٥) ذوى مال . وإن أردت الجاء فعليك بالقضاة . وإن أردت الكتابة فعليك بفلان ، وفلان ، أقواماً يكتبون . وإن أردت اللغة والنحو فعليك بى . وإن كنت تبغى القرى فلج الدار ، وادخل المخذع ، وأصيب من الزاد ما يمسك حشاشة رَمَقك . فرفع اللص رأسه ، وقال : لو كانت الجنة دارك ما دخلتها . وحكى أن طبيباً دخل إلى نحوى مريض ، فقال : ما كان أكلك أمس ؟ فقال أكلت لحم عَطُطٍ وسافة^(٦) خِرْتَقٍ ، وجَوْجُو حَيْقُطَانٍ^(٧) اقتنصه بازى . فلما كان فى الدجى أصبت منه معمة^(٨) فى الحشا ، وقرقرة فى المعى ، فقال الطبيب للحاضرين : هذه خفة ارتفعت إلى الدماغ ، فأصيحوا الغذاء له قبل أن يُجن^(٩) . العَطُطُ : الجدى : الخِرْتَقُ :

(١) كذا فى ط ، ف ، د ، ز ، وفى ل (الموزة) ويبدو أن هذا محرف عن الجرى أو الجريت وهو ضرب من السمك .

(٢) كذا فى ل ، ف ، وفى ط المهورين ؛ وفى ذ المهورين . والمقور : المتفوع فى الحال .

(٣) هو المسترخى البهمن .

(٤) كذا فى ل ، وفى ف ، د : (للتشير) وفى ط (للتشير) .

(٥) منصوب بفعل محذوف .

(٦) كذا فى ل ، ط - وفى ف : (سافة) وفى د (سافة) بدون نقط .

(٧) فى ل : حَيْقُطَان . والصواب : أَيْقُطَان .

(٨) كذا فى د ، ل ، ط - وفى ف (مفعة) .

(٩) كذا فى ف ، د ، وفى ط (يجف) .

وله الارنب ، الجؤجؤ : الصدر . الحَيِّقُطَان : بالطاء المهملة : الدُرَّاج المذكور .
 وحكى أبو القاسم الراغب ، قال : ابتاع تليذ يعقوب بن إسحق
 الكِنْدِي جارية ، فأعتاصت^(١) عليه ، فشكا حالها إلى يعقوب فقال له : جئني
 بها . قال فلما حضرت عنده قال لها : يا هذه^(٢) اللغوبة : ما هذه الاختيارات^(٣)
 الدالات على الجهالات ؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات ، من الموقفات على
 طالبي المودات ، مؤذونات بعدم المفعولات افقالت الجارية حَيَّاها الله وبَيَّاها :
 أما علمت أن هذه العشونات^(٤) المنتشرات على صدور ذوى الرقاعات محتاجات
 إلى المواصي الحالقات ا فقال يعقوب : لله درُّها لقد قسمت الكلام تقسيماً .
 واعلم أن الحكايات في هذا الباب تخرج عن حد الحصر ، وتقتضي الخروج
 من الجِدِّ إلى ضرب من الهزل . والحاصل أن ما كان الحامل عليه غلبة^(٥)
 هذه الصناعة مذموم من جهة أن ذا الصناعة كان ينبغي أن يقوم قلبه^(٦) ودينه
 قبل أن يقوم ألفاظه . فاللحن في اللفظ ولا اللحن في الدين . وقد غلب على
 كل ذوى فنٍّ فُتْهم ، بحيث سأل بعضهم أباً طاهر الزيادي^(٧) وهو في النزاع عن
 ضمان الدرك^(٨) . وحكاية أنى زرعة فيمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل
 الجنة شهيرة ، وأنه مثل وهو في النزاع عن هذا الحديث فساقه بإسناده إلى أن
 وصل إلى لا إله إلا الله ، ومات قبل أن يقول : دخل الجنة . فلقد^(٩) نفعه

- (١) كذا في د . وفي هامش ل (فاعتناشت) وفي غيرهما (فاعتناشت) .
- (٢) كذا في ف . وفي د (قال لها يا لغوبة) بإسقاط هذه ، وفي ط (يا لغوبة) بإسقاط هذه أيضاً .
- (٣) كذا في ف . وفي د (الاختيارات) وفي ط (الإخبارات) .
- (٤) كذا في محاضرات الراغب . وفي ف ، د العشوبات ومهاد بالعشونات والفتوبات الشعر
 في البدن وإن كان العشون في الأصل لشعر اللحية .
- (٥) كذا في ف ، د . وفي ط سقطت لفظة (غلبة) .
- (٦) كذا في د ، ز ، ط . وفي ف أنه .
- (٧) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ص ٨٢ مع ٣ ، والقصة فيها أنه سئل عن ضمان الدرك وهو
 في النزاع ، فقال : إن قبض الثمن فيصبح ، وإلا فلا يصبح . قال : لأنه بعد قبض الثمن يكون ضمان
 ما وجب . قال ابن السكيت عقب هذا : وهذا هو الصحيح في الذهب .
- (٨) هو أن يقبض الثمن للمشتري مثلاً إذا خرج مقابلته مستعفاً أو مبيعاً ورد .
- (٩) كذا في د ، ط . وفي ف سقطت لفظ (فلقد) .

الله تعالى بعلم الحديث وحكى أن دَبَّاحاً كان آخر كلامه بعد أن رُدَّدَ عليه لفظ الشهادة مراراً ، كلاماً يتداوله الدَّبَّاحُونَ ؛ وبعض الأمراء كان آخر كلامه : هاتوا القباء الفلاني ؛ وَمَنْ أَكْثَرُ مِنْ شَيْءٍ ظهر على فلتات لسانه ، وكل إناء بالذى فيه ينضح . سمعت صاحبنا الشيخ تاج الدين ^(١) المراكشي رحمه الله تعالى ، يحكى عن الشيخ ركن الدين بن القويح ^(٢) أن شحاذاً سأله وهو في الطريق ، فأجابه : بفتح الله . فقال : يا شيخ قد فتح الله تعالى عليك ، إذا جادت الدنيا عليك فجد بها . فوقف ابن القويح ، فقال : ولم قلت : إنها جادت علي ! وإن سألنا أنها جادت فلم قلت : إنه يحب علي ^(٣) الجود بها ! وإن سألنا أنه يحب فلم قلت : إني ما جدت ، وما انحصرت القسمة فيك . فهذا ابن القويح غلبت عليه المناظرة ، فاستعملها مع حرقش لا يدرى ما يقال له . وكذلك حكى لنا بعض مشايخنا عن الشيخ العلامة صفي الدين ^(٤) الهندي إمام المتكلمين في عصره أنه جاءه رجل زيت ، فأمسكه المكأسون في الطريق على المكس ، فكتب إليهم كتاباً يُتَعَجَّبُ من ذكره ، مشتملاً على أنواع الجدل والسير والتقسيم . وأما ما كان الحامل عليه مجرد التقعر في اللفظ فهو رُعوثة . وقد كتب الإمام أبو عمرو ^(٥) بن دحية إلى السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر بهذه بعافيته من مرض أصابه كتاباً كله من هذا النمط . ومنهم من شغل نفسه بالالفاظ ، وأعرض عن

(١) هو محمد بن إبراهيم ، توفي سنة ٧٥٢ هـ وانظر ترجمته في طبقات الشافعية ص ٢٣٢ ج ٥٥ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن التونسي المالكي . حضر البلاد المصرية وأقام بها واشتغل عليه خلق كثير . وله ترجمة واسعة في الدرر الكامنة ص ١٨١ ج ٤ . ومن كلامه ابن حجر : « والقويح على الألسنة بضم الفاف . ونقل ابن رافع عنه أنه قال : إنه بفتح القاف ، وذكر عن بعض المغاربة أن القويح طائر » تقول : وهو كذلك في القاموس .

(٣) كذلك ط ، د ، و في (يحب الجود على بها) .

(٤) هو محمد بن عبد الرحيم ، المتكلم على مذهب الأشعرى . توفي بدمشق سنة ٧١٥ هـ . وانظر ترجمته في طبقات الشافعية ص ٢٤٠ ج ٥٥ .

(٥) هو عثمان بن الحسن السبتي ، ولي مشيخة الكاملية بعد أخيه . وكانت وفاته سنة ٦٣٤ هـ وانظر الشذرات ص ١٦٨ ج ٥٥ .

«عائياً، بحيث انتهى به الحال إلى ضرب غريب من الخطأ. قال أبو حيَّان التوحيدى :
إياك أن تقيس اللغة ؛ فإنى^(١) رأيت نبيهاً من الناس وقد سئل عن قوم ، فقال :
هم خروج . فقيل : ما تريد بهذا ؟ فقال قد خرجوا . فكأنه أراد : خارجون .
فقيل : هذا ما سمع . قال : كما قال الله تعالى : إذ هم عليها قعود ، أى قاعدون
فَضَحِكَ به . وسئل أبو الفرج البغدادى : هل يقال لعارف اللغة : لغوى بفتح
اللام أو ضمها ؟ فقال : بفتحها ؛ أما سمعتم قوله تعالى^(٢) : إنك لغوى ،
فَضَحِكُوا منه . وأعرب بعضهم قوله تعالى : قَيِّماً ، من قوله : ولم يجعل له
عرجاً قبيهاً ، صفةً لـ «عرجاً» وهذه غفلة . كيف يكون المَعْوَجُ قَيِّماً ؟ وإنما قبيهاً ،
حال من محذوف . أى أنزله قبيهاً أو من الكتاب . وذكر آخرون أن قوله :
« أن نفعل » من قوله تعالى : يا شعيب أصلوك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا
أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، معطوف على أن تترك . وذلك باطل ؛ لأنه لم
يأمرهم أن يفعلوا ما يشاءون ، وإنما هو عطف على ما هو معمول للترك .
والمعنى : أن تترك أن نفعل . وقال بعضهم فى قوله تعالى : يحسبهم الجاهل
أغنياء من التعفف ، إن « من » متعلقة بأغنياء ، وهو فاسد ، لأنه متى ظنهم ظاناً
أغنياء من التعفف عليم أنهم فقراء من المال ، فلا يكون جاهلاً بجاهلهم ، وإنما
هى متعلقة بحسب وهى للتعليل . وقال بعضهم فى قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

هذا لحن ؟ فأين فعلاً لما ؟ وعلام نصب الله ؟ ولأى شئ . فتح^(٣) الدال
من عبد ؟ وجوابه : أنه لم يتأمل ، أما عبد فترخيم عبدة . وأما الله فنصب على
الإغراء . وأما فعلاً لما : سقاؤنا مرفوع بفعل محذوف فسر به بقوله : وهى

(١) كذا فى ف . وفى د (فقد رأيت) .

(٢) كذا فى ف . وفى د زيادة (لوسى عليه السلام) .

(٣) المروف فى كتب النحو أن (عبد) مكسور الدال وهو مضاف إلى لفظ الجلالة . وهذا
البيت أورده الأشمونى فى الإضافة ، ولم يذكر فتح الدال كما ذكر المؤلف .

أى ضعف ، والجواب محذوف تقديره : قلت ، بدليل قوله : أقول . وقوله :
شَمَّ فعل أمر من قولك شَمَّت البرق إذا نظرت إليه . والمعنى أقول لما سقط
سقاؤنا ، ونحن بوادى عبد شمس ، قلت لعبدة احذر الله شَمَّ البرق . وقريب
من هذا البيت قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما لقيته ونحن على جنب الثَّباب والقناطر
القنا : الرماح . وطر : فعل أمر من الطيران . ونظير هذين البيتين
في الإلغاز :

عافت الماء في الشتاء فقلنا برديه ، تصادق به سخينا
يقال كيف تبرده ، فتصادفه سخينا ؛ وهذه غفلة ؛ والأصل : بل رديه .
ثم كتب جملة واحدة لأجل الإلغاز . وقول الشاعر :

لما رأيت أبا يزيد مقاتلا أدع القتال وأشهد الهيجاء
يقال : أين جواب لما ؟ وبم انتصب أدع ؟ وهذه غفلة ؛ فالأصل :
لن ما ، أدعمت النون في الميم للتقارب ، ووصلا في الخط ، وحقهما أن يكتب
منفصلين . وأما انتصاب أدع فبلن ، وما الظرفية وصلتها ظرف له ، فاصل
بينه وبين لن للضرورة . فيسأل حينئذ : كيف يجتمع قوله : لن أدع القتال
مع قوله : لن أشهد الهيجاء ، والهيجاء مشتجر الحرب ؟ والجواب أن أشهد
ليس معطوفا على أدع بل نصبه بأن مضمرة وأن والفعل عطف على القتال ،
أى لن أدع القتال وشهود الهيجاء ؛ على حد قول الشاعر :

ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف
وقول الشاعر :

ويح من لام عاشقا في هواه ! إن لوم الحب كالإغراء
يقال : كيف ارتفع الإغراء بعد كاف التشبيه ؟ والجواب : أن الكاف
ضمير المخاطب ، متصلة بالحب ، والآلف واللام في الحب بمعنى الذى أحب ،

والأغراء خبر إن . والمعنى إن لوم المحبك هو الإغراء ، وحق الكاف أن
توصل في الخط بالحب ، ولكن فصلت للأغز . وقول الشاعر :

يا صاحب ملك الفؤاد عشية زار الحبيب بها خليل نائي
لما بدا لم أدر : بدر دجنة أم وجهه من أهواء طرفي رأي

يقال كيف جرّ صاحب وهو منادى مفرد ؟ وجوابه أنه يا صاحب مرخم ،
و د ر ن ، فعل أمر من بان يبين إذا فارق ، وكتبت هكذا على نحو صاحب لأجل
الإغراء . ويقال : علام نصب بدر من قوله : بدر دجنة ، وما قبل الاستفهام
لا يعمل فيه ؟ وجوابه أنه منصوب برأي . والمعنى : لم أدر ^(١) طرفي رأي
بدر دجنة أم وجهه من أهواء . وقول الشاعر :

لا تقنطن وكن في الله محتسبا فبينما أنت ذا ^(٢) يأس أنى الفرجا

الفرج مفعول ، العامل فيه اسم الفاعل وهو محتسب . والمعنى : وكن في
الله محتسبا الفرج ، فبينما أنت ذا ^(٣) يأس أنى . وقال العباس بن مرداس :

ومن قبلُ آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبلَ محمداً

قال لي مرة طالب نحوي : كيف نصب محمداً وهو مضاف إليه ؟ فقلت
له : قبل أن أجيبك أسألك : هل صلى المسلمون قط لمحمد صلى الله عليه وسلم
أو لربه تعالى ؟ فقال : بل لربه تعالى . فقلت : ففكر : فإن أحداً لم يصل قط
للنبي صلى الله عليه وسلم لا قبل الأوثان ولا بعدها . والجواب أن آمنا في
البيت معناه : صدقنا ، ومحمداً مفعول آمنا ، أي ومن قبل صدقنا محمداً ، وقد كان
قومنا يصلون للأوثان قبل ؛ وقبل مقطوعة عن الإضافة بنيت ^(٤) على الفتح ،

(١) كذا في الأصول . وقد يكون الأصل : أطرفي . أو ورد هذا بحذف همزة الاستفهام

مع نيتها .

(٢) كذا بالنصب ، ولا وجه له . وقد يكون الأصل : ذو يأس .

(٣) كذا . والمعروف في النحو أن هذه فتحة نصب لا بناء ، وأن المضاف إليه حذف مع

نية لفظه ومعناه .

وهي لغة : واللغة العالية بناؤها على الضم . وقيل : أراد النكرة ، أى قبلا ، ثم حذف التنوين مضطراً . وقال الآخر :

فرعون مالى وهامان الالى زعموا أنى بخلت بما يعطيه قارونا
(فر) فعل أمر من وفر له العطية : ومنه عطاء موفور . وعونة : امرأة رتجها ، فقال : عون . والمعنى : أعطى عوناً مالى . وأما وها فدعاء من وهى ، وهى إذا ضعف . ومان^(١) جمع مائة : البطن وهى أسفل الشرة . يقول ضَعُفَ مان الذين زعموا أنى بخلت . وقارون : المفعول الثانى ليعطيه ، والاول : الهاء العائدة إلى ما الموصولة وفاعل يعطيه مضمر للعلم به كأنه قال : يعطيه الله قارون . واعلم أن هذا بحر لا ساحل له وقد نظمت^(٢) أبياتاً فى أنواع من العلوم منها :

من قال : إن الزنى والشرب مصلحة ولم يقل : هو ذنب غير مغتفر ؟
من قال : سفك دماء المسلمين على صلاة أوجه الرحمن فى الزبر ؟^(٣)
من قال : إن نكاح الام يقرب من تقوى الإله مقالا غير مبتكر ؟^(٤)
من كان والدُها ابناً فى الأنام لها وذاك غير عجيب عند ذى النظر ؟
من الفتاة لها زوجان ما برحا تزوجت ثلثاً حلاً بلا نكر ؟
من أبصرت فى دمشق عينه صبا مصوراً وهو منحوت من الحجر ؟
إن جاع يأكل وإن يشرب تضرع من ماء تمسير زلال تهم منهم^(٥)
ولو أخذنا فى الإكثار من هذا وشرحه لخرجنا عما نحن بصدده . والغرض أن هذه الطائفة راعت الألفاظ ، فأتييت من قبل المعانى ، كما راعت طائفة المعانى ، فأتييت من قبل الألفاظ . ألا ترى إلى قول بعضهم فى : وتمود فما أبقى . إن (تمود) مفعول مقدم ، وهذا خطأ ؛ فإن لما النافية الصدر .

(١) ومان ومائة عطفاً مأن ومائة كما يقال راس فى رأس ، وهو إبدال قياسى .

(٢) كذا فى نسخة فى هامش ل . وفى سائر الأصول : نظمه .

(٣) كذا فى ف ، ل ، ز . وفى د ، ط (الزنى) .

(٤) كذا فى النسخ ما عدا د فقيها (مبتكر) .

(٥) أورد المؤلف فى التعليقات بعض هذه الأبيات وزاد عليها فى ص ٢٢٩ ج ٥ .

ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها . وقال بعضهم في « قليلا ما يؤمنون » إن ما بمعنى من ، ولو كان كذلك لرفع قليل على أنه خبر . والأمثلة في هذا أكثر من الأول . ومنهم من تعمق في الأدب ، فصار أكثر كلامه مسجوعا ، ثم انتهى الحال به إلى أن وقع في الكتيّف بجموده بكتّافين . فكلّمه أحدهما لينظر : أهو حيٌّ ؟ فقال : اطلب لي حبلا دقيقا ، وشدّاني شدا وثيقا ، واجذباني جذبا رقيقا . فقال أحدهما : أنا والله لا أنقذه : فإنه في الحرا إلى الحلق ، ولا يدع الفضول . حكاه صاحب البصائر^(١) .

ومنهم من غلب عليه معرفة الأوزان ، حتى حكى أن امرأة جاءت إلى عروضة بقال : فقالت : أريد بذى القطعة زيتا وبذى البيضة جنا^(٢) فشغله كلامها عن مبايعتها ، وأخذ يقطعها ، ويقول : وبذى القطعة زيتا ه فاعلاتن فاعلاتن . فقالت المرأة : أمه الفائلة . وسبته ، وانصرفت . فهذه تنبيهات على ما يستقح ويستهن من علماء هذا الزمان . والغرض بها أنه يلبيح لكل ذي فن أن يتخذ سبيلا إلى النجاة ، ويرقاة^(٣) إلى الزلفى عند الله تعالى لا صنعة يتهوس بها [بل مرقة^(٤)] يتوصل بها إلى الملا الأعلى . وحيث غمنا العلماء فلنخص أرباب الوظائف بالذكر .

المثال السابع والأربعون

المفتي

وقد خص جماعة كتاب أدب الفتيا بالتصنيف ، وذكر الفقهاء مالا طائل في إعادته ؛ لكننا نلبه على ما كثر في بعض المفتين فنقول :

(١) كذا في ف . وفي د (الدخائر) .

(٢) في ل (جينا) .

(٣) أثبتت هذه الزيادة في ف . وخلصت منها نسخة د .

منهم من يسهّل أمر الشرع ، ويقنّاهي ^(١) إلى أن يُفتى ببعض ما لا يعتقده من المذاهب ، ويرخص لبعض الأئمة ما لم يرخص فيه لعموم الخلق بعض العلما ؛ فيقول مثلاً لمن سأله عن انتفاض الضوء بمس الذكر : لا ينتقض عند أبي حنيفة ، وعن لعب الشطرنج ، وأكل لحوم الخيل : حلال عند الشافعي ، وعن مجاوزة الحد في التعزيرات : جائز عند مالك ، وعن بيع الوقف إذا خرب وتعطلت منفعته ، ولم يكن له ما يعمر به : حلال عند أحمد بن حنبل ، وهكذا . فليت شعري : بأي مذهب أفتى هذا المفتي ١٥ وعلى أي طريقة جرى ؟ وبأي إمام يتعلق ١٦ ؟ فلقد ركّب لنفسه بمجموع هذه الأمور مذهباً لم يقله أحد . فإن قلت : ليس ذهب بعضهم إلى جواز تقبّع الرخص ؟ قلت : ذلك على ضعفه لا يوجب إغراء السّفلة بدين الله تعالى ، وتخصيص الأئمة دون غيرهم . وقائل هذه المقالة يخصّصُ بها من يشاء ، ولا يعتقدها أيضاً ؛ فإنّه لو اعتقدها لم يخصّ بها . وهذا من علامات الاستهانة بدين الله تعالى ؛ نعوذ بالله من الخذلان . وما هذا المفتي إلا ضالٌّ ، خارق لحجاب الهيبة ، مسقط لأبهة الشرع ، مفسد ^(٢) لنظام الدين . أنشئت لبعض سفهاء الشعراء :

الشافعي من الأئمة قائل :	اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال - وهو مصدّق	في كل ما يروى من الأحكام - :
شرب المثلث والمربع جائز	فاشرب على أمن من الآثام
وأباح مالك الفقّاح ^(٣) تكرّماً	في ظهر جارية وظهر غلام
والخبر أحمد حل جلد عميرة	وبذاك يستغنى عن الأرحام ^(٤)
فاشرب ولط ووازن وقامر واحتجج	في كل مسألة بقول إمام

(١) كذا في د . وفي ف (يقنّاهي) .

(٢) كذا في د . وفي ف : مسقط .

(٣) هو إصابة الفقة ، وهي الدر ، وهذا كناية عن اللواط .

(٤) حل جلد عميرة أي أحل . وجلد عميرة كناية عن الاستهانة بالبدن .

فقلت : رأيي في مثل هذا الشاعر أن يُضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق . فقصحه الله تعالى وأخزاه ! لقد اجتراً على أئمة المسلمين ، وهداة المؤمنين . وقد افترى على مالك فيما عزاه إليه ، وعلى الكل في تسمية الشطرنج قاراً ، وإطلاق الزنا واللواط والشرب على ما سماه ؛ ومن هذه حاله يشول — والعياذ بالله تعالى — إلى الزندقة . ولعل الأصل في هذا قول أبي نواس :

أباح العراقي النبيذ وشربه وقال : حرامان المدامة والسكر

وقال الحجازي : الشرايان واحد فقلت لسا من بين قوليهما الخمر

سأخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لأفارق الوازر الوزر

ومعنى هذا أن أيا حنيفة — وهو العراقي — أباح النبيذ إذا لم يسكر ، وحرّم المسكر مطلقاً : نبيذاً كان أو خمراً ، والخمر مطلقاً : مسكراً كان أو غير مسكر ، وأن الشافعي — وهو الحجازي — قال : الشرايان واحد : النبيذ والخمر فيحرم قليل كل منهما وكثيره ، فرغب هو من بين قوليهما قولاً ثالثاً ، لكنه رافع للمجمع عليه : وهو وفاق الشافعي على أن الشرايين واحد ، لكن لا في الحرمة بل في الحل . فهو مع أبي حنيفة في تحليل النبيذ غير المسكر ، ومع الشافعي في أن المسكر والخمر مثل النبيذ ، ومخالف له في حرمة المثلث : فيقول : مثله ، لكن في الحل ؛ والشافعي رضي الله تعالى عنه يقول : مثله لكن في الحرمة . فهذا أبو نواس لم يقصد إلا نوعاً من المجنون الذي لم يخلُ عنه الأدباء ؛ ولكن المجنون في هذا الباب قبيح جداً ؛ لأنه تلاعب بدين الله تعالى .

ومنهم طائفة تصلبت في أمر دينها ؛ فجزاها الله تعالى خيراً : تنكر المنكر وتشدد فيه ، وتأخذ بالأغلظ ، وتتوقى مظان التهم ؛ غير أنها تبالغ ، فلا تذكر لضعفة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب ، فيؤدي ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم .

فمن حق هذه الطائفة الملاحظة ، وتسهيل ما في تسهيله فائدة لمثل هؤلاء .

إلى الخير إذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقا ؛ كما أن من حقها التشديد فيها ترى أن في تسهيله ما يؤدي إلى ارتكاب شيء من محرمات الله تعالى .
فقد روى أن سائلا جاء إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فسأله : هل للقاتل توبة ؟ فقال : لا توبة له . وسأله آخر ، فقال : له توبة . فسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن ذلك ، فقال : أما الأول فرأيت في عينيه إرادة القتل ، فمنعته . وأما الثاني فجاء مستكيناً قد قَتَلَ فلم أَفْظُظْه . قلت : ومن ثم قال الصيمري : إن سأله سائل ، فقال : إن قتلْتُ عبدي فهل عليَّ قصاص ؟ فواسع أن يقول : إن قتلته قتلناك ؛ فمن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قتل عبده قتلناه » ولأن القتل له معان^(١) . وهذا كله إذا لم يترتب على إطلاقه مفسدة .
ومنهم من يتسرع إلى الفتيا معتمداً على ظواهر الالفاظ ، غير متأمل فيها ؛ فيوقع الخلق في جهل عظيم ، ويقع هو في ألم^(٢) كبير ، ربما أداه ذلك إلى إراقة الدماء بغير حق . وأنا أذكر أمثلة مما تصلح للامعان ، منبهاً بها على أخواتها^(٣) .
فإنها ما حكى أن شخصاً أحب الاجتماع بالمؤمنين ، فأتاه السعي في ذلك ، ولم يصل إليه . فقام في ملائمة الناس ، وقال : أيها الناس ، اثبتوا^(٤) عليّ ؛ فليست بسائل . اعلّموا أن عندي ما ليس عند الله ، ولي ما ليس لله ، ومعنى ما لم يَخْلُق الله ، وإني أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأقول : إن اليهود قالت حقاً ، وإن النصارى قالت حقاً ، ومعنى زرع يلبث بغير بذر ، وسراج يضيء بغير نار ، وأنا أهدى النبي ، وأنا ربكم ، أرفعكم وأضعكم . فقاموا إليه ، وكادوا يأتون على نفسه ، وقالوا : لا كفر فوق هذا الكفر ، وصاروا^(٥) إلى المؤمنين . فلما مثل بين يديه قال له : ما الذي قلت ؟

(١) . كذا في د . وفي ف معيان .

(٢) . كذا في ف . وفي د (في ألم) .

(٣) . كذا في ف . وفي ط (على أجوبتها) .

(٤) . كذا في ف . وفي ط (أثبتوا) .

(٥) . كذا في ط . وفي ف سقطت لفظة (به) .

قال : لى حاجة إلى أمير المؤمنين ، ولم أصل إليه ، وعرفت أنى إن أقل هذ
أمثل بين يديه . وأعاد القول ، ثم أخذ يتأول ، فقال له : أما قولى : عندى
ما ليس عند الله ، فعندى الظلم والجور . وأما قولى : لى ما ليس لله ، فإن لى
صاحبة وولدا ، وليس لله تعالى صاحبة ولا ولد . وقولى : ومعنى ما لم يخلق
الله : القرآن . والفتنة : المال والولد . والحق الموت . والزرع بغير مذر : شعر
الرأس . والسراج المضى : بلا نار : العيتان . والحق الذى قالته اليهود
والنصارى : ما أشار الله إليه بقوله : وقالت اليهود ليست النصارى على شىء .
وقالت النصارى ليست اليهود على شىء . أما قولى : وأنا أحمد النبى فالتى
منصوب على المفعولية ، بأحمد ، وأحمد فعل ، فأنا أحمد نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
وأشكره . وأنا ربكم : صاحبكم ، أرفع ذلك الكم ، وأضعه . فاستحسن
الأممون ذلك منه ، وقضى حاجته ، وأصغى إلى كلامه . قلت : وهذا الإطلاق
الذى أطلقه هذا الملغز^(١) مستهجن مستفح ؛ ولا يجوز عندى ذكره مطلقا ؛
لما فيه من إيهام الكفر . ولكن بتقدير إطلاقه لا ينبغى الإقدام على التكفير
من غير تأمل وتفحص .

المثال الثامن والأربعون

المدرس

وحتى عليه أن يحسن إلقاء الدرس ، وتفهيمة للحاضرين . ثم إن كانوا
مبتدئين فلا يلتقى عليهم^(٢) ما لا يناسبهم من المشكلات ، بل يدرّهم ويأخذهم
بالأهون فالأهون ، إلى أن ينهوا إلى درجة التحقيق . وإن كانوا متبينين
فلا يلتقى عليهم^(٣) الواضحات ، بل يدخل بهم فى مشكلات الفقه ، ويخوض بهم

(١) كذا فى ف . وفى د (الكفر)

(٢) كذا فى ف . وفى ط (الهم)

عُتِبَ به الزاخر . ومن أقبح المنكرات مدرّس يحفظ سطرين أو^(١) ثلاثة من كتاب ، ويجلس يلقيها ثم ينهض ؛ فهذا إن كان لا يقدر إلّا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس ، ولا يحلّ له تناول معلومه ، وقد عطّل الجهة ؛ لأنّه لا معلوم لها . وينبغي إلّا يستحق الفقهاء^(٢) المنزّلون^(٣) معلوماً ؛ لأن مدرّستهم شاغرة عن مدرّس . وإن كان يقدر على أكثر منه ؛ ولكنه يسهّل ويتأول فهو أيضاً قبيح ؛ فإن هذا يطرق العوام إلى روم هذه المناصب ؛ فقل أن يوجد عالم لا يقدر على حفظ سطرين . ولو أن أهل العلم صانوه ، وأعطى المدرّس منهم التدريس حقّه ؛ فجلس ، وألقى جملة صالحة من العلم ، وتكلّم عليها كلام محقّق عارف ، وسأل وسُئِل ، واعترض وأجاب ، وأطال وأطاب ؛ بحيث إذا حضره أحد العوام أو المبتدئين أو المتوسّطين فهم من نفسه القصوره عن الإتيان بمثل ما أتى به ، وعرف أن العادة أنّه لا يكون مدرّس إلّا هكذا والشرع^(٤) كذلك لم تطمح نفسه في هذه المرتبة ، ولم تطمع العوام بأخذ وظائف^(٥) العلماء . فإذا رأينا العلماء يتوسعون في الدروس ، ولا يعطونها حقّها ويطلون^(٦) كثيراً من أيام العمالة ، وإذا حضروا اقتصروا على مسألة أو مسألتين من غير تحقيق ولا تفهيم ، ثم رأيناهم يقلقون من تسلط من لا يصلح على التدريس^(٧) ، ويعيبون^(٨) الزمان وأولياء الأمور ، فالرأى أن يقال لهم : أنتم السبب في ذلك ؛ بما صنعتم ؛ فالجناية منكم عليكم ومن المهمات

- (١) كذا في ط . وفي ف بدون (أو) .
- (٢) يريد الطلاب المرتبين في المدرسة .
- (٣) كذا في ل . وفي غيرها (المذكورون) أو المنزّلون : العيون .
- (٤) يريد علم الفقه . وقد يكون (الشرح) .
- (٥) في نسخة في هامش ل (مراتب) .
- (٦) كذا في د ، ل . وفي ف (يطلون) .
- (٧) كذا في د ، ل . وفي ف (على المدارس) وهذا متعلق بقوله (تسلط) .
- (٨) في ل (يعيبون) .

مدارس وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقهة ، والمدرس من الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة ، فيلقى المدرس في هذه المدرسة تفسيراً أو حديثاً أو نحواً أو أصولاً أو غير ذلك ، إما لقصوره عن الفقه ، أو لغرض آخر . واعتدى أن الذمة لا تبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء إلا بإلقاء الفقه . فإن كان هذا المدرس لا يلقى الفقه رأساً فهو آكل حرام . وكذلك نقول في مدرسة التفسير إذا ألقى مدرسها غير تفسير ، ومدرسة النحو إذا ألقى مدرسها غير نحو . والأحوط في هذا كله الإلقاء من الفن الذي بنيت له المدرسة ؛ فإن الواقف لو أراد غير ذلك لسمى ذلك الفن . وإن كان يلقى الفقه مثلاً في مدرسة الفقهاء غالباً ، ولكنه ينوع في بعض الأيام ؛ فيذكر تفسيراً أو حديثاً أو غيره من العلوم الشرعية لقصد التنوع على الطلبة ويعت عزائمهم ، فلا بأس ؛ غير أن الأحوط خلافه . وهذا كله بشرط أن يكون المسمى بالمدرسة أهل نوع خاص ؛ كما مثلنا في مدرسة وقف علي مدرس شافعي أو حنفي مثلاً ، وفقهاء ومتفقهة من أهل ذلك المذهب ، وألاً يكون شرط في المدرس معرفة غير ذلك الفن . فإن شرط فيه فنونا كما في مدارس كثيرة في ديار مصر ، وفي بلاد الشام وغيرها يقفها الواقف على طائفة مذهب معين ، ويشترط في المدرس أن يعرف مثلاً من العلوم كذا وكذا ؛ كالتفسير والحديث وغيرهما ؛ وما^(١) هذا شأنه رأيت فيه أن ينوع المدرس فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه معرفتها ؛ فإنه لولا إرادة ذكرها لما اشترطت فيه . وكان يمكن أن يقال ؛ إنها اشترطت فيه ليكون أكمل في استعداده الأجوبة عن الاعتراضات التي لعلها تعترضه^(٢) . ولكن الأحوط ما ذكرناه .

(١) كذا ، وكان الأصل (فما) ليكون هو وما بعده جواب الشرط .

(٢) كذا في ط . وفي ف (تعرضه) وفي نسخة في هامش ل (تعرض له) .

المثال التاسع والأربعون

المعيد^(١)

المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس : من تفهيم بعض الطلبة ، ونفعهم ، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة . وإلا فهو والفقير سواء : فما يكون قد شكر الله تعالى على وظيفة الإعادة .

المثال الخمسون

المفيد

عليه أن يعتمد ما يحصل به في الدرس فائدة : من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك . وإلا ضاع لفظ الإفادة وخصوصيتها^(٢) . وكان أخذه العوض في مقابلتها حراما .

المثال الحادي والخمسون

المنتهى من الفقهاء

عليه من البحث والمناظرة فوق ما على من دونه . فإن هو سكت وتناول معلوم المنتهى لكونه في نفسه أعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله تعالى حق شكرها .

المثال الثاني والخمسون

فقهاء المدرسة^(٣)

وعليهم التفهم على قدر أفهامهم ، والمواظبة إلا بعذر شرعي . ومن أقبح

(١) إن وظيفة المعيد المفتبة هي واسمها من نظر الدراسة الإسلامية بتوحيده أن نظم التعليم الإسلامية كانت في أوج من الانقراض والرق .

(٢) في ل (خصوصها) .

(٣) في ل : (المدرسة) — يضم الدال — ويريد بالفقهاء الغالب ، كما سبق ذلك .

ما يرتكبه ، تحدث^(١) بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة ، فلام يقرءون القرآن ، ولا هم يملكون^(٢) من اللغو في الكلام . فإن انضم إلى ذلك أن قراءة الجزء شرط الوقف عليهم ، وأن حديثهم في الغيبة فقد جمعوا محرمات . ومنهم من لا يصغي للباحث ، وربما فتح كتابا ينظر فيه ، ولا ينظر لما يقوله المدرس ؛ بل يجلس بعيداً عنه بحيث لا يسمعه . وهذا لا يستحق شيئاً من المعلوم ، ولا يفيده أن يطالع في كتاب وهو في الدرس ؛ فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما شرط عليه الحضور .

المثال الثالث والخمسون

قارىء العشر

وينبغي أن يقدم قراءة العشر . فيكون قبل الدرس ، وعقيب فراغ الربعة إذا كان الدرس فيه ربعة تدور : كما هو الغالب وأن يقرأ آية مناسبة للحال .

المثال الرابع والخمسون

المنشيد

وينبغي أن يذكر من الأشعار ما هو واضح اللفظ ، صحيح المعنى مشتملاً على مدائح^(٣) سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى ذكر الله تعالى وآلائه وعظمته ، وخشيته وقوته وغضبه ، وذكر الموت وما بعده ؛ وكل ذلك حسن . وأهمه مدح النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه الذي يفهم من إطلاق لفظ المنشيد . وإن اقتصر المنشيد على ذكر أبيات^(٤) غزلية أو حماسية فقد أساء ؛ لاسيما إذا كان في مجامع العلم .

(١) كذا في ف . وفي د (بحث) .

(٢) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (يملكون) .

(٣) كذا في د . وفي ف (مدح) .

(٤) كذا في ط . وفي ف (ألقاظ) .

المثال الخامس والخمسون

كاتب الغيبة على الفقهاء

عليه اعتماد الحق ، وألا يكتب على كل من لم ^(١) يحضر ، ولكن يستفصح عن سبب تخلفه . فإن كان له عذر يئنه ، وإن هو كتب على غير بصيرة فقد ظلمه حقه . وإن سأل بمجر دحطام يأخذه من الفقيه فهو على شفير جهنم .

المثال السادس ^(٢) والخمسون

القرءاء الذين يقرءون القرآن بالألحان

وعليهم أعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أنزل ، من غير مطمطة ^(٣) ولا عجرة ^(٤) ؛ بل بلفظ بين . وقد اشتملت كتب القرءاء على الغرض من ذلك . ولو وقف على من يقرأ ، وجرت العادة في ذلك البلد بترك الإقراء يوم الجمعة مثلاً ، قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى : لا يعتبر بالعادة ، وعليه الجلوس يوم الجمعة . قلت : وهذا إن احتمل طريان العادة على زمن الوقف فواضح ، وأما إن تحقق وجودها وقت تلفظ الواقع فيه نظر واحتمال . وما يكره عليهم ، وعلى المشدين أيضاً أنهم يأتون إلى دور الأمراء وقت حكمهم ، فيأتون في أخريات الناس وهم لا يلتفت إليهم . ويقرأ أحدهم عثراً ، أو مدحاً في النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي أمير أو ديوان أبكم لا يفهم ما يقال ، وهو مع ذلك مشغول بحكمه وما هو فيه . وكان المتعين على من منحه الله تعالى القرآن أو مدح نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزههما عن هذا المقام ، رأيت منشداً حضر إلى تحميم بعض الأمراء ، والخلق تزدهم ، وهو

(١) كذا في ف . وفي ط (من لا يحضر) .

(٢) هذا المثال عن ل . وقد سلف في غيرها .

(٣) المطمطة : البطء في الكلام . يريد الإصراف في هذا الحروف كما يفعل القرآن بالألحان .

(٤) يريد السرعة في القراءة ، وعدم إعطاء الحروف حقها .

يلشد ويذكر صفات سيّدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقوم
لا ينصتون له ، ولا فيهم من يدري ما يقول ؛ فحصل بذلك من الألم
ما (كاد يصهر^(١)) قلبي .

ومن شكر نعمة الله تعالى على ذوى الأصوات الحسنة من الفقراء
والمنشدين ألا يستعملوا أصواتهم فى الغناء المحرّم ، وبجاس الخور والمنكرات
وإيجنبوا مقت الرب وغضبه ، تبارك وتعالى .

المثال السابع والخمسون

خازن الكتب

وحق عليه الاحتفاظ بها ، وترميم شعثها ، وحبكها عند احتياجها للحبك ،
والصيانة بها على من ليس من أهلها ، وبذلها للمحتاج إليها ، وأن يقدم فى العارية
الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء . وكثيراً ما يشترط
الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته ؛ وهو شرط صحيح معتبر ؛
فليس للخازن أن يعير إلا برهن ؛ صرح به القفال فى الفتاوى ، والشيخ الإمام
فى تكملة شرح المذهب ؛ وذكر أنه ليس هو الرهن الشرعى .

المثال الثامن والخمسون

شيخ الرواية

وعليه أن يُسمع المحدثين ، ويستمع لما يقرؤنه عليه ، لفظة لفظة ، بحيث
يصح سماعهم . وليصبر عليهم ؛ فإنهم وقد الله تعالى . ومتى وجد جزء حديث
أو كتاب تفرد شيخ بروايته كان فرض عين عليه أن يسمعه .

(١) فى الأصل (كان يصار بقلبي) .

المثال التاسع والخمسون

كاتب غيبة السامعين

وعليه ضبط أسماء الحاضرين والسامعين ، وتأمل من يسمع ومن لا يسمع ،
والآ يكون كاذبا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : إن فلانا سمع ولم يسمع .
فإن هو تساهل في ذلك فليتبوأ مقعده من النار .

المثال الستون

الخطيب

عليه^(١) أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفسا من أهل الجمعة .
فلو خطب سرا بحيث لم يُسمع غيره لم تصح على الصحيح . ولو رفع صوته
قدر ما يبلغهم ، ولكن كانوا كلهم أو بعضهم صمّا فامتنع سماعه للصم^(٢)
فالأصح لا يصح أيضاً . وأما الالتفات في الخطبة ، والدق على درج المنبر
في صعوده ، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس ، والمجازفة في وصف
السلطين عند الدعاء لهم ، والمبالغة في الإسراع في الخطبة الثانية ، فكل
ذلك مكروه . ولا بأس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه ؛ فإن صلاحه صلاح
المسلمين . ولا يطيل الخطبة على الناس ؛ فإن وراءه الشيخ والضعيف
والصغير وذا الحاجة . ولا يأتي بالفاظ قلقة بصعب^(٣) فهمها على غير الخاصة ،
بل يذكر الواضح من الألفاظ . ولا يتكلف السجع إلى غير ذلك مما ذكره
الفقهاء .

(١) كذا في النسخ ما عدا زقيها (وعليه) .
(٢) كذا في كل النسخ ما عدا لقيها (للصم) .
(٣) كذا في كل النسخ ما عدا فقيها (بصبر) .

المثال الحادى والستون

الواعظ

وعليه نحو ما على الخطيب . فليذكر بأيام الله ، وليخف القوم في الله تعالى ، وينبئهم بأخبار السلف الصالحين ، وما كانوا عليه . وأهم ما ينبغى له وللخطيب أن يتلو على نفسه قوله تعالى : أتبأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، ويتذكر قول الشاعر :

لأنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
واعلم أن الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب : فكل خطيب وواعظ لا يكون عليه سيمى الصلاح قل أن ينفع الله به .

المثال الثانى والستون

القاص

وهو من يجلس في الطرقات يذكر شيئاً من الآيات ، والأحاديث ، وأخبار السلف .

وينبغى له ألا يذكر إلا ما يفهمه العامة ، ويشتركون فيه : من الترعيب في الصلاة ، والصوم ، وإخراج الزكاة والصدقة ، ونحو ذلك ، ولا يذكر عليهم شيئاً من أصول الدين ، وفنون العقائد وأحاديث الصفات : فإن ذلك يحرمهم إلى ما لا ينبغى .

المثال الثالث والستون

قارىء الكرسى

وهو من يجلس على كرسى يقرأ على العامة شيئاً من الرقائق ، والحديث ، والتفسير : فيشترك هو والقاص في ذلك ، ويفترقان في أن القاص يقرأ من

صدره وحفظه ، ويقف ، وربما جلس ولكن جلوسه ووقوفه في الطرقات .
وأما قارئ الكرسي فيجلس على كرسي في جامع أو مسجد أو مدرسة
أو خانقاه^(١) ولا يقرأ إلا من كتاب^(٢) .

وينبغي له أيضاً مثل ما ينبغي للقاص : من قراءة ما أفهمه العامة ،
ولا يخشى عليها منه . ولا بأس بقراءة إحياء علوم الدين للفرالي ، وكتاب
رياض الصالحين ، والأذكار للنووي ، وكتاب سلاح المؤمن في الأدعية لابن
الإمام . وكتاب شفاء السقام ، في زيارة خير الأنام ، للشيخ الإمام الوالد .
وكتب ابن الجوزي في الوعظ لا بأس بها . ولا يخفى ما يحذر منه هؤلاء . من
كتب أصول الديانات ونحوها .

المثال الرابع والستون

الإمام

ومن حقه النصح للمؤمنين^(٣) : بأن يُخَصِّصَ في صلاته ، ويحار في دعائه ،
ويضرع^(٤) في ابتياله ، ويحسن طهارته وقراءته ، ويحضر إلى المسجد
أول الوقت ؛ فإن اجتمع الناس يادر بالصلاة ، وإلا انتظر الجمع ما لم يُفحش
الانتظار . وبالجملة ينبغي أن يأتي بصلاته على أكمل ما يطيقه من الأحوال .
وبما تم به البلوى إمام مسجد يستيب في الإمامة بلا عذر . وقد أفتى الشيخ
عز الدين بأنه لا يستحق معلوما ؛ لأنه لم يباشر ، ولا يستحق نائبه ؛ لأنه غير

(١) الخانقاه : متعبد الصوفية . وجمعها الخوانق . وهي كلمة فارسية .

(٢) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (إلا من كتب) .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (للمؤمنين) .

(٤) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (يضرع) .

معتول ، ووافقته التووى رحمه الله ؛ لكن توقف فيه الوالد رحمه الله كما ذكر^(١) في باب المساقاة من شرح المنهاج .

أما جمع المرء بين إمامة مسجدين فالذى أراه أنه لا يجوز ؛ لأنه مطالب في كل واحد منهما بأن يصلى أول الوقت ، وتقديمه أحد المسجدين على الآخر تحكّم ، ولا ضرورة إلى ذلك . وذلك كتركه تدرسين بشرط حضور كل منهما في وقت معين يلزم من حضوره في هذا إهمال ذلك^(٢) فلا يجوز أيضاً .

المثال الخامس والستون

المؤذن

عليه^(٣) معرفة الوقت ، وإبلاغ الصوت . ويؤذن للصبح من نصف الليل وعند دخول^(٤) الوقت . ولذلك يسنّ للصّبح مؤذنان .

المثال السادس والستون

المؤقت

ولا بدّ من معرفته علم الميقات ، فليحقق فنّ الهيئة ، ووجهة القبلة على الخصوص . وقد كثر في هذه الطائفة المنجمون والكهّان نعوذ بالله منهم ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ، أخرجه مسلم ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من

(١) كذا في كل النسخ ما عدا د فيها (ذكرنا) .

(٢) كذا في ز . وفي ط (مدرسين بشرط حضور كل واحدة منها في وقت معين يلزم من حضوره في هذه إهمال تلك) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ز فيها (وعليه) .

(٤) كذا في ف ، ز ، ط ، وفي د ، ل (وجوب) .

اقتبس علماً من النجوم اقتبس شُعْبَةً من السحر زاد ما زاد ، رواه أبو داود
 بإسناد صحيح . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أن النجوم فنّ
 من السحر . ونحن نرى أن تتكلم على حقيقة السحر ، والكهانة ، والنجوم ،
 والسيعيا مختصراً ، فالكل من واد واحد ، ويطلق على جميعها اسم
 السحر ، فنقول :

حاصل معنى السحر في اللغة يرجع إلى معنى الإزالة وصرف الشيء عن
 وجهه بطريق خفى . ويطلق في عرف المتكلمين على أمور :
 أحدها : السعى بين الناس بالتميمة .

وثانيها : تعلق القلب كما يقول بعض المتأملين^(١) لمن في عقله خفة : إنه
 يعرف الاسم الأعظم أو إن الجنّ تطيعه ، فينفعل له ضعيف العقل ، وربما أذاه
 انفعاله إلى مرض أو نحوه ، أو مطاوعة ذلك المتلبل فيما يقصده .

وثالثها : الاستماع بخواصّ الأدوية والمفردات ؛ كاجتذاب المغناطيس
 للحديد ونحو ذلك ، فيعتقد الراى أن ذلك بفعل الساحر ؛ فقد حكى أن كنيسة
 ببلاد الروم تُعمل في جدرانها الأربعة وسقفها وأرضها ستّة حجارة من
 المغناطيس متساوية في القدر ، وجعل في هوائها صليب من حديد بمقدار
 ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستّة ؛ بحيث لا يغلب حجر منها بقيتها في
 الجذب ، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تُمسكه
 ظاهراً ، فافتن به قوم من النصارى .

ورابعها : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب
 الهندسية تارة ، وعلى ضرورة الحلاء أخرى ، كدوران الساعات وجرّ الأثقال .
 ولها أسباب يقينية من اطلاع عليها قدر على عمل مثلها .

(١) كذا في ف ، د ، ز ، و ، ل ، ط (المتأملين) .

وخامسها : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهي الشعبذة المخيلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه .

وسادسها : الاستعانة بالجن على ما يريد به بالرقي والعزائم والتسخيرات .

وسابعها : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية التي إذا تجردت وتوجهت نحو شيء أثرت فيه . وأقرب شاهد له في الشريعة الإصابة بالعين . وقد أثبتته النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنه حق ، وثبت عن جماعة أنهم يقتلون النفس بالهمة .

وثامنها : الاستعانة على ذلك بالكواكب والتأثيرات التي يُحدثها الله تعالى عندها ، وهو سحر الصابئة الذين بعث الله إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلا لمقاتلتهم^(١) وراداً عليهم .

وتاسعها : السيمياء ، وهو أن يُرْكَب الساحر شيئاً من خواص [أرضية^(٢)] أو صنعة كأدهان خاصة أو مائعات خاصة ، أو كليات خاصة ، توجب تخيلات^(٣) خاصة وإدراك الحواس ما كولا أو مشروباً ، ونحو ذلك . ولا حقيقة له ؛ كما حكى الأوزاعي رحمه الله عن اليهودي الذي لحقه في السفر ، وأنه أخذ ضفدعاً فسحرها حتى صارت خنزيراً ، فباعه من قوم من النصارى ؛ فلما صاروا به إلى بيوتهم عاد ضفدعاً ، فلحقوا اليهودي وهو مع الأوزاعي ؛ فلما قربوا^(٤) منه رأوا رأسه قد سقط ، ففزعوا وولوا هاربين ؛ وبقى الرأس يقول للأوزاعي^(٥) : يا أبا عمر هل غابوا ؟ إلى أن بعدوا عنه ، فصار الرأس في الجسد فهذه الأمور كلها باطلة عندنا . وأحقها باسم النجوم استخدام الكواكب ،

(١) كذا في د ، ز ، ل . وفي ف (مقاتلهم) . وفي ط (لمقاتلهم) .

(٢) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ لم يثبت هذا اللفظ .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (تخيلات) .

(٤) كذا في د ، ل ، ز ، ط . وفي ف (سقط هذا اللفظ) .

(٥) كذا في النسخ ما عدا ف فقد سقط منها هذا اللفظ .

ولا يسمى ذلك سحراً بالحقيقة ، وإنما يسمى تنجياً ، ويسمى صاحبه منجماً .
وفيه يقول أبو فراس بن خنيدان :

دع النجوم لعراف يعيش بها وانهمض بعزم قوى أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي هموا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا
وقال أبو تمام في المعتصمية ^(١) :

أين الراوية أم ^(٢) أين النجوم وما صاعقه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثاً ملفقة ليست بفسخ إذا عدت ولا غرب ^(٣)
وقال آخر :

لا تركنن إلى مقال منجم وكل الأمور إلى القضاء وسلم
واعلم بأنك إن جعلت الكوكب تدبير حادثة فليست بمسلم
وأحقها باسم السحر ما كان بالخواص التي يحدث عندها فعل حقيقي ؛
كمرض ، ومحبة ، وبغض ، وتفرق بين زوجين . ودون هذه المرتبة أن يكون
تخيلاً لا حقيقة له . وهو سحر أيضاً ؛ إلا أنه دون الأول . وذلك علم السيمياء .
وأما الشعبة تخيلات ^(٤) مبنية على خفة اليد ، والاختد بالبصر ؛ فهي دون
السيمياء . وأما استخدام الجان فلا يسمى سحراً بالحقيقة ^(٥) وأما تجرد النفوس
فليس من السحر الحقيقي في شيء ، بل ربما تجردت لخير ، وربما تجردت لشر .

(١) يريد القصيدة التي قالها في مدح المعتصم حين فتح عمورية ، ومطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

(٢) كذا في ف ، ز ، وفي ل (أو) .

(٣) التبع والغرب : ضربان من الشجر . والتبع من جيد الشجر ، والغرب من رديئه ؛
يريد أنها ليست من حسن الحديث ولا قبيحه ، كما يقال : لا خير ولا خل .

(٤) كذا في ف ، د ، ط وفي ل (تخيلات) .

(٥) في ل هذه الزيادة (وقد استقرت أحوال أهل العلوم وعلم السيمياء ، والرمل والطب
والحرف وآلات اللهو ، والنمير ، وذوى الخط الحسن ، ومن يعرف ثلاث حرف فصاعداً ، قل
من يكون منهم إلا أرسلا (كذا) خولا ففأل الله التوفيق لما يحب ويرضى) ولم تثبت في متن
الكتاب لضعف علاقتها بالسياق ، ولأننا لم نهند إلى تصحيح كلمة (أرسلا) وقد تكون (رجلا) .

وقد حكى أَنَّ السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين لما غزا الهند انتهى إلى قلعة منيعة عصت عليه مدة . فخرج إليه بعضُ أهلها ، وقال : إنك لا تقدر عليها ؛ إلا أن تصنع ما أقول لك . قال قل^(١) . قال : إذا كان وقت مطلع الشمسُ مَرَّ الجيشُ^(٢) بضرب الطبول ضرباً واحداً مزججاً ، وازحف على القلعة أنت والجيشُ يداً واحدة . ففعل ؛ فافتتح القلعة . ثم سأله عن السبب . فقال : إن أصحاب هذه القلعة أصحاب هم وتوجهات ، وقد صرفوا همهم إلى دفعك عنها ، ولا يشوش على نفوسهم ويفرقها شيء كالطبول المزججة ، وغلبات^(٣) العسكر . فلما فعلت ذلك تفرقت همهم وشغلوا عن التوجه ، فلت مقصدك .

المثال السابع والستون

الصوفية

حيّاهم الله ويّاهم^(١) ، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم . وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم ؛ لكثرة المتلبسين بها ؛ بحيث قال الشيخ أبو محمد^(٢) الجويني : لا يصح الوقف عليهم ؛ لأنه لا حد لهم يعرف ؛ والصحيح صحته ، وأنهم المعْرِضون عن الدنيا ، المستغلون في أغلب الأوقات بالعبادة ؛ ومن ثم قال الجنيد^(٣) : التصوف

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها ؛ (هات) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي باقي النسخ (مر الجيوش) وقد سقطت الفاء في جواب الشرط .

(٣) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط (جليات) .

(٤) كذا في د . وفي ف (وسفاهم) .

(٥) هو عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي ، ركن الإسلام ، والد إمام الحرمين . توفي ببغداد سنة ٤٢٠ هـ .

سنة ٤٢٠ هـ — عن طبقات الشافعية .

(٦) هو ابن محمد شيخ طائفة الصوفية . توفي سنة ٢٩٠ هـ وانظر النجوم الزاهرة .

استعمال كل خلق سني ، وترك كل خلق دني ؛ وقال أبو بكر الشيبلي^(١) :
التصوف ضبط حواسك ، ومراباة أنفاسك ، وقال ذو النون^(٢) : الصوفي
من إذا فلق أبان نطقه عن الحقائق ، وإذا سكنت نطقته عنه الجوارح بقطع
العلائق ؛ وقال علي^(٣) بن بُندار : التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً ؛
وقال أبو علي^(٤) الروذباري : الصوفي من لبس الصوف على الصفا ، وأذاق
الحوى طعم الجفا ، ولزم طريق المصطفى ، وكانت الدنيا منه على القفا . وكان
الشيخ الإمام يقول : الصوفي من لزم الصدق مع الحق ، والخلق^(٥) مع
الخلق ، ويُشيد :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما ، وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير قبيح صافي فصوفي ، حتى لقب الصوفي
وهذه عبارات متقاربة . والحاصل أنهم أهل الله وخاصته ، الذين
ترجي^(٦) الرحمة بذكرهم ، ويُستزَل الغيث بدعائهم ؛ فرضى الله عنهم وعنا
بهم ، وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم . قال الأستاذ أبو القاسم
القشيري رحمه الله : جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على
السكافة من عباده^(٧) بعد رسله وأنبياؤه صلوات الله عليهم وسلامه . جعل الله
قلوبهم معادين أسرارهم ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم ، فهم الغياث
للخلق ، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق . ومن أوصاف هذه الطائفة
الرأفة والرحمة والعفو ، والصفح ، وعدم المؤاخذه . وضابطهم ما ذكرناه .

(١) هو ذلف بن جندر . أصله من الشيبلي ، وهي قرية بالعراق ، ومولده ببنامرا ، صعب
الجنيد ، وتوفي سنة ٢٣٤ .

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم المصري ؛ من أئمة التصوف . مات بمصر سنة ٢٤٥ هـ وانظر النجوم

(٣) من أئمة الصوفية ، صعب الجنيد ، وانظر طبقات الشمراني .

(٤) هو محمد بن أحمد بن القاسم الصوفي ، سكن مصر ، وله تصانيف حسان في التصوف .
مات سنة ٢٢٣ هـ عن معجم البلدان في (روذبار) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (الحق) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (ترجي) .

(٧) هذه الزيادة (من عباده) أثبتت في د ، وسقطت في ف .

وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة . وقال : الطريق مسدود على خلق الله تعالى ؛ إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — ومن حقهم تربية المريد إذا لاحت عليه لوائح الخير ، وإمداده بالخاطر والدعاء . يحكى عن بعض المشايخ أن تلميذه حضر إليه وهو جالس في جماعة ، وقد ارتفع النهار ، فنصّر الشيخ أنه كان في الليلة الذاهبة قد ارتكب معصية ، فنظر إليه نظر مُغضَب ، ولم يمكنه الإفصاح له بمحضر من الجماعة : فنظر التلميذ إلى الشيخ نظرة ^(١) منكر . فقام الشيخ ، وجاء ^(٢) ، وقبل يد التلميذ ، ولم يفهم الجماعة شيئاً . فسئل الشيخ بعد ذلك ؛ فقال : إنه البارحة وقع في الزنى ، فنظرت إليه نظر مغضَب لذلك ، فنظر إلى نظر عائب ، يقول : لو كان خاطرك معي ، وإمدادك مصاحبي ، لما وقع مني ^(٣) ذلك . فأنت المقتصّر . فقبلت يده لصدقه ؛ فإن التقصير مني . ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يُطلعهم الله تعالى عليه من المغيّبات ، ويخصهم به من الكرامات ، على الإذن : وهم لا يجيزون إظهارها بلا فائدة ، ولا يظهرونها إلا عن إذن لفائدة ، دينية : من تربية أو بشارة أو بذارة ؛ كما قال الصديق رضي الله تعالى عنه لعائشة رضي الله تعالى عنها — وقد كان نَحَلَهَا ^(٤) جاد ^(٥) عشرين وسقاً من ماله بالغاية ^(٦) فخرته الوفاة ، وأراد استرجاع الهبة ، وتطبيب قلبها مع ذلك — : والله يا بنية ما من الناس أحد أحبّ إليّ غنىً بعدى منك ، ولا أعزّ عليّ فقرٌ بعدى منك ، وإني كنت نَحَلْتُكَ جادَ عشرين وسقاً ، فلو كنت حزيتَه كان لك . وإنما هو اليوم

(١) كذا في ف ، د . وفي ط (نظر) .

(٢) كذا في النسخ ما عدا ز فلم يذكر فيها هذا اللفظ .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (وقع شيء من ذلك) .

(٤) أي منحها وأعطاهما .

(٥) أي وهب لها تحلاً كان يجود منه ويؤخذ كل سنة عشرين وسقاً من البلح .

(٦) موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة . وانظر معجم البلدان

مال وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك فاقسيموه على كتاب الله تعالى . قالت عائشة : والله يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته ؛ إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : [ذلك ^(١)] ذو بطن بنت خارجة ، أراها جارية . فكان كذلك ^(٢) . فلم يظهر أبو بكر ذلك إلا لاستطابة قلب عائشة رضي الله تعالى عنها .

وأما قصة سارية ^(٣) فإن عمر رضي الله تعالى عنه كان أمره على جيش ، وجهزه إلى بلاد فارس ، فاشتد الحال على عسكره بباب نهاوند ^(٤) ، وكاد المسلمون ينهزمون ، وعمر رضي الله تعالى عنه بالمدينة : فصعد المنبر ، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، الحكاية . فسمع الله تعالى سارية وجنوده أجمعين — وهم بنهاوند — صوت عمر رضي الله عنه ، وعرفوه ، وقالوا : هذا صوت أمير المؤمنين ، يأمرنا بالالتجاء إلى الجبل . فلبجثوا إليه ونجوا ^(٥) .

سمعت ^(٦) الشيخ الإمام يقول : سئل على كرم الله وجهه وقد كان حاضراً في المسجد ، وعمر يخطب ويستغيث بهذا الصوت : ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين ؟ فقال على كرم الله وجهه : دعوا أمير المؤمنين ؛ فما دخل في أمر إلا وخرج منه . ثم تبين الحال بالآخرة . فنقول ^(٧) : عمر هنا — والله أعلم — لم يقصد إظهار الكرامة ، وإنما ألجأته الضرورة — وقد كشف له حال القوم — إلى إنقاذهم ^(٨) ، فناداهم ، ولعله غلب عليه الحال وغاب عن حسه .

(١) كذا في ل . ولم تثبت هذه اللفظة في باقي النسخ .

(٢) كذا في النسخ كلها ما عدا ف . وقد سقط منها لفظ (فكان كذلك) .

(٣) هو ابن زيم (بالتصغير) ، والمرجح أنه صحابي . انظر الإصابة لابن حجر .

(٤) من بلاد فارس . وقد وقعت سنة ٢١ هـ ولم يبق للفارس بعدها قائمة ، ويسمى فتحها فتح الفتوح .

(٥) كذا في ل ، ز ، ط . وفي د (فنجوا) وفي ف سقطت هذه اللفظة .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (وسمعت) .

(٧) هذا جواب (أما قصة سارية) .

(٨) في ل : انتقاذهم .

وأما قصة الزلزلة — وهي أن الأرض زلزلت في زمن عمر رضى الله تعالى عنه ، ففرضها بالدرة ، وقال : ويحك قري^(١) ألم أعدل عليك أو كانت ترنجف^(٢) فاستقرت من وقتها .

وقصة^(٣) النيل ، وكونه كان لا يجرى حتى يلقى فيه جارية عذراء كل عام ؛ فكتب نائب مصر عمرو بن العاص إلى عمر يخبره ؛ فكتب عمر بطاقة إلى النيل ، وأمر أن تلقى في الماء ، فيها : من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر : أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ؛ وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يُجريك فاجر ياذن الله الواحد القهار . بجرى جريانا لم يعهد مثله ، أخصيت له البلاد . وكرامات عمر رضى الله تعالى عنه كثيرة . وهذه الأمور من تمكنه في الأرض ظاهراً وباطناً ، وكونه أمير المؤمنين على الحقيقة ، وخليفة الله تعالى في أرضه وساكنت أرضه . وليس هذا الكتاب موضع استيعاب القول على ذلك . وإذا علمت أن خاصة الخلق هم الصوفية ، فاعلم أنهم^(٤) قد تشبه بهم أفوام ليسوا منهم ، فأوجب تشبه^(٥) أولاء بهم سوء الظن . ولعل ذلك من الله تعالى قصداً لحفاء هذه الطائفة ، التى تؤثر الخول على الظهور .

واعلم أن الصوفية أكثرهم لا يرضى بدخول الخوانق ، ولا التعلق بشيء من أسباب الدنيا ، ونحن نتذكر^(٦) بهم ولا نذكرهم . ولكننا تكلم على ذوى الأسباب منهم ؛ لأنهم لما خالطوا أهل الدنيا تطرق إليهم البحث على قدر مخالطتهم : فإن تجتنبها كنت سلباً لأهلها وإن تجتنبها نازعتك كلابها

(١) في الأصول (أخرى) ولا وجه له ، فإنه يأمرها بالفرار لا بالإقرار الذى هو الإذعان .
(٢) كذا في كل النسخ ما عدا دقيقها (ترجف) .
(٣) لم يذكر خبر المبتدا — وهو قصة النيل — وكأن الخبر محذوف أى لجوابه ما تقدم في قصة سارية — .

(٤) كذا في ل ، ز ، د . وفى ف ، ط ، هامش ل (أنه) .
(٥) كذا في ل ، ز . وفى ف ، د (تشبه) .
(٦) كذا في ل ، ز . وفى ط ، ف (نتذكرهم ولا نذكرهم) .

المثال الثامن والستون

شيخ الخائفاه

وربما سمي كبير هذه الطائفة شيخ الشيوخ ؛ وربما قيل : شيخ شيوخ العارفين . وسمعت الشيخ الإمام يشدد النكير في هذه العبارة ، ويقول : شيخ شيوخ العارفين ! يرددها مراراً منكرأ لها ، ويقول : لم يقنع بادعاء المعرفة ؛ حتى ادعى أنه شيخ شيوخها . وإذا عرفت هذا فنقول : حق على شيخ الخائفاه تربية المرید ، وحمل الأذى والضم على نفسه ، واعتبار قلوب جماعته قبل قوالهم ، والكلام مع كل منهم بحسب ما يقبله عقله ، وتحمله قواه ، ويصل إليه ذهنه ، والكفّ عن ذكر ألفاظ ليس سامعها من أهلها ؛ كالتجلى والمشاهدة ورفع الحجاب ، إذا كان السامع بعيداً عنها ؛ فإن في ذكرها له من المفسد ما لا خفاء به ، بل يأخذ المرید بالصلاة والتلاوة والذكر ، ويربیه على التدریج . والله الله في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم ، لم يعنوا بها ظواهرها ، وإنما عنوا بها أموراً صحيحة ؛ فلا ينبغي للشيخ ذكرها لمرید لا يفهمها ؛ فإنه يضلّه ؛ مثل ما يقال عن بعضهم : العلم حجاب ؛ فإنه لا يريد به ظاهر ما يفهمه المبتدئ . منه ؛ ولكن له معنى لا يناسب حال المبتدئ . الكشف عنه ، وغير ذلك من ألفاظ ربما جرى بعضها في حال السكر ؛ فإنها بما لا يقتدى بها ، ولا توجب القدح في قائلها ؛ بل نسلم^(١) إليه حاله ، ونقيم^(٢) عذره فيما سقط من بين شفّيته حالة الغيبة ؛ فإن الشارع لم يكلف غائب الذهن . هذا إذا فقدت أسباب التأويل لكلامه بالسكّية ؛ وإن نجد^(٣) ذلك إن شاء الله تعالى في كلام أحد من المعتبرين ؛ بل قد نزّه الله تعالى أفاضلهم عن الأباطيل ، وما لهم كلمة إلا ولها محمل حسن .

(١) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ (يسلم ونقيم) .

(٢) كذا في ل . وفي ف ، د (ولن نجد) . وفي ز (ولكن لن نجد) . وفي ط (ولم نجد) .

المثال التاسع والستون

فقراء الخوائق

وأنت قد عرفت أن حقيقة الصوفي من أعرض عن الدنيا ، وأقبل على العبادة ، فقل لفقير الخائقاء : إن دخلتها لتسُدَّ رمقك ، وتستعين على التصوف فهذا حق ، وإن أنت ^(١) دخلتها لتجعلها وظيفة تحصل بها الدنيا ؛ ولست متصفا بالإعراض عن الدنيا ، والاشتغال غالب الأوقات بالعبادة ، فأنت مبطل ، ولا تستحق في وقف الصوفية شيئا ، وكل ما تأكله منها حرام ؛ لأن الواقف لم يقفها إلا على الصوفية ، ولست منهم في شيء . وقد كثر من جماعة اتخذ الخوائق أسبابا ، والدلوق المرقعة طرائق للدنيا ^(٢) ، فلم يتخلطوا من أخلاق القوم بغير لباس الزور . وهؤلاء المتشبهة الذين يقول فيهم الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما نقل عنه : رجل أكل ، نثوم كثير الفضول . وقال الإمام أبو المظفر بن السمعاني : نعوذ بالله من العقرب ^(٣) والفار ، ومن الصوفي إذا عرف باب الدار . وقال شيخنا أبو حيان في هؤلاء : أكلة ، بطلّة ، سطلّة ؛ لا شغل ولا مشغلة . وقيل : رجل يظهر الإسلام ، ويبطن فاسد العقيدة ونهاية الإقدام ، في رجله جرح وعذبه ^(٤) من قدام ، يكون غالبا من بلاد الأبحام . وقال بعضهم :

ليس التصوف ليس الصوف ترقعه ولا بكامك إن غنى المعنونا
فهؤلاء القوم إذا اتخذوا الخوائق ذريعة للباس الزور ، وأكل الخشيش ،
والانهماك على حطام الدنيا ، لاسترهم الله ، وفضحهم على رموس الأشهاد ؛

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (فإن أنت دخلتها) وفي ط (وإن دخلتها) .

(٢) كذا في ف ، ز ، ل ، د . وفي ط (طرائق إلى الدنيا) .

(٣) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (من العقرب والنار) .

(٤) كذا في معظم النسخ . وفي ف (عذبه) بالهمزة .

مولكن فيهم — والله الحمد^(١) — من لا يدخل الخانقاه إلا ليقطع علاقته
ويشتغل بربه ، ويرضى بما يتبها منها معيناً له على سد رمقه ، وستر عورته ؛
فله دَرُّه ١ .

المثال السبعون

خادم الخانقاه

ومن حقه توفير أوقاتهم للعبادة ؛ فإنه في عبادة ما دام يعينهم على العبادة
بهذه النية . فيدبني له السعي في كل ما يكون ذريعة إلى ذلك . وينبغي احتفاظه
بفاضل أوقاتهم ، ووضعه في مستحق ؛ من مسكين أو هرة ونحو ذلك ،
ولا يرميه ؛ فليس من شيمتهم^(٢) طرح الزاد . ويلبى له تميز^(٣) وقفهم كما
ذكرناه في مباشرى الأوقاف .

المثال الحادي والسبعون

شيخ الزاوية

وغالب الزوايا في البرارى . فمن حقه تهية الطعام للواردين والمجنازين ،
ومؤاسيتهم إذا قدموا ، بحيث تزول خجلة^(٤) القرية عنهم . ولا بأس بأفراد
مكان للوارد ؛ لئلا يستحي وقت أكله وراحته .

المثال الثاني والسبعون

أصحاب الحرف والصناعات . والتجار ، وأصحاب الأموال

على صاحب المال أداء الزكاة ، على ما عرف في الفقهيات . وما أقبح من أعطاه

(١) كذا في ف . وفي د (والله الحمد والمئة) .

(٢) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (شيمهم) .

(٣) كذا في ل ، د ، ز . وفي ط (تميز) . وفي ف وهامش ل (تميز) .

(٤) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (رخصة القرية) .

الله مالا ، وخوله^(١) نعمة فلما دنا الحول نحمد إلى حيلة من مسقطات الزكاة فاعتمدها ؛ بخلا^(٢) على الله تعالى ؛ وإن هذا لجدير بزوال نعمته ؛ بل حق عليه إخراجها . وله دفعها إلى الإمام إذا كان عادلا ؛ وكذا إذا كان جائرا ، على ما رجحه الرافعي والنووي ؛ وهو الجديد . والمختار عند الشيخ الإمام خلافة [ولا يسقط^(٣) فرض الزكاة عن المالك إذا أخذها السلطان ، إلا إذا نوى المالك بذلك الزكاة ، وأخذها السلطان على الوضع] وإذا أخذ السلطان الزكاة ، ودفعها للمالك ، ناويا الزكاة ، سقطت عنه ، وإن لم يصرفها السلطان في مصارفها ؛ فقد صارت في ذمته ؛ إلا أن يأخذ القيمة عنها ؛ كما إذا أخذ عن الغنم الدراهم ؛ فإن الزكاة لا تسقط عن من لا يعتقد إخراج القيمة .

المثال الثالث والسبعون

صاحب الزرع والشجر

ومن حقه أن يتعهدا بالسقي ؛ فإن ترك ذلك مكروه ؛ لما فيه من إضاعة المال . ولذلك كره العلماء ترك عمارة الدار إلى أن تخرب . وأما أصل بناء الدور للحاجة فلا يكره . والاولى ترك الزيادة ؛ وربما قيل : نكره الزيادة على قدر الحاجة . وليعلم صاحب الزرع أن الزكاة واجبة في الأقوات ، وما تكمل به الأقوات ؛ كالخضرة والعدس وغيرهما . ولا تجب في شيء من الفواكه ؛ إلا في الرطب والعنب . ولا تجب الزكاة في شيء من ذلك حتى يبلغ نصابا . والنصاب خمسة أوسق ؛ أي خمسة أحوال ، كل وسق تقديره ألف رطل وستمائة^(٤) رطل بأرطال بغداد .

(١) كذا في ف ، ز ، د ، وفي ل (وخوله ونعمه) . وفي ط (وخوله نعمته) .

(٢) في ل (بخلا) .

(٣) هذه الزيادة في ل ، ط .

(٤) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (ألف رطل بأرطال بغداد) .

المثال الرابع والسبعون

الصيَّادون

ويحوز الاصطياد بجوارح السباع ؛ كالكلب ، سواء أكان أسود أم لا ، والفهد والنمر وغيرهما ، وبجوارح الطير ؛ كالبازي والشاهين والصقر . فما أخففته ، وجرحته ، وأدركه صاحبها ميتا ، أو في حركة المذبوح حل أكله . ويقوم إرسال الصائد وجرح الجارح في أى موضع كان مقام الذبح في المقدور عليه . ثم يستحب أن يمر السكين على حلقه ؛ ليريمحه . فإن لم يفعل ، وتركه حتى مات ، فهو حلال . وإن أدركه وفيه حياة مستقرّة ، ولكن تعذر ذبحه من غير تقصير من الصائد ، كما إذا أخذ الآلة ، وسلّ السكين فمات قبل إمكان ذبحه فهو حلال أيضاً ؛ للعذر . وإن كان بغير عذر كما إذا نشبت ^(١) السكين في غمدها ، فلم يتمكن من إخراجها حتى مات فهو حرام ، على الصحيح ؛ لأن حقه ^(٢) أن يستصحب غمداً يوانيه . ولا بدّ من قصد الصائد . فلو كان في يده سكين فسقط فأنجرح به صيد ومات فحرام ، خلافاً لآبي إسحاق المروزي ^(٣) ولو أرسل سهماً في الهواء ، فصادف صيدا فقتله ، لم يحل على الأصح ؛ لأنه لم يقصد الصيد . ولو رأى جماعة من الغزلان فأعجبته منها واحد ، فرمى سهماً نحوه ، فأصاب غيره من الظباء ، فهو حلال ؛ وقيل حرام ؛ لأنه قصد غيره ؛ وقيل : إن أصاب ظبياً من تلك الظباء التي رآها فهو حلال ، وإن أصاب ظبياً لم يقع عليه بصره ، فهو حرام . ولو رمى إلى خنزير ، فلم يصادفه ، بل صادف غزالا فهو حرام ، على الصحيح .

(١) كذا في ف ، ل ، د . وفي ط (تمثت) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (لأن من حقه) بزيادة من .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز ، د . وفي ط (الشهرزوري) .

المثال الخامس والسبعون

شاذ الهائر^(١)

ومن حقه اللطف والرفق بالبتائين ، وألا يستعمل أحدا فوق طاقته ، ولا يُجبّعه ؛ بل يمكنه من الأكل ، أو يُطعمه بحسب ما يقع الشرط عليه^(٢) . وعليه أن يُطلق سراحه أوقات الصلوات ؛ فإنها لا تدخل تحت الأجرة . وما يعتمد به بعضهم من تسخير البتائين ، وإجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم ، واستعمالهم فوق طاقتهم من أقبح الحرمات^(٣) ، وأشنع الجرائم^(٤) على الله تعالى في خلقه . وأقبح من ذلك أنهم يعتمدونه في بناء المساجد والمدارس أفليت شعري بأية^(٥) قربة يتقربون .

المثال السادس والسبعون

البناء

ومن حقه ألا يزخرف بالذهب ؛ لأنه يحرم تمويه السقوف والجدران به ، وإن لم يحصل منه شيء ، بالعرض على النار ؛ وأكثر من يبني لا يسلم من ذلك .

المثال السابع والسبعون

الطينان^(٦)

ومن حقه ألا يُطين مكانا قبل الكشف عنه ؛ هل فيه شيء من الحيوانات أو لا ؛ فأنت ترى كثيرا من الطينان يعجلون في وضع الطين على الجدار^(٧) ؛

(١) كذا في د ، ط . وفي ف (مشد) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (عليه الشرط) .

(٣) كذا في ف ، د . وفي ط (الحرمات) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي باقي النسخ (الجرائم) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (بأي) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (الطين) .

(٧) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (الجدران) .

وربما صادف ما لا يحل قتله لغير مأكلة من عصفور ونحوه ، فقتله ، واندمج في الطين ؛ ويكون حينئذ خائناً لله تعالى من جهة قتله هذا الحيوان ، ولصاحب الجدار من جهة جعله مثل ذلك^(١) ضمن جداره . وكثير من الطيَّانين لرغبتهم في الأجرة وسرعة العمل يدعونهم داع^(٢) إلى تبييض جدار ، فيرون ذلك الجدار ماشقاً آتلاً إلى السقوط ، فلا ينهون صاحبه ؛ بل يُطِينونه ، رغبة في الأجرة ، ويعتني خبره على صاحبه ، ويكون^(٣) ذلك سبباً لوقوعه على نفس أو أكثر ؛ وذلك من الحياة في الدين .

المثال الثامن والسبعون

معلم الكتاب

وينبغي أن يكون صحيح العقيدة ؛ فلقد^(٤) نشأ صبيان كثيرون عقيدتهم فاسدة ؛ لأنّ فقيهمهم كان كذلك . فأول ما يتعين على الآباء الفحص عن عقيدة معلم أبنائهم قبل البحث عن دينه في الفروع ، ثم البحث عن دينه في الفروع . ومن حقّ معلم الصغار ألا يعلمهم شيئاً قبل القرآن ، ثم بعده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يتكلم معهم في العقائد ؛ بل يدعهم إلى أن يتأهلوا حقّ التأهل ، ثم يأخذهم^(٥) بعقيدة أهل السنة والجماعة ؛ وإن هو أمسك عن هذا الباب فهو الأحمق . وله تمكين الصبي المميز من كتابة القرآن في اللوح وحمله ، وحمل المصحف وهو محدث^(٦) .

(١) كذا في ف ، د ، و في ط (في ضمن) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط فيها (تدعونهم إلى تبييض) .

(٣) كذا في ف ، د ، و في ط (فيكون) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (قد) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (يأخذ) .

(٦) كذا في ط ، و في ف ، د (وهو جنب) .

المثال التاسع والسبعون

الناسخ

ومن حقه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضلة : ككتب أهل البدع والأهواء ؛ وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها ؛ كسيرة عنتر وغيرها من الموضوعات المختلفة^(١) التي تضيع الزمان ، وليس للدين بها حاجة ؛ وكذلك كتب أهل المجون . وما وضعوه في أصناف الجماع ، وصفات الخور وغير ذلك مما يهيج المحرمات . فتجنّ تحذّر النساخ منها ؛ فإن الدنيا تغرهم^(٢) . وغالباً مُستكتب هذه الأشياء يعطى من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب كتب العلم . فيبغى للناسخ ألا يبيع دينه بدينار . ومن النساخ من لا يتق الله تعالى ويكتب عن عجلة ، ويحذف^(٣) من أثناء الكتاب شيئاً ؛ رغبة في تجاوزه^(٤) إذا كان قد استوجر على نسخه جملة . وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم ، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط^(٥) ببعض ، ولمصنف الكتاب في بتره^(٦) تصليفه وللذي استأجره^(٧) في سرقة منه هذا القدر . قال أصحابنا : ولو استأجره ليكتب شيئاً ، فكتبه خطأ ، أو بالعريضة فكتبه بالعجمية ، أو بالعكس ، فعليه ضمان نقصان الورق ، ولا أجر له . قال النووي — ويقرب منه ما ذكره الغزالي في الفتاوى — إنه لو استأجره لنسخ كتاب ، فغير ترتيب الأبواب ، فإن أمكن بناء بعض المكتوب [على بعض^(٨)] : بأن كان عشرة أبواب ، فكتب الباب

(١) كذا في ط . وفي ف ، د (المختلفة) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (تغرهم) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (أو يحذف) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (لتجاوزه) وكذا في ط في هامش له .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (غير مرتبط بعضه ببعض) .

(٦) كذا في د . وفي ل ، ز ، ط (يتره) (وأما في ف فغير واضحة) .

(٧) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (استأجر) .

(٨) كذا في د . وقد سقطت هذه الزيادة من باقي النسخ .

الأول آخراً منفصلاً ؛ بحيث يبنى عليه ، استحقاق بقسطه من الأجرة ؛ وإلا فلا شيء له . واستفتى الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في ناسخ استأجره مُستأجر على أن يلسخ له ختمة بأجرة معينة ، فتأخر الناسخ عن كتابتها مدة سنة ، وفي تلك المدة جاد خطه ، فهل له أن يطلب زيادة على تلك الأجرة لأجل جودة خطه ، أو يختار الفسخ ، فأفتى بأنه ليس له واحد من الأمرين ؛ بل عليه كتابتها بتلك الأجرة . ومن يستأجر ^(١) ناسخاً يبين ^(٢) له عدد الأوراق والاسطر في كل صفحة . واختلف في الخبر إذا لم يبين على من يكون ^(٣) ، فالأصح الرجوع إلى العادة ؛ فإن اضطربت وجب البيان ، وإلا فيبطل العقد .

المثال الثمانون

الوراق

وهي من أجود الصنائع . لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف ^(١) ، وكتب العلم ، ووثائق الناس وعهدهم ^(٢) . فمن شكر صاحبها نعمة الله تعالى أن يرفق بطالب العلم وغيره ، ويرجح جانب من يعلم أنه يشتري الورق لكتابة كتب العلم ، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب مالا ينبغي : من البدع والأهواء . ومن شهادات الزور والمراfcات وأنحاء ذلك .

المثال الحادى والثمانون

المجلد

وعليه نحو ما على الوراق والناسخ .

- (١) كذا في ف ، د ، د . وفي ط (استأجر) .
- (٢) كذا في ف ، د ، د . وفي ط (بين) .
- (٣) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (على من يكون إذا لم يبين) .
- (٤) كذا في ل ، ط . وفي ف ، د (المصنف) .
- (٥) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (وعهدهم) .

المثال الثاني والثمانون

المذهب

ومن حقه ألا يذهب غير المصحف . وقد عرف اختلاف الناس في تحلية المصحف بالمذهب . والذي صححه الرافعي والنووي الفرق بين أن يكون لامرأة فيحل ، أو لرجل فيحرم . والمختار عندنا أنه يحل تحليته مطلقا . وأما غير المصحف فاتفق الأصحاب على أنه لا يجوز تحليته بالمذهب .

المثال الثالث والثمانون

الطبيب

ومن حقه بذل النصيحة ، والرفق بالمريض . وإذا رأى علامات الموت لم يكره أن يلبه على الوصية بلطف من القول . وله النظر إلى العورة عند الحاجة بقدر الحاجة . وأكثر ما يؤتى الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض ، واستعجاله في ذكر ما يصفه ، وعدم فهمه مزاج المريض ، وجلوسه لطب قبل الناس استكمال الأعلية ؛ قال بعض الشعراء :

أفنى وأعنى ذا الطبيب بطبه وبكحله الأحياء والبصراء
فإذا نظرت رأيت من عميانه أممأ على أموانه قراء

وعليه أن يعتقد أن طبه لا يرد قضاء ولا قدرا ، وأنه إنما يفعل أمثالا لأمر الشرع ، وأن الله تعالى أزل الداء والدواء ؛ وما أحسن قول ابن الرومي :

غلط الطبيب على غلطة مؤرد عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار^(١)

(١) كفا في كل النسخ ما عدا دقيها (المقدار) .

المثال الرابع والثمانون

المزِين

وعليه مثل ما على الطبيب ، وكثيراً ما يقصد بعض السفلة والرعاع جبّ ذكره ؛ كما يفعله المبتدعة ومن غلبه حبّ من لا يصل إليه ممن لا يكون عقله ثابتاً ؛ فلا يحل للمزين مطاوعته على ذلك ، ومن الناس من يأتي المزين ليثقب أذنيه ويضع فيهما حلقتين .

المثال الخامس والثمانون

الكحّال

وعليه مثل ما على المزين من الاحتياط .

المثال السادس والثمانون

الحائك

ومن حقه ألا ينسج ما يحرم استعماله ؛ لئلا يكون معينا على معصية . فلا ينسج ثوب حرير لا يستعمله إلا الرجال ؛ أما إذا استعمله الرجال والنساء ، والصبيان فلا يُمنع لأنه لم يتغين أن الذي يلبسه رجل بالغ ، وفي نسج الثياب المصوّرة وجهان ، أحدهما التحريم أما المركب من الحرير وغيره فالمذهب أنه إن كان الحرير أكثر وزناً حرم ، وإن كان غيره أكثر أو استويا لم يحرم ، ويجوز جعل طراز من حرير بشرط ألا يتجاوز قدر أربع أصابع .

المثال السابع والثمانون

القيم في الحمام

وعليه ألا ينظر إلى عورة من يغسله ، ولا يلبس شيئاً منها بدون حائل .
ومن جلس بين يدي حلاق ليحلق رأسه فخلق ، فالصحيح في المذهب أنه لا يجب
الأجرة ، والقيم مفترط حيث لم يشترط قبل أن يحلق . والمختار عندي - وهو
وجه في المذهب - أنه يلزمه أجرة إذا جرت العادة بذلك ، وكان القيم معروفاً
به . وسئل شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام : هل يجوز تدليك الأجسام ،
وغسل الأيدي بالعدس ؟ فأجاب في الفتاوى الموصلية : العدس طعام يحترم كما
يحترم الطعام ؛ فإن استعمل لغير ذلك بسبب مرض يداوى به مثله فلا بأس .

المثال الثامن والثمانون

الدّهان

وعليه ألا يصور صورة^(١) حيوان ، لا على حائط ولا سقف ولا آلة
من الآلات ، ولا على الأرض . وأجاز بعض أصحابنا التصوير على الأرض
ونحوها ؛ والصحيح خلافه . وقد لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
المصورين ، وقال : إنهم من أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

المثال التاسع والثمانون

الخياط

ومن حقّه ألا يخيّط حريراً ، ولا يجعله بطانة لمن يحرم عليه استعماله ؛
كالرجال . أمّا النساء والصبيان فاستعماله لهم غير حرام ؛ وإن جاوز الصبي سنّ

(١) كذا في ف ، ط . وفي د ، ل ، ز (بصورة) .

التمييز ؛ خلافا للرافعي في الشرح . وعلى الخياط أن يحترز عند قطع القماش ،
ويقدّر ، ويستأذن ، فيكون ^(١) على بصيرة . فلو قال الرجل للخياط : إن كان
هذا الثوب يكفيني قيصاً فاقطعه ، فقطعه ، فلم يكفه ، ضمن الارش ، لأن
الأذن مشروط بما لم يوجد . وإن قال : هل يكفيني قيصاً ؟ فقال : نعم ، فقال :
اقطعه ، فقطعه ، فلم يكف ، لم يضمن ؛ لأن الأذن مطلق وإن تقدمته
قرينة ؛ لكن كان من حق الخياط ألا يتكلم على جهالة ، ويجوز للخياط
أن يحيط بالحرر .

المئال التمسعون

الصباغ

ومن حقه ألا يصبغ بمحرم . ولقد كثر منهم الصبغ بالدماء ؛ وذلك محرم ؛
فإن صبغ بالدم ، وغسل بعد ذلك ، فذهب الريح والطعم ، وبقي اللون ،
وعُذرت إزالته ، فالأصح أنه لا يضر . ويقال : إن الثياب الحمر الصوف
المربعة كلها من هذا القبيل . والصحيح أنه يحرم على الرجل لبس الثوب
المزعفر والمعصفّر . ولو دفع الرجل خرقه إلى صباغ فصبغها حمراء ، وقال :
كذا أمرتني ^(٢) ، فقال الدافع : لم أقل لك : اصبغ إلا بالأسود ، أو دفع خرقه
إلى خياط ، فغاطها قباء ، فقال : ما أمرتك إلا بقميص ، فالأصح أن القول
قول المالك ، فيحلف ، ويلزم الصباغ والخياط أرشُ النقص .

(١) كذا في ز وعامش ل . وفي باقي النسخ (ويستأذن على بصيرة) .

(٢) كذا في كل النسخ ما هنا ف فيها (أذنتي) .

المثال الحادى والتسعون

الناطور^(١)

ومن حقّه ملاحظه الثياب ، استَحْفِظْ أَمْ لَمْ يُسْتَحْفَظْ . وحكى القاضى عن
الأصحاب أنّه لا يجب عليه إذا لم يستَحْفَظْ الحفظ ؛ قال : وعندى أنّه يجب^(٢) .
ولو سرقت الثياب من مَسْلُخِ الحَقَام ، والناطور^(٣) جالس فى مكانه مستيقظ
فلا ضمان عليه ؛ وإن نام ، أو قام من مكانه ، ولم يستنب أحدًا موضعه ضَمِنَ .

المثال الثانى والتسعون

الفرّاشون

ومن وظائفهم^(٤) ضرب خيام الأمراء .
وحقّ عليهم ألا يحتجروا^(٥) على الناس ويمنعوهم أرض الله الواسعة ؛
فأظلم فرّاش الأمير وغيره^(٦) إذا جاء إلى ناحية من الفضاء ، فوجد فقيراً
قد سبق إليها ، ونزل فيها ، فأقامه منها ، ليخيم للأمير مكانه . وحكم الله أن
السابق أولى ، والأمير والمأمور فى ذلك سواء .

(١) كذا فى كل النسخ ماعدا ف فيها (الناطور) بالفاء المعجمة والناطور : حارس الخيام .

(٢) كذا فى ف . وفى د (يجب للعادة) وفى ل (يجب للعادة) وفى ز (وعندى بحسب العادة)

وفى ط (يجب بحسب العادة) .

(٣) كذا فى ف ، د ، ل ، ز ، وفى ط (ومن حقهم ضرب) .

(٤) كذا فى كل النسخ ماعدا ط فيها (يحتزلوا) .

(٥) كذا فى ف ، د ، ز ، وفى ط ، د (أو غيره) .

المثال الثالث والتسعون

البابا^(١)

ومن حقه أن يحرص على إزالة نجاسة الثياب عند غسلها ، فيحترز من البول والغائط والمذى والدم ونحو ذلك ؛ فإنه متى لاقى شيء منها بدن الإنسان أو ثوبه لم تصح معه صلاته . فإن عليه البابا في ثوب شخص ولم يُزله بقي ذلك في ذمته . فعليه إفاضة الماء في محل النجاسة ، بحيث تضحل ، ويذهب طعمها ، وكذلك لونها وريحها ، إلا أن يعلّق اللّون بالمحلّ كالدم ، فيعق عنه . وأمّا بول الغلام الرضيع فيكفي فيه رش الماء . وأمّا دم البراغيث والجراحات البدنية ، والدمامل واليسير من طين الشوارع فمغفوّ عنه . وإذا غسل البابا ذلك كله فهو أولى وأحرى .

المثال الرابع والتسعون

الشرّيدار

ومن حقه^(٢) أن يحترز فيما يسقيه لخدمته من وصول شيء إليه ينجسه أو يقدّره . وإيّاه أن يسقيه محرّماً . ويأويحه إن سقاه سماً قاتلاً . ويحافظ على النظافة في أوانيهِ وثيابه ، والرائحة الطيبة فيها ما أمكنه .

(١) البابا لقب لمن يتعامل النمل والصقل للثياب وغير ذلك . وهو لفظ رومى معناه الأب . وكأنّه لقب بذلك لما تعامل ما فيه ترفيقه لخدمته ، من تنظيف قماشه وتجهيز عبئته أعبه الأب الشريف . عن صحيح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) كذلك في ط ٥ ل ٠ وأما في ف فيها الزيادة الآتية :

الشرّيدار : من كتاب بذل النصارى الفرعية للإمام شمس الدين محمد المقدسى قال : وعليه فيما يسقيه الخ . وسقط هذا كله في د غير أنّه قال : وسبق حكمه في السقاة .

المثال الخامس والتسعون

الطستدار

اسم لمن يصب الماء على يد المخدم .
وهو من أقبح التنطع والبدع . ومن أدبه الاحتراز من ملاقة ماء الوضوء .
ماء^(١) طهوراً أو غيره . أما الاستعانة في الوضوء بغيره فإن استعان بمن يحضر
له الماء للطهارة فلا يكره . وإن استعان به ليصب^(٢) عليه الماء - وهو ما يفعله
الطستدار - ففي كراهته خلاف للأصحاب ؛ والأصح أنه لا يكره . وإن
استعان به ليغسل أعضائه فهو مكروه بلا خلاف ؛ إلا أن تدعو إليه^(٣)
ضرورة ؛ كما إذا كان أقطع ، فتجب الاستعانة . وما يفعله أهل الدنيا من نصب
أناس بالمرصاد لصب الماء على أيديهم عقيب الطعام ليس بمكروه ؛ ولكنه
زيادة في الدنيا . وكان الشيخ الإمام لا يفعله . وأما الاستعانة في الوضوء فلنا
طعن في السن كنت أراه يمكن من يصب^(٤) الماء على يديه ، ولا يمكن من صبه
على رجله . وكنت أفهم لذلك منه سرين : أحدهما أنه والحالة هذه لا يكون
قد استعان في وضوئه بأحد بل في بعض وضوئه ، والثاني أن في الصب على
الرجلين من الرعونة والتنطع أكثر مما في الصب على غيرهما .

المثال السادس والتسعون

الصيرفي

ومن حقه ألا يخلط أموال الناس بعضها ببعض . وأكثر الصيارف يخلطون
فيصيرون عامة أموال الخلق حراما ، والناس لا يدرون . فهم إذا في ذمة

(١) كذا في ف ، د . وفي ط (ماء غير طهور أو غيره) .

(٢) كذا في د ه ل ، ز . وفي ف غير واضحة وفي ط (وإن استعان بمن يصب) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (إلا أن تدعو له ضرورة) .

(٤) في نسخة على هامش له (صب) .

الصيارف . ومن حقه أيضاً معرفة عقد الصرف ، وألا يبيع أحد التقدين بالآخر أبينة بل نقداً . ولو سلم صبي درهما إلى صير في ابتعده لم يحل للصير في رده إليه ، وإنما يرده إلى وليه . ولو تلف في يد الصير في لزمه ضمانه . ولا يجوز تولية الذمي صيرقياً في بيت المال .

المثال السابع والتسعون

المكاري

ومن حقه التحفظ فيمن يركبه الدواب . ولا يحل لمكار يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكرى دابته من امرأة يعرف أنها تمضي^(١) إلى شيء من المعاصي ؛ فإنه إغانة على معصية الله تعالى . وكثير من المكارية لا يعجبه أن يكرى إلا الفاجرات من النساء ، والمغاني منهن ؛ لغالتهن في الكراء ؛ فإنهن يعطين من الأجرة فوق ما يعطيه غيرهن فتغريه الدنيا . فيدبني أن يعلم أن فلساً من الحلال خير من درهم من الحرام . وعما تعم به البلوى مكار يكرى امرأة جميلة إلى مكان معين ، ويمشي معها ، وفي الطريق^(٢) مواضع خالية من الناس كما بين البساتين ؛ فإن في معاطفها أما كن لو شاء^(٣) الفاسق لفعل فيها ما شاء الله من الفجور . والذي أراه أن حكم ذلك حكم الخلوة بالأجنبية ، فلا يجوز . ومن كان مع دابة أو دواب ضمين ما تُتلفه من نفس أو مال ، ليلا كان أو نهاراً . أما^(٤) إذا مات في الطريق فتلف به نفس^(٥) أو مال فلا ضمان

(١) كذا في ف ، ط ، د . وفي ز ، وهامش ل (تمضي) .

(٢) كذا في ف ، د ، ز ، وفي ط (ويمشي معها إلى مواضع خالية) . وفي ل (ويمشي معها في الطريق مواضع خالية) .

(٣) كذا في د ، ط . وفي ف (لو شاء الله لفعل الفاسق فيها ما شاء الله) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (وأما) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقها (من نفس ومال) .

وعلى الراكب الاحتراز عما لا يعتاد^(١)؛ كسوق شديد في الوحل. فإن عالف
وجب عليه ضمان ما تولد من ذلك. ومن حمل حطباً على بهيمة، أو على ظهره
فحك جداراً فسقط الجدار ضمنه. وأما ما تضعه المكارية من الجلاجل في رقاب
الخير فإنه مكروه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصحب^(٢) الملائكة
رفقة فيها كلب أو جرس؛ وقال صلى الله عليه وسلم: الجرس مزامير^(٣)
الشیطان؛ رواهما مسلم.

المثال الثامن والتسعون

العریف

المثال التاسع والتسعون

النقاشون

المثال المائة

غاسل الموتی

وعليه استيعاب البدن بالماء، بعد أن يزيل ما عليه من نجاسة^(١). ولا يجب
عليه نية الغسل على الأصح^(٢)، ولكن الأولى أن ينوي: خروجاً من
الخلاف. ويستحب أن يغسل في موضع مستور لا يدخله سواه وسوى من

(١) كذا في ف. وفي ط (الاحتراز عما لا يعتاد) وفي د (وعلى راكب الدابة الاحتراز
بما لا يعتاد).

(٢) كذا في ف، د، ل، ز. وفي ط (إن الملائكة لا تصحب رفقة).

(٣) كذا في النسخ ما عدل، ز فقها (من أمير الشيطان).

(٤) كذا في ف، ط. وفي ل، د (من النجاسة).

(٥) كذا في ط، د. وفي ف: (على الصحيح).

يعينه وولي الميت إن شاء . ويكره أن ينظر إلى شيء من بدنه إلا الحاجة .
ويُغسل في قميص بال أو تخفيف ، فيدخلُ الغاسل يده من تحت القميص
ويغسله . وحمل الميت برّ وإكرام لا شيء فيه من الدنائة .

المثال الحادى بعد المائة

السَّجَّان

ومن حقه الرفق بالمحبوسين ، ولا يمنعهم من الجمعة إلا إذا منعهم القاضى
من ذلك . وقد أقي الغزالي بأن للقاضى المنع من ^(١) الجمعة إذا ظهرت المصلحة
في المنع . ولا يمنع المحبوس من شم الرياحين إن كان مريضاً . ويمنع من
استماعه بزوجه ، دون دخولها لحاجة له . وإذا علم السَّجَّان أن المحبوس
حُبس بظلم كان عليه تمكينه بقدر استطاعته ، وإلا يكون شريكاً لمن حَبَسه
في الظلم .

المثال الثانى بعد المائة

الجزّار

ويجب عليه إذا ذبح قطعُ الحلقوم — وهو مجرى النَّفْس — والمرى —
وهو مجرى الطعام وهو تحت الحلقوم — ولا يكفي قطع واحد منهما ؛
خلافاً للاصطخري . ولو ترك من الحلقوم والمرى شيئاً يسيراً ومات
الحيوان فهو ميتة ؛ ولا بدّ أن يصادف الذبح حيواناً فيه حياة مستقرّة
وإلا فلا يحل ؛ وذلك يعرف بالعلامات كالحركة الشديدة ونحوها . وكثيراً
ما يصادف الإنسان حيواناً يضطرب فيشكّ هل فيه حياة مستقرّة أو لا ؛
فإذا شك فالأصحّ أنه حرام . ولا يجوز الذبح بظفر ولا عظم . وتشتحب

(١) قول (ق) .

التسمية على الذبح^(١) خلافاً لأبي حنيفة : فإنه قال : نجس ، ولا يحل المذبوح
إلا بالتسمية . ونُستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح .
ولا يحل الذبح باسم غير الله تعالى : وأفتى أهلُ بخارى بتحريم ما يذبحه أهل
القرى عند استقبال السلطان تقريباً إليه : لأنه مما أهّل به لغير الله .

المثال الثالث بعد المائة

المشاعلية

وهم الذين يحملون وشعلاً يقد بالنار بين يدي الأمراء ليلاً ، وإذا أمر
بشنق أحد أو تسميره أو النداء عليه تولّوا ذلك . ومن حقّ الله عليهم إذا
أرادوا قتل أحد أن يُحسنوا القِتْلَةَ ، وأن يمكّنوه من صلاة ركعتين قبل
القتل لله تعالى : فهي سنة . ومنى أمر ولي الأمر مشاعلياً بقتل إنسان بغير حق ،
والمشاعلي يعلم أن المقتول مظلوم ، فالمشاعلي قاتل له ، يجب عليه القصاص .
وإن كان ولي الأمر أكرهه ، أو جعلنا أمره إكراها ، فالقصاص حينئذ
عليهما جميعاً عند الشافعي رحمه الله على الصحيح من مذهبه .

المثال الرابع بعد المائة

الدّلالون

فهم دلال الكتب . ومن حقه ألا يبيع كتب الدين ممن يعلم أنه يضيعها ،
أو ينظرها لاتقادها والطمع عليها ، وألا يبيع شيئاً من كتب أهل البدع
والأهواء ، وكتب المنجمين ، والكتب المكنووية : كثيرة عنتر وغيره .
ولا يحل له أن يبيع كافر^(٢) المصحف ولا شيئاً من كتب الحديث والفقه .

(١) كذا في د . وفي ف : الذبح .

(٢) كذا في ف ، د . وسقط لفظ (لا) من نسخة ط .

ومنهم دلال الرقيق : فلا يحل له بيع عبد مسلم من كافر ، وبيع المملوك الحسن الصورة ممن اشتهر باللواط ، وبيع العصير ممن يتخذ الخمر ؛ وكلاهما مكروه . وأما^(١) بيع المغاني فيجوز ؛ ولكن إذا كانت جارية فباعها بألفين ، ولو لا الفناء لما سوت إلا ألفا ، فالأصحاب مختلفون في صحة هذا البيع ؛ والأصح الصحة .

ومنهم دلال الأملاك ؛ وعليه التحفظ في ذلك ؛ خشية أن يقع في بيع شيء موقوف ؛ فإن^(٢) هو باع موقوفا فقد شارك البائع في الإثم .

المثال الخامس بعد المائة

بواب المدرسة والجامع ونحوهما

ومن حقّه المبيت بقرب الباب ، بحيث يسمع من يطرقه عليه ، والفتح لساكن في المكان أو قاصد مقصداً دينياً ؛ من صلاة أو اشتغال أي وقت جاء من أوقات الليل . وما يفعله بعض البوابين من غلق الباب في وقت معلوم من الليل ، إما بعد صلاة العشاء الآخرة ، أو في وقت آخر بحيث إذا جاء أحد السكان أو المريدين للصلاة بعده لا يفتح له ، غير جائز ؛ إلا إن تكون مدرسة شرط واقفها ألا يفتح بابها إلا في وقت معلوم . وفي صحة مثل هذا الشرط نظر واحتمال . وأما لو شرطه في مسجد أو جامع فواضح أنه لا يصح .

المثال السادس بعد المائة

سائس الدواب

ومن حقّه النصح في خدمتها ، وتنقية الغليق لها ، وتأدية الأمانة فيه ؛ فإنه لا لسان لها يشكوه إلا إلى الله تعالى . وقد كثر من السؤاس تعليق جرر

(١) كذا في ف ، وفي د ، ط (أما) .

(٢) في ل (ولان) .

مشتعل^(١) على بعض آيات القرآن على الخيل زجاء الحراسة ، مع أنها تفرغ في الإحسان . وأقوى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بأن ذلك^(٢) بدعة وتعرض للكتاب^(٣) العزيز للأهانة .

المثال السابع بعد المائة

الكلاب

لله^(٤) عليه نعمة : أن جعله خادماً للكلاب ، ولم يجعله عاصراً نحر ، أو غير ذلك ، مما ابتلى به بعض عباده فمن شكر هذه النعمة أن ينصح في خدمة كلاب الصيد ، وأن يعلم أن في كل كبد حرى أجراً ، وإذا كان له على خدمتها جُعل فهذه نعمة ثانية ، عليه أن يوقها حق شكرها : فإن كان في باب ذي جاه فهذه نعمة ثالثة ، عليه شكر ثالث لأجلها . وعلى هذا فاعتبر .

المثال الثامن بعد المائة

حارس الدرب

وحق عليه أن ينصح لأهل الدرب ، ويسهر عينه إذا ناموا ، يلبثه النوم إذا اغتيلوا بحريق أو غيره ، ولا يدل على عورتهم والياً ولا غيره .

(١) في ل (يشتعل) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط وهامش ل فيها (بأن ذلك لا يجوز وهو بدعة) .

(٣) كذا في ف ، وفي د (وتعرض الكتاب) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (قلله) .

المثال التاسع بعد المائة

الطَوْفُفَةُ

وهم بين البساتين والمساكن^(١) الخارجة عن البلد كالحارس بين الدروب في وسط البلد . ومن أقبح صنع هؤلاء المداجاة على جلب الخمر لمن يرضيهم بحُطام الدنيا ، فلا ينكرون عليه المنكر مع إنكارهم زائداً على الحاجة على من لا يرضيهم ، وإذا وجدوا قتيلاً في مكان نقلوه إلى مكان آخر ؛ فتارة يجدونه في مكان يقرب من دار من له عندهم يد ، فينقلونه إلى دار من لا يد له عندهم ، أو بينه وبينهم شأن ؛ وتارة تنقله طائفة من الأماكن التي هو في تسليمهم إلى مكان آخر ؛ دفعاً للثَّهْمَةِ عن أنفسهم ، وإلقاء لغيرهم فيها ، وكل ذلك قبيح ؛ والواجب إبقاؤه في مكانه ، ورفع أمره إلى ولي الأمر ليبحث عنه .

المثال العاشر بعد المائة

الكاسح^(٢)

المثال الحادى عشر بعد المائة

الإسكاف

ومن حقّه ألا يخرج من نجس : من شعر خنزير أو غيره ؛ فإن الصلاة في النعلين جائزة ؛ صحّ أنه صلى الله عليه وسلم صلى في النعلين . وإنما فعل

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (الأماكن) .

(٢) ليس في الأصول القديمة كتابة على هذا المثال . وفي هامش ف ما يأتي « من كتاب بذل النصائح الشرعية للإمام شمس الدين محمد القدسي قال : ويسمى السراياقي . قلت : عليه بذل الاجتهاد في تنظيف الأسربة والفنى ونحوها ، والإخبار عن ملأها وفراغها ، وتنظيفها بصدق ، لأنها مغنية عن ملاكها ، ولا ينكهم كشف ذلك وتعامله بأنفسهم غالباً » وفي ط (عليه بذل الاجتهاد الخ) .

ذلك بياناً للجواز ، وكان أغلب أحواله صلى الله عليه وسلم الصلاة حافياً ؛ فلو أن الإسكاف استعمل في النعل نجاسة لخان الله والمؤمنين .

المثال الثاني عشر بعد المائة

رماة البندق

وقد أفتى الشيخ تاج الدين بن الفركاح بحلّه ، وهو ما ذكره النووي في كتاب المنشورات ، وبوافقهما قول الرافعي : أمّا الاصطلياد بمعنى إثبات اليد على الصيد وضبطه فلا يختص بالجوارح ، بل يجوز بأيّ طريق يتيسر ، فإنّه يتناول الرمي بالبندق ؛ لكن قال ابن يونس في شرح التنبية : وذكر في الذخائر أنّ الاصطلياد بما لا حدّ له كالدبوس والبندق لا يجوز ولا يحل . قلت : ويدلّ له ما في مسند الإمام أحمد من حديث عدّي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكّيت » ، لكن في سنده انقطاع ؛ وروى البيهقي أن ابن عمر كان يقول في المقتولة بالبندقة : تلك الموقوذة . وقد صرح أصحابنا أن المحدّد إذا قتل بثقله لا يحل ، بل لا بد من الجرح . قالوا : فيحرم الطير إذا مات ببندقة رمى بها ، خدشته أم لا ، قطعت رأسه أم لا .

المثال الثالث عشر بعد المائة

الشحاذ في الطرقات

لله عليه نعمة أنه أقدره على ذلك ، وكان من الممكن أن يُخرس لسانه فيعجز عن السؤال ، أو يقعد فيعجز عن السعي ، أو يقطع يديه فيعجز عن مذهبهما ، إلى غير ذلك . فعليه ألا يُبلّغ في المسألة ؛ بل يتق الله تعالى ، ويُحتمل في الطلب . وكثير من الحرافيش اتخذوا السؤال صناعة : فيسألون من غير حاجة ، ويقعدون على أبواب المساجد يشحذون المصلّين ، ولا يدخلون للصلاة معهم . ومنهم من يقسم على الناس

في سؤاله بما تقشعر الجلود عند ذكره . وكل ذلك منكر . وبعضهم يستغيث بأعلى صوته : لوجه الله فألس . وقد جاء في الحديث : لا يسأل برّ وجه الله إلا الجنة ، وبعضهم يقول : بشيعة أبي بكر فأس . فانظر ماذا يسألون من الخفير ، وبماذا يستشفعون^(١) من العظيم ، ويراهم اليهود والنصارى ، ويرون المسلمين ربّما لم يعطوهم شيئا ، فيشتمّون ويسخرون ؛ وربّما كان المسلم معذورا في المنع ، والكافر لا يفهم إلا أن المسلمين لا يكثرثون بذلك . فرأى في مثل هذا الشجاذ أن يؤدّب^(٢) حتى يرجع عن ذكر وجه الله تعالى ، وذكر شيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونحو ذلك ، في هذا المقام . ومنهم من يكشف عورته ويمشي عريانا بين الناس ، يروم أنه لا يجد ما يستر^(٣) عورته ، إلى غير ذلك من حيلهم ومكرهم وخديعتهم .

ولقد أطلنا في ذكر هذه الأمثلة بحيث^(٤) إنها نَحْتَمِلُ مصنفا مستقلا .

والحاصل — وهو المقصود — أنه ما من عبد إلا والله تعالى عنده نعمة ، يحب عليه أن ينظر إليها ، ويشكرها حتى شكرها بقدر استطاعته ، حسب ما وصفناه ، ولا يستحقها ، ولا يربأ بنفسه عليها . وذلك ميزان يستقيم في كل الوظائف^(٥) : فالمرض كل ذي وظيفة تلك الوظيفة على الشرع ؛ فإن سيدنا ومولانا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم بين لنا أمر ديننا كلّهُ ؛ فما من منزلة إلا وأبان لنا عما ربطاه الشارع بها من التكليف ؛ فليبادر صاحبها إلى امتثاله ، مشرح الصدر ، راضيا ، ويُبشّر عند ذلك بالمزيد . وإلا فإن هو تلقّاها بغير قبول ، ولم يعطها حقّها خشي عليه زوالها عنه ،

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ط (يستغيثون) . وفي هامش ل (يتسولون) . وقد سقط هذا اللفظ من ز .

(٢) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (يضرب بالسياط) .

(٣) كذا في ف ، ز ، ن . وفي د ، ط (ما يستر به عورته) .

(٤) كذا في النسخ كلها ماعدا د فبها (ومن نَحْتَمِلُ) .

(٥) كذا في ف ، د ، ل ، ط . وفي ز و هامش ل (الوظائف) .

واحتياجه إليها ، ثم يطلبها ، فلا يجدها . وإذا زالت فليعلم أن سبب زوالها
تفريطه في القيام بحقوقها ، وأنا أضرب لك مثلاً ، فأقول : إذا كنت أميراً ،
قد خولك الله نعماً هائلة ، لو استحضرت نفسك لوجدتها لا تستحق منها ذرة ،
وبتاً في بيتك تتقلب في أنعم الله ، بين يديك الدراهم والذهب ، والمهاليك ،
والجوارى ، وأنواع الملابس الفاخرة ، وأصناف الملاذ ، ثم أصبحت ركبت
الخيول المسومة ، ولبست الثياب الحسنة ، ثم جلست في بيتك لابساً قباء
عظيماً ، مطرزاً بالذهب الذي حرّمه الله تعالى على الرجال ، مطرقاً مصمماً بوجه
عبوس ، تبرق وتزعد كأنك طالب^(١) ثار من الخلق ، وأخذت تحكم فيهم
بخلاف^(٢) ما أمرك الله به ، الذي بت تتقلب في أنعمه ، معتقداً أن ما تحكم به
هو الأصلح ، وأن حكم الله تعالى لا ينفع ، فما جزاؤك ؟ ولم لا نزول عنك
هذه النعمة ؟ فإن ضمنت إلى هذا أنواعاً أخر من المعاصي ، فأنت بنفسك
أخبر ، والله عليك أقدر . فاحفظ الله بحفظك . احفظ الله بحجده تجاهك ؛
تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ؛ خف الله ، الذي يهل الظالم ،
حتى إذا أخذه لم يفله . واعلم أنه ما من عبد إلا وعليه حقوق للمسلمين ،
يتعين عليه توفيتها ، والشكر عليها ، حيث أقامه الله فيها ، واستأهلها لها ؛ فإنها
خدمة من خدم الله تعالى . ولا يخفى عليك أن ملكاً لو استخدمك في أيسر
حاجة أسرت بذلك ؛ فكيف بعك الملوك أو مامن وظيفه إلا والمسلمين حقوق
على صاحبها . سمعت الشيخ الإمام رضي الله عنه يقول : لكل مسلم عندى ،
وعند كل مسلم حق في أداء هذه الصلوات الخمس . ومتى فرط مسلم في صلاة
واحدة كان قد اعتدى على كل مسلم ، وأخذ له حقاً من حقوقه ؛ لعدوانه
على حق الله تعالى . قال : ولذلك أسمع^(٣) دعوى من يدعى على تارك صلاة

(١) ق ل (كأن لك ثاراً على الناس) .

(٢) كذا في ف ، د ، وفي ط (بخلاف المصنع الذي) .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (لم أسمع دعوى على من يدعى) وفي ز وهامش ل (ولذلك

أسمع دعوى على كل من يدعى) .

واجبة ، وإن لم يدع على وجه الحسبة ؛ لأن لكل مسلم فيها ^(١) حقاً ؛ فيقول : أدعى على هذا أنه ترك الصلاة الفلانية ، أو اعتمد فيها ما يفسدها ، وقد أضرت بي في ذلك ، فأنا مطالبه بحقي . قلت : ولم ؟ قال : لأن المصلي يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن المصلي إذا قال هذا أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض . قلت : ورأيت للفقهاء ما يقتضى ذلك .

إذا فهمت أيها العاقل — وفقنا الله وإياك لمرضاته وأحلنا وإياك بكرامته — بحجوة جناته — ما شرحناه لك ، فإذا انزوت عنك نعمة ، فأول متعين عليك ، إن كنت باغياً عودها ^(٢) ، البحث عن سبب انزوانها ؛ بأن تنظر إلى وظيفتك ، وتفريطك فيها ، بالإخلال بواحدة من وظائف الشكر ، وتعلم أنك أريت منها ، فتذكر ذلك . ففى ذكرته وكان تعلق قلبك بها صادقا ، وعلمت أنه السبب فى زوالها ، ندمت — ولا بد — عليه وتبت عنه ^(٣) ، وعقدت النية على أنك إن عادت إليك النعمة لم تعد إليه . فإن قلت : لا أذكر تفريطاً ، فأنت إذا جاهل . واعلم أن للشيطان وسوس ونخيلات ^(٤) ، وأنه يجرى من ابن آدم يجرى الدم ، وأن أعدى عدو ^(٥) لك نفسك التى بين جنبيك ، وأنها — أعنى نفسك والشيطان — ربما أرباك الباطل حقاً ، واسترقاك من حيث لا تدري ، واسترقاك ^(٦) وأنت تظن أنك حر ، فاقطع واجزم بأنك مفرط لا محالة ، واستغفر الله تعالى ، واضرع إليه . وإن لم تدرك وجه التفريط بخصوصه ، فاعلمه على الجملة . ولا يكن عندك شك فى أن هناك تفريطاً ، فهمته ، أم جهلته ،

(١) كذا فى د ، ط . وفى ف (لكل مسلم حقاً) .

(٢) كذا فى ف ، د ، ل ، ز . وفى هامش ل (إن كنت ترجو عودها عليك) وفى ط (ترجو عودها) .

(٣) كذا فى ف ، د ، ل ، ز . وفى ط (وتبت منه) .

(٤) كذا فى ف ، د ، وهامش ل ، ط . وفى ز (ونخيلات) .

(٥) كذا فى ف ، د ، ل ، وفى ز ، ط (أعدى عدوك) .

(٦) كذا فى ف ، د ، ل ، ز . وفى ط (واسترقاك من حيث لا تدري واستبداك) .

وأنتك منه أريت . فإنك إذا علمت ذلك ، وأيقنت به ، فهمت أن الحق تعالى عادل فيك ، غير ظالم لك ، بل محسن إليك ، أسداك نعمة بلا استحقاق ، فما رعينها حق رعايتها ، فزواها [عنك ^(١)] . فعليك شكر تلك الأيام التي كنت متلبساً بها فيها ، والاستغفار من تفریطك . أريت رجلاً أجلسك في داره يطعمك ويسقيك عشرة أيام ، ثم قال لك : انصرف ، أياكون مسيئاً إليك ، أم محسناً ؟ إن قلت : مسيئاً ^(٢) إليك ، فأنت مجنون ؛ فإنه لم يكن عليه حق لك ، وقد أحسن إليك هذه المدة . فبأي طريق يجب عليه أن يديمها : وإن قلت : يكون محسناً ، وقد أزالها بلا سبب ، فما ظنك برب لا يزيل النعمة إلا بسبب منك ؟ ألسنت أنت الظالم ! حكى أن ملكاً مات له ولد ، فأفحش في إظهار الحزن عليه ، والتسخط بسبب ما أصابه . فأناه آت ، فقال : أيها الملك ، إن لي صاحباً أودعني جوهرة ، فكانت عندي مدة . أفلنذبرقيتها ، ثم إنه استرجعها ، وأنا أسألك طلبه ، وإلزامه بإعادة الإيداع . فقال له : كيف ألزمه بأن يودع ما له عندك ؟ فقال له : فأنه أودع عندك ولداً لك هذه المدة ، ثم استرده ، فلم هذا التسخط ، فأنشرح صدر الملك ، ورفع العزاء . [وأنشد بعضهم ^(٣)] :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن تُرد الودائع
فإن قلت : قد يزيلها زيادة في رفع الدرجات ، فأعلم أن هذا مقام عسير ، لم تصل أنت إليه ، فليس كلامي مع أهل هذه الطبقة ؛ إنما كلامي مع جمهور أهل هذا الزمان ، الذي اندفعنا إليه . ولو كان كلامي مع أهل هذا المقام لقلت لهم : تلك نعمة تبدلت بأعظم منها ؛ ولا يقال : إنها زالت . ولهذا شرح طويل ليس من غرض هذا الكتاب .

فهذه واحدة من الأمور الثلاث ، التي يجمعونها تعود النعمة وتزول النعمة .

(١) كذا في ط . ولم تذكر هذه الزيادة في ف ، د .

(٢) كذا في ف ، د ، ط ، ل . وفي ز وحاش له (إن قلت يكون مسيئاً) .

(٣) كذا في ل . وفي ط (قال الشاعر) . وفي باقي النسخ لم تذكر هذه الزيادة .

الامر الثاني في فوائد ازوائها : فنقول : قد تعترف بالامر الأول ، وتدعن له ، ولكن تقول في نفسك : إنه لا خير لي في هذه المحنة : وليت النعمة لم تزل ، وإن كنت أنا السبب في زوالها . فإن أنت اختلج في ضميرك هذا ، فاعلم أنك لم توف الشكر حقه ، ولم تحسن السعي في عودها ، وكنت كمن يأتي البيوت من غير أبوابها ، ويلج الدور بدون حجابها ، فاح ما في نفسك ، وارجع إلى حالك ، واعلم أن المحنة من الله تعالى ، ليست من أحد غيره . وهذا كما عرفاك في النعمة سواء . فأول ما تعتقده أن الله تعالى هو الفاعل بك ذلك ؛ نفردك ، وطغيانك . وإن أنت ظننت في أحد من الخلق أنه الفاعل بك هذا فهذه زلة عظيمة يُخشى عليك منها دوام المحنة . فإذا اعتقدت ذلك ، وتلقيت المحنة من الله تعالى فهذه نعمة تورث عندك الفرح بالمصيبة . ثم انظر في نفسك : أمؤمن أنت أم كافر ؟ فإن كنت كافراً فصيبتك بالكفر أشد من سائر المصائب ، فابك على تلك المصيبة ، وبادر إلى زوالها ودع عنك الفكرة فيما عداها . وإن كنت مؤمناً فاعلم أن ما لاقاك به الدهر هو دينه وعادته في حق المؤمنين ؛ فإن دار الدنيا مملوكة أعدائك ، ومحنة بلائك ؛ والإنسان لا يكون في مملوكة عدوه مستريحاً ، وإنما يكون مصاباً معذباً بأنواع الانكاد والمتاعب . فلا تستغرب ما أصابك ، بل اعلم أنه القاعدة المستقرة في حقلك ، والغريب ما جاء على خلافها . ولهذا كان سيد الطائفة الجنيد رحمه الله يقول : لا أستنكر شيئاً عما يقع من العالم ؛ لأنني قد أصلت أصلاً ؛ وهو أن الدار دار غم وهم وبلاء وفتنة ، وأن العالم كله شر ، من حقه ^(١) أن يتلقاني بكل ما أكره . فإن تلقاني بما أحب فهو فضل ؛ وإلا فالأصل الأول . وإنما قلنا : إن الدنيا مملوكة أعدائنا ، ودار أحرارنا ، لما ثبت وصح في صحيح مسلم وغيره : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) كذا في ط . وفي ف (من حقه) وفي د (ومن حقه) .

إن الدنيا يحزن المؤمن ، وجنة الكافر . فأوضح أن الكافر فيها منعم ،
والمؤمن فيها مسجون ، وهل يكون المسجون إلا حزينا مصاباً ؟ فالأصح أن
المؤمن مع الكافر في هذه الدار كأهل السجن مع السلطان . فانظر واعتبر
وتأمل قوله تعالى : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن ليونهم سقفاً من فضة ، ومعارج عليها يظهرون . ولييونهم أبواباً
وسروراً عليها يتكئون . وزخرفاً وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا والآخرة
عند ربك للبتقين ، فإذا تأملت هذا انشرح صدرك لما يصيبك ، وعلمت أنه
دليل على أنك من أهل الإيمان ، المقرين عند الرحمن ، الذين يريد تطهيرهم
من الأدناس ، ويحب تصفية قلوبهم من الوسواس . ولذلك كان السلف رحمهم
الله تعالى يخشون تنابح النعم ، ويخافون أن يكون [ذلك]^(١) استدراجاً ، وأنا
قد اعتبرت ، فوجدت القاعدة المستمرة في هذه الأمة أن كل من كان أكثر
إيماناً ، كانت الدنيا عنه أكثر ازواء ، والأكدار عنده أكثر من دونه ،
ولذلك كان أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأئمة ، وما أودى نبي أكثر بما
أودى سيد الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : وانت فانظر تر الكفار أكثر
دنيا من المسلمين ، ثم انظر المسلمين ترا الجهال منهم والفسقة أكثر دنيا من أهل العلم
وأهل التقوى . ثم انظر أهل العلم والتقوى تر كل من زاد فيهما نقص
في الدنيا بحسب ذلك . وإن عدت من جمع له العدل والملك ، أو العلم والمال ،
أو التقوى والمال ، لم تر إلا آحاداً محصورين ، وأناساً كانت الدنيا في أيديهم
لا في قلوبهم ، وكان^(٢) ذلك لمصلحة اقتضتها حكمة الرب تعالى ، خرجوا بها
عن القاعدة . قيل للحسن البصري رحمه الله : أليس قد قال النبي صلى الله
عليه وسلم (لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا إداراً) ، فما بال عمر

(١) كذا في ط . وفي ف ، د (أن يكون استدراجاً) .

(٢) كذا في ط . وفي ف ، ل (وكان مع ذلك لمصلحة اقتضتها) . وفي ز (وكان مع ذلك

المصلحة) . وفي د (وكان مع ذلك مصلحة) .

ابن عبد العزيز — وهو سيد أهل زمانه — ولي بعد الحجاج وهو خبيث هذه
الامة ! فقال : لا بد للزمان أن يتنفس . فإذا علمت أن إنكاد المؤمنين طبع
الزمان ؛ كما قال التهامي :

حكم النية في البرية جار ما هذه الدنيا بداره قرار
بيننا ترى الانسان فيها محيراً ألفيته خيراً من الأخبار
طبعت على كدر ، وأنت تريدها صفواً من الأقدار ^(١) والأكدار
ومكلف الأيام ضدّ طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبنى الرجاء على شفير هار
والعيش نوم والنية بقطة والمرء بينهما خيال سار
فاقصوا مآربكم عجلاً ، إنما أعماركم سفر من الأسفار
وتركّضوا ^(٢) خيل الشباب وبادروا أن تُسند فإنهم عوار
ليس الزمان وإن حرّصت مسالماً طبع ^(٣) الزمان عداوة الأحرار
فأجهل من يقول : ما بال فلان المستحقّ خاملاً ، وفلان غير المستحقّ
غير خامل ! أما علم أن هذه عادة الزمان ، وأن ذلك عبد من الله تعالى :
إذ كونه مستحقاً فضل من الله عليه ، يربو ويزيد على ذلك الحطام الذي هو
حظ من لا يستحقّ . أليس إذا عادل العالم بين العلم مع الفقر ، والجهل مع الغنى
وجد علماً بفقر خيراً من جهل بغنى ، وتقوى بانكسار خيراً من فجور باستكبار ؟
أنشدنا أبو عبد الله الحافظ إجازة عن شيخ الإسلام أبي الفتح بن دقيق العيد
أنه أنشد لنفسه :

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها أهل الفضائل مردولون بينهم
قد أنزلونا لأننا غير جلسهم منازل الوحش في الإهمال عندهم

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (من الأقدار) .

(٢) في نسخة في هامش ل (تركضوا) .

(٣) كذا في ف ، د ، و ط (خلق الزمان) .

فألهم في توفى صرنا نظـر ولا لهم في ترقى قدرنا هم
قلبتنا لو قدرنا أن نعـرفهم مقدارهم ، عندنا أو لو دروه هم
لهم مـريحان : من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان : العلم والعـدم

وهذه الأبيات ناقضها أبو الفتح^(١) الثقفى فأجاد وأحسن حيث قال :

أين المراتب في الدنيا ورفعتها من الذي حاز^(٢) علما ليس عندهم ؟
لا شك أن لنا قدراً وأوه ، وما لقدروهم عندنا قدر ، ولا لهم
هم الوحوش ونحن الإنس حكمتنا تقودهم حيث ما شئنا وهم نعم
وليس شيء سوى الإهمال يقطعنا عنهم ، فإنهم وجدانهم عـدم
لنا المريحان : من علم ومن عـدم وفيهم المتعبان : الجهل والحـثم

فإذا استقرت هذه القاعدة عندك ازددت انشراحاً بالمصيبة ونسلياً عنها ؛ ثم ابحث تجده أيضاً بقضاء الله وقدره وإرادته واختياره ؛ وقضاؤه لك خير من قضائك لنفسك . وكن من محنة في طيها نعمة لا يدرها إلا من يعلم العواقب . فكن مع الله كالميت بين يدي الغاسل ، واعلم أنه حينئذ لا يفعل بك إلا ما هو خير لك ؛ وكن كما قال الشاعر :

وقب الهوى بي حيث أنت ؛ فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذينة حباً لذكرك فليكني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان^(٣) حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي عامداً ما من يهون عليك بمن يكرم

فإذا استقرت هذه القاعدة الأخرى عندك ازدادت سروراً على سرور . ثم ابحث عن فوائد المحنة تلقها كثيرة ، وافهم أنها لو لا المحنة لم تحصل هذه

(١) كذا في ف . وفي ط (ناقضها الفتح الثقفى) وفي د (ناقضها الفتح البقي) .

(٢) في ل (جاز) .

(٣) كذا في د . وفي ف (صار) .

الفوائد . فإذا المحنة نعمة ، والبلية عذبة ، وعند هذا يتم انشراحك وسرورك ،
وتصل إلى درجة الرضا بالمقدّر ، كما كان السلف رحمهم الله :

يَسْتَعْذِبُونَ بِبَلَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَشُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قَتَلُوا

واسنا نقول ذلك حثاً على حبّ البلاء ، وحبّاله ، نعوذ بالله منه ، ولكن

نقوله تملية لمن حل به ؛ فتعريف دواء المرض لا يوجب حبّ المرض ،

ولا طلبه . نسأل الله العافية ؛ فإنّ عاقبته أوسع لنا . وإذا فهمت هذا وتأملت مع

قوله صلى الله عليه وسلم (كل قضاء الله للؤمن خير) الحديث وانشرت

لذلك تمّ لك نوع من الأمور التي يرجى باعتبارها^(١) عود النعمة ، وزوال

النقمة . فإن قلت : أين لي هذه الفوائد ؟ وعدّها ؛ ليتم سروري . قلت : حظ

هذا الكتاب منها تنبيهك من سينة الغفلة ؛ فإنّا قد بينّا لك أنّك من قبل

تفريطك أتيت ؛ فلم يتداركك الله بلطفه ، ويزويّ عنك تلك النعمة لتتذكّر ،

وتنبه من منامك لبقيت طائشاً في غيالك ، مُتَحِيرّاً^(٢) في طغيانك . وذلك يقول إلى

فساد حالك بالكلية . لخلول المحنة — والحالة هذه — نعمة . وإن أردت حصر

الفوائد التي فيها فلن نجد إلى ذلك سبيلاً ؛ لكثرة ، وخروج بعضه عن إدراك

أفهامنا ؛ فإنّ حكم الربّ تعالى منها ما ندركه ، ويُتفاوت فيه^(٣) بقدر تفاوتنا في العلوم

والمعارف ؛ ومنها ما تقصّر العقول عن إدراكه . واسلطان العلماء شيخ الإسلام

عز الدين محمد بن عبد السلام رضي الله تعالى عنه كلام على فوائد المحن والرزايا ،

أنا أحكيه لك بحملته . قال رضي الله عنه : للبصائب والبلايا ، والمحن والرزايا

فوائد ، تختلف باختلاف رُتب الناس . إحداهما^(٤) معرفة عزّ الربوبية وقهرها .

(١) كذا في ف . وفي ط ، د (بإتباعها) .

(٢) كذا في د . وفي ف ، ل (مبتغراً) . وفي ز (مستراً) .

(٣) كذا في ف . وفي د (ويتفاوت فهمه بقدر تفاوتنا) . وفي ط (ويتفاوت فيه مقدرتنا

في العلوم) . وفي ز (ما ندركه ويتفاوت فيه بقدر تفاوتنا) .

(٤) كذا في ف ، د ، ز ، ط . وفي ل (واحدتها) .

والثانية^(١) معرفة ذلة^(٢) العبودية وكسرها . وإليه الإشارة بقوله تعالى : الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، اعترفوا بأنهم مملوك وعبيده ، وأنهم راجعون إلى حكمه وتديره ، وقضائه وتقديره ، لا مفر لهم منه ، ولا يحيد لهم عنه . والثالثة الإخلاص لله تعالى ؛ إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه ، ولا معتمد في كشفها إلا عليه ، وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين . الرابعة الإنابة إلى الله ، والإقبال عليه ، وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه . الخامسة التضرع والدعاء . وإذا مس الإنسان ضر دعاء ، وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه . بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء . قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية . السادسة الحلم عمن صدرت عنه المصيبة . إن إبراهيم لأواه حلیم ، فبشرناه بسلام حلیم ، (إن قيلت خصلتين يحبهما الله : الحلم والآفة) وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها . فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم . السابعة العفو عن جانبيها . والعافين عن الناس . فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو . الثامنة الصبر عليها . وهو موجب لمحبة الله تعالى ؛ وكثرة ثوابه . والله يحب الصابرين ، وإنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ، (وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) . والتاسعة الفرح بها ، لأجل فوائدها ؛ قال عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون^(٣) بالرخاء) وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حبذا المكروهان : الموت والفقر . وإنما فرحوا بها ؛ إذ لا وقع لشدتها ومرارتها ، بالنسبة إلى ثمرتها وفائدها ؛ كما يفرح من عظمت أدوائه بشرب الأدوية الخامسة

(١) كذا في ف . وفي باقي النسخ (والثاني) .

(٢) كذا في د ، ط . وفي ف (ذل) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ط ف فيها (كما يفرحون) .

لها ، مع تجرعها لمرارتها . العاشرة الشكر عليها ؛ لما تضمنته من فوائد ؛ كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه ، المانع من شهواته ، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء . الحادية عشرة تمحيصها للذنوب والخطايا ، وما أصابكم من فيها كسبت أيديكم ، (ولا يصيب المؤمن وصَب ولا نصب حتى ألهم بهمه ^(١)) والشوكة يُشاكها إلا كفر به من سيئاته) الثانية عشرة رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم ؛ فالناس معافي ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء ، واشكروا الله تعالى على العافية .

وإنما يرحم العشاق من عشقا .

الثالثة عشرة معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها ؛ فإن النعم لا تعرف أقدارها ^(٢) إلا بعد فقدها . الرابعة عشرة ما أعدّه الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها . الخامسة عشرة ما في طيتها من الفوائد الخفية ؛ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وإن الذين جاءوا بالآفك عصبه منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في تلك ^(٣) البلية ^(٤) أن أخدماها هاجر ، فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فكان من ذرية إسماعيل سيّد المرسلين وخاتم النبيين ، فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية ؛ وقد قيل :

كم نعمة مطوئة لك بين أئناء المصائب
وقال آخر :

رب مبعوض كرهه فيه لله لطائف ^(٥)

- (١) كذا في د ، ط ، وفي ف (يصيه) .
- (٢) كذا في النسخ ماعدا د ففيها (لا يعرف مقدارها) .
- (٣) كذا في ف ، د ، وفي ط (كان في طي تلك) .
- (٤) كذا في ل ، ز ، ط ، وفي ف ، د (البلية والعصية) .
- (٥) سقط هذا البيت من ف ، د .

السادسة عشرة أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر
والخيلاء والتكبر والتجبر ، فإن نمرود لو كان فقيراً سقيماً فاقد السمع والبصر
لما حاج إبراهيم في ربه ، لكن حمله بطر الملك على ذلك ، وقد علل الله سبحانه
وتمالى حاجته بإيتائه الملك فقال : « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه
الله الملك ، ولو ابتلى فرعون بمثل ذلك لما قال أنا ربكم الأعلى » وما تقصوا إلا أن
أغناهم الله ورسوله من فضله . « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى . » ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض . « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ،
« وأسقيناهم ماء غدقا لنفسهم فيه . » وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال
مترفوها إنما أرسلتم به كافرون ، والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع^(١)
الأنبياء . وهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون^(٢)
الأمثل فالأمثل ؛ نسبوا إلى الجنون والسحر والكهانة ، واستهزئ بهم ،
وسُخر منهم ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، وقيل لنا « أم حسبكم أن تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله (ألا إن نصر^(٣) الله
قريب) » ، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين ، « لنبلون في أموالكم وأنفسكم
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى
كثيراً ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وتغربوا عن أوطانهم ، وكثر
عساؤهم واشتد بلاؤهم ، وتكاثر أعداؤهم ، قتلوا في بعض المواطن ، وقتل
منهم بأحد وبئر معونة وغيرهما من قتل ، وشج وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكسرت ربابيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وقتل أعزأؤه ،

(١) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (هم الأنبياء وأتباع الأنبياء) .

(٢) كذا في ف ، د ، و في ط (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) .

(٣) لم يذكر في ف ، د (بسملة الآية وهو ما بين القوسين) .

ومثل بهم ، فشيت^(١) أعداؤه ، واغتم أولياؤه ، وابتلوا يوم الخندق ،
وبزلوا زلزالاً شديداً ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وكانوا
في خوف دائم ، وعزى لازم ، وفقر مذيق ؛ حتى شذوا الحجارة على
بطونهم ، من الجوع . ولم يشجع سيد الأولين والآخرين من خبز برّ في يوم
مرتين . وأوذى بأنواع الأذية حتى قدّفوا أحبّ أهله إليه ، ثم ابتلى في آخر
الامر بمسيلة وطيحة والعنسى . ولقي هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه ،
ومات ودرعه [مرهونة^(٢)] عند يهودى على آصع من شعير . ولم تزل الأنبياء
والصالحون يتعهدون^(٣) بالبلاء الوقت بعد الوقت ، يبتلى الرجل على قدر
دينه : فإن كان صلباً^(٤) في دينه شدد في بلائه . ولقد كان أحدهم يوضع
الميثار^(٥) على مفارقة فلا يصدده ذلك عن دينه . وقال عليه الصلاة والسلام
(مثل المؤمن مثل الزرع^(٦) لا تزال الريح تميله) ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء .
وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ففيها^(٧)
الريح ، تصرعها مرة وتعدّلها مرة^(٨) حتى نهيج) فقال الشدة والبلوى مقبلة
بالعبد إلى الله عز وجل ، وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى ،
وإذا مسّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره
مرّ كأن لم يدعنا إلى ضره منه . فلاجل ذلك تقلّلوا في المآكل والمشارب
[والملايس^(٩)] والمناكح والمجالس والمساكن^(١٠) والمراكب وغير ذلك ؛

(١) كذا في ف ، د . وفي ط (فشيت) .

(٢) كذا في ف . ولم تثبت هذه اللفظة في باقي النسخ .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ز وهامس ل ففيها (يتفقدون) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (صلباً) .

(٥) كذا في ف ، د . وفي ط (الميثار) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (مثل الخامة من الزرع) .

(٧) كذا في د ، ل ، ط ، وفي ز (تقلبها) وفي هامس ل (بأجها) .

(٨) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (وتعدّلها أخرى) .

(٩) كذا في د ، ل . ولم تذكر هذه اللفظة في باقي النسخ .

(١٠) كذا في ف ، د . وفي بقية النسخ تفاوت في ترتيب هذه الأشياء .

ليكونوا على حالة توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه .
السابعة عشرة الرضا الموجب لرضوان الله تعالى ؛ فإن المصائب تنزل
بالبرِّ والفاجر ؛ فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ، ومن
رضيها فله الرضا ، والرضا أفضل من الجنة وما فيها ؛ لقوله تعالى :
« ورضوان من الله أكبر ، أى من جنات عدن ومساكنها الطيبة .

فهذه نبذة ^(١) مما حضرنا ^(٢) من فوائد البلوى . ونحن نسأل الله تعالى
العفو والعافية في الدنيا والآخرة ؛ فليتنا من رجال البلوى . وفقنا الله تعالى
للعمل بما يحب ^(٣) ويرضى ، وبرأنا من المحن والرزايا .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله عوداً على بدء . ومختتماً على مفتتح
وسلم تسليماً دائماً باقياً إلى يوم الدين آمين ^(٤) وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ف ، ز قبحها (نبذ) .

(٢) سقط هذا اللفظ من د .

(٣) كذا في ف . ز . وفي ل (للعمل الصالح بما يحب) وفي د (لما يحب) وفي ط (للعمل

الصالح بما يحب ويرضى) .

(٤) لم تبت هذه اللفظة في ف ، د .

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

مع تميز الأعلام الواردة في تعليقات اللجنة بحرف « ت » وما جاء في المقدمة ،
فبحرفه الأبجدي المقابل للرقم في صفحات الكتاب .

(١)

الآبارى = دواد بن سليمان بن داود
الآبارى .

الآثاري : ٧ « ت » .

آدم (أبو البشر) : ١٥٠ .

ابراهيم بن محمد الشيرازي = أبو اسحاق

ابراهيم بن مقسم (أبو ابن علي) في :
ابن علي .

ابراهيم الجيلي ، في : داود بن بندار .

ابراهيم الخشوعي (أبو بركات) في : بركات .

ابراهيم (الخليل) عليه السلام : ١١٧ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

ابراهيم المصري (أبو ذى النون) في :
ذو النون .

ابراهيم الوراق (أبو احمد) في : الوراق .

ابن الأثير (المبارك بن محمد الجزري) :
٨٢ ، ٨٢ « ت » .

ابن الأكفاني = هبة الله بن الأكفاني .

ابن الإمام : ١١٤ .

ابن بنت الأعز (قاضي القضاة) : ح ، ط .

ابن بندار (داود بن بندار) = داود
ابن بندار .

ابن بندار (علي بن بندار) : ١٢٠ ، ١٢٠
« ت » .

ابن تيمية (أبو العباس أحمد تقي الدين
ابن عبد الحليم بن عبد السلام) :

ز ، ٢٤ ، ٢٤ « ت » .

ابن الجصاص : ٩٤ .

ابن الجلال (الحسن بن علي بن أبي بكر) :
٦٩ « ت » .

ابن الجوزي : ١١٤ .

ابن الحاجب : ل ، ٧٨ .

ابن حبيب : ط .

ابن حجر (الحافظ العسقلاني) : ٥٠ « ت » ،
٩٦ « ت » ، ١٢٢ « ت » .

ابن الخلال = الحسن بن علي بن أبي بكر
محمد بن الخلال .

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد

ابن ابراهيم بن علي بن أبي بكر
الشافعي) : ١١ « ت » ، ٢٣ « ت » ،

٦٩ « ت » ، ٧٩ .

ابن خيران (أبو علي الحسين بن صالح) :
٧٢ ، ٧٢ « ت » .

ابن دحية (الإمام أبو عمرو عثمان بن الحسن
السبتي) : ٩٦ ، ٩٦ « ت » .

ابن الفراء (الحافظ المحدث الحسين بن

مسعود البغوي) : ٨٢ : ٨٢ « ت » .

ابن الفركاح (الشيخ تاج الدين) : ١٤٧ .

ابن فضل الله العمري : و

ابن الفيل : ٨٩ .

ابن قاضي الجبل (العباس احمد بن الحسن

الحنبلي) : ر ، ح « ت » .

ابن قاضي اليمن (جد شقراء بنت

يعقوب) : ٧٢ .

ابن قطر السمسار : ٩١ .

ابن القوبع = دكن الدين بن القوبع .

ابن ماجه : ٨٢ « ت » .

ابن المبارك = عبد الله بن المبارك .

ابن مرداس = العباس بن مرداس .

ابن مسعود = عبد الله بن مسعود .

ابن المظفر الأشعري = أبو العباس

ابن المظفر .

ابن مقسم (جد ابن علي) في : ابن علي .

ابن النقيب (محمد بن أبي بكر) : ٨٤ ، ٨٤

« ت » .

ابن هيرة (الوزير) : ٩٢ .

ابن الوردى : و .

ابن يزيد : ٩٣ « ت » .

ابن يونس : ١٤١ .

أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) :

٨٤ « ت » .

أبو إسحاق الشيرازي (الإمام ابراهيم

ابن محمد) : ٨٤ : ٨٤ « ت » .

ابن دريد : ٩٣ .

ابن دقيق العيد (شيخ الاسلام تقي الدين

محمد بن علي القشيري) : ٧٠ ، ٧٠

« ت » : ١٥٤ .

ابن رافع : ٩٦ « ت » .

ابن الرفعة : ٦٤ ، ٦٥ .

ابن الرومي (الشاعر) : ١٣٣ .

ابن زعيم = سارية .

ابن سيكتكين (يمين الدولة محمود) : ١١٩

ابن السمعاني : ط .

ابن السمعاني (الإمام أبو مظفر) : ١٢٥ .

ابن سيرين (محمد الإمام التابعي) : ٧٣ .

ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو علي بن الحسين) :

٨٠ ، ٧٧ .

ابن شيخ الشيوخ = عبد اللطيف بن

شيخ الشيوخ .

ابن الصفار = أبو القاسم بن الإمام

أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار .

ابن الصلاح (تقي الدين عثمان بن الصلاح

الكردي) : ٢١ ، ٨٢ ، ٨٢

« ت » : ١١٠ .

ابن عباس = عبد الله بن عباس .

ابن عبد البر (أبو عمر المحدث الأندلسي) : ٧٤

ابن عرفة : ٨٩ .

ابن عساكر : ٨٣ « ت » .

ابن علي (اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم) :

٧٣ ، ٧٣ « ت » .

ابن عمر = عبد الله بن عمر .

ابن غوث : ٧٣ .

أبو الحديد = أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان .

أبو الحسن الأشعري : ٢٣ : ٢٣ « ت » .

أبو الحسن علي بن أحمد البصري : ٧٢ « ت » .

أبو حفص بن الصغار = عصام الدين أبو حفص الخ .

أبو حنيفة (النعمان الإمام) : ٣٩ : ٤٤ .

أبو حيان التوحيدى (علي بن محمد بن العباس) : ٤٤ : ٤٤ « ت » .

أبو خالد ، في : إسماعيل بن أبي خالد .

أبو داود (صاحب السنن) : ٥٠ : ٤٣ .

أبو زرعة : ٩٥ .

أبو سعد بن أحمد النيسابورى (أبو شيخ الشيوخ) في : شيخ الشيوخ .

أبو سعد المحسن بن محمد الجشمى : ٦٩ .

أبو سليمان الجبلى = داود بن بندار ، أبو طالب ، في : علي بن أبي طالب .

أبو طاهر السلفى (الحافظ) أو (الحافظ بن طاهر) أو (الحافظ بن أبي طاهر) : ٦٩ : ٦٩ « ت » .

أبو الطاهر يوسف بن عمر بن يوسف : ٧ .

أبو الطيب التنى = التنى .

أبو العباس الظفر = أبو العباس بن الظفر الأشعري .

أبو اسحاق الروزى : ١٢٨ .

أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد بن أحمد النيسابورى = شيخ الشيوخ .

أبو بكر بن أيوب (أبو السلطان الكامل) في : السلطان الكامل .

أبو بكر أحمد بن الحسن = البيهقى .

أبو بكر الباقلانى (القاضى) : ٧٩ : ٧٩ « ت » .

أبو بكر الشافى (محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر) : ٨٥ « ت » .

أبو بكر الشبلى (دلف بن جحدر) : ١٢٠ : ١٢٠ « ت » .

أبو بكر (الصديق عبد الله بن أبي قحافة الخليفة الراشد) : ٢٢ : ٤٤ ، ٧٥ : ٨٠ .

أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد : ٧٧ : ٧٧ « ت » .

أبو بكر محمد بن جعفر الخرايى السامرى : ٧٧ : ٧٧ « ت » .

أبو بكر محمد بن الخلال في : الحسن بن علي بن أبي بكر الخ .

أبو بكر محمد بن يحيى العدوى : ٧٢ : ٧٣ .

أبو جعفر الطحاوى (أحمد بن محمد بن سلامة) : ٢٢ : ٢٢ « ت » .

أبو حامد الإسفراينى (القاضى) : ٤٤ : ٤٤ « ت » .

أبو حامد الغزالى (حجة الإسلام) = الغزالى .

أبو القاسم محمود بن عمر الزنخري =
الزنخري .

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى
العتاتي الديباجي = الديباجي .

أبو محمد الجويني (عبد الله بن يوسف
الشافعي أبو إمام الحرمين) : ١١٩ ،
١١٩ « ت »

أبو مسعود القاضي = القاضي أبو مسعود .
أبو مشر : ٨٩ .

أبو مشر = مشر .

أبو مظفر بن السمعاني = ابن السمعاني .

أبو المعالي إمام الحرمين الجويني ؛ عبد الملك
ابن الشيخ أبي محمد : ٧٩ ، ٧٩

« ت » : ٨٠ ، ١١٩ ، ١١٩ « ت »

أبو منصور الديلمي = فتح الدين بن علي

أبو موسى الأشعري : ٢٣ « ت »

أبو نصر تاج الدين السبكي = تاج الدين
السبكي .

أبو نصر الفارابي = الفارابي .

أبو نواس : ١٠٣ .

أبو هريرة : ٥٢ ، ٥٢

أبو هند في : سعيد بن أبي هند

أبو يزيد : ٩٨ .

أحمد بن إبراهيم الوراق = الوراق .

أحمد بن الحسن البيهقي = البيهقي .

أحمد بن الحسن الحنبلي = ابن قاضي الجبل .

أحمد بن حنبل (الإمام الحافظ أبو عبد الله) :

ص ٧ ، « ت » : ٣٩ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
١٠٢ ، ١٤٧ .

أبو العباس بن مظفر الأشعري : ٦٩ ، ٨٥

أبو العباس الوراق = الوراق .

أبو عبد الله الحافظ : ١٥٤ .

أبو علقمة الواسطي : ٩٢ ، ٩٣ .

أبو علي بن سينا (الرئيس) = ابن سينا

أبو علي الروذباري = الروذباري .

أبو علي الدقاق : ٨٥ .

أبو عمرو بن عبد البر = ابن عبد البر .

أبو عمرو الأوزاعي .

أبو عمرو بن دحية = ابن دحية .

أبو عمرو بن العلاء : ٩١ ، ٩١ « ت »

أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني : ٧ ،
٧ « ت »

أبو الفتح الثقي : ١٥٥ .

أبو الفداء : ٧٩ « ت »

أبو فراس بن حمدان : ١١٨ .

أبو الفرج البغدادي : ٩٧ .

أبو الفتح بن دقيق العيد = ابن دقيق العيد .

أبو الفضل إسماعيل الحاكم = الحاكم

أبو الفضل .

أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن

صهر الصفار : ٨٥

أبو القاسم الجنيد = الجنيد .

أبو القاسم الراغب : ٩٥ .

أبو القاسم سليمان بن أحمد = الطبراني .

أبو القاسم عبد الله بن هوازن القشيري :

١١ ، ١١ « ت » : ٧٥ ، ٨٥ ، ١٢٠

أبو القاسم علي بن محمد بن علي النيسابوري

الكوافي : ٧٢ .

أحمد بن صالح المصري : ٧٤

أحمد بن عبد الواحد بن محمد : ٧

أحمد بن عثمان بن أبي الحديد في : أبو بكر محمد بن أحمد .

أحمد بن عثمان الذهبي (أبو الحافظ شمس الدين) في : الذهبي .

أحمد بن علي الجزري = الجزري .

أحمد بن علي الحنبلي : ٦٩ .

أحمد بن القاسم الصوفي (أبو محمد الروذباري) في : الروذباري .

أحمد بن قطر السمسار (أبو محمد) في : ابن قطر .

أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي : ٦٩

أحمد بن محمد بن سلامة = أبو جعفر الطحاوي .

أحمد بن محمد الفزالي (أخو أبي حامد محمد حجة الاسلام) : ٨٦ .

أحمد بن منصور بن الصفار (أبو عمر بن أحمد) في : عصام الدين أبو حفص .

أحمد بن منيع : ٦٠

أحمد بن هبة الله بن عساكر : ٨٥ .

إسحاق بن عبد الله بن عمر قاضي اليمن : ٧٣ .

إسحاق بن مرار الشيباني = أبو عمر إسحاق الخ .

إسحاق الخوارزمي في : أحمد بن محمد بن إسحاق .

إسحاق الكندي (أبو يعقوب) في : يعقوب .

الاسفرائني = أبو حامد الاسفرائيني .

أسماء بنت أبي بكر : ١٢٢ .

إسماعيل بن أبي خالد : ٧

إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم = ابن علي إسماعيل بن إبراهيم (النبي عليهما السلام) .

١٥٨ .

إسماعيل بن أبي سعد شيخ الشيوخ النيسابوري = شيخ الشيوخ .

إسماعيل بن سعد المعدل : ٩١ .

إسماعيل بن عبد الله بن عمر بن قاضي اليمن : ٧٣ .

إسماعيل الحاكم في : الحاكم أبو الفضل الأشرف = السلطان الأشرف .

الأشعث بن قيس الكندي : ٦٠

الأشعري = أبو الحسن الأشعري .

الأشعري : ٩٧ « ت » .

الإصطخري : ١٤٢ .

الأصمعي : ٩٣ .

أعين (الطبيب) : ٩٢٠ ، ٩٣ .

الأكفاني = هبة الله بن الأكفاني .

الإمام إبراهيم بن محمد الشيرازي = أبو إسحاق .

الإمام أبو سعد عبد الله بن عمر الصفار : ٨٥

الإمام أبو عمرو بن دحية = أبو عمرو ابن دحية .

إمام الحرمين = أبو للعالی (إمام الحرمين) الجويني

الإمام الشافعي = الشافعي .

الإمام شمس الدين المقدسي = شمس الدين محمد المقدسي .

أم المؤمنين = عائشة .

أمير على المارديني : د ، ز ، ص .

الأنباري : ٧ « ت » .

أنس بن مالك (صاحب) : ٨٣ « ت » .

الأنصاري (في شاهد) : ٨٩ .

الأوزاعي : ١١٧ .

أيوب رأس الأسرة الأيوبية : في : السلطان الكامل .

(ب)

الباقلائي = أبو بكر .

البخاري « الإمام أبو عبد الله محمد بن

إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن

برزذبه »

الحافظ صاحب الجامع الصحيح : ٢٤

« ت » ٨٢ « ت » .

بركلمان (المستشرق الألماني) : ي ، ن .

بركات بن إبراهيم الخشوعي : ٧ : ٧ « ت »

البرمكي = يحيى بن خالد البرمكي .

برهان الدين الرسعي : و

برهان الدين السنجاري (الخضر بن حسن

ابن علي : و

البغوي الحافظ الحسين بن مسعود =

ابن الفراء .

بكار (أبو الزبير) في : الزبير .

البلقيني = سراج الدين .

بنت الأعز : في : ابن بنت الأعز .

بهاء الدين بن حنا : ن .

البهاء السبكي : و

(ت)

بيرس = الظاهر بيرس .

البيضاوي (القاضي صاحب النهاج) : ي .

البيهقي (الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن

الشافعي الحافظ) : ٨٢ ، ٨٢ ، ٨٣ « ت »

« ت » ١٤٧ .

تاج الدين السبكي الشافعي (شيخ الإسلام) :

المؤلف .

تاج الدين المراكشي (محمد بن إبراهيم) :

٩٦ ، ٩٦ « ت » .

الترمذي (صاحب السنن وهو أبو جعفر

محمد بن أحمد بن نصر الشافعي) : ٨٢ ، ٨٢

تقي الدين بن تيمية = ابن تيمية .

تقي الدين بن دقيق العيد - ابن دقيق العيد .

تقي الدين السبكي = السبكي .

تقي الدين عثمان بن الصلاح = ابن الصلاح .

التمار (أبو الحسن علي بن أحمد بن صالح

البصري) : ٧٢ ، ٧٢ « ت » .

التوحيدى = أبو حيان التوحيدى .

التهامي (الشاعر الأندلسي هو أبو الحسن

ابن علي بن محمد) : ١٥٤ .

(ث)

ثمود : ١٠٠ .

ثوبان بن إبراهيم المصري = ذو النون .

الثوري = سفيان الثوري .

(ج)

- جبريل (عليه السلام) : ٨٠ ، ٨١ « ت » .
 الجراح بن مليح : ٦ .
 الجرجاني (القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز) : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .
 الجزري (أحمد بن علي) : ٩١ .
 الجزري = ابن الأثير .
 جعفر الخرائطي : في : أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي .
 جعفر الهمداني : ٦٩ .
 جمال الدين الإسنوي : ز .
 الجنيد بن محمد (أبو القاسم شيخ الصوفية وإمامهم) : ١١٩ ، ١١٩ « ت » .
 ١٢٠ « ت » : ١٢١ ، ١٥٢ .
 الجوشاري : ٢٨ « ت » .
 الجويني = أبو محمد .
 الجويني = أبو المعالي .
 الجيلي = داود بن بNDAR .

(ح)

- الحاكم أبو الفضل اسماعيل بن محمد بن الحسن : ٦٩ .
 الحافظ بن طاهر : أو : ابن أبي طاهر = أبو طاهر .
 الحافظ أبو العباس بن الظفر = أبو العباس الح .
 الحاج (هو ابن يوسف الثقفي) : ١٥٤ .

الحريري : ٩١ « ت » .

- الحسن بن علي ، أو : (الحسن بن أبي بكر محمد بن الخلال) : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .
 الحسن البصري : ١٥٣ .
 الحسين بن مسعود البغوي = ابن الفراء .
 حفص (الإمام القاري) : ٨ « ت » .
 الحنات ، أو : (الحنطلي) : ٩٠ ، ٩٠ « ت » .
 الحنبلي = أحمد بن علي الحنبلي .
 الحياط : ٩٠ « ت » .

(خ)

- خالد البرمكي (أبو يحيى بن خالد) في : يحيى .
 ابن خالد .
 الخباط : ٩٠ « ت » .
 الخرائطي = أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري .
 الخشوعي = بركات بن إبراهيم الخشوعي .
 الخضر بن حسن بن علي = برهان الدين السنجاري .
 الخطاب (أبو عمر بن الخطاب) في : عمر خواجا نصير = نصير الدين الطوسي .
 الخوارزمي = أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي .
 الخياط : ٩٠ ، ٩٠ « ت » .

(د)

- داود بن بNDAR بن إبراهيم الجيلي أبو سليمان : م .

داود بن سليمان بن داود الآباري : ٧
٧ « ت » ٥ .

الدقاق = أبو علي الدقاق .

دلف بن جعفر = أبو بكر الشبلي .

الدمياطي = فتح الدين بن علي أبو منصور
الدمياطي .

الديباجي (الإمام أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن بن يحيى العثماني الديباجي) :
٦٩ ، ٦٩ « ت » ٥ .

(ز)

الزبير بن بكار : ٩٤ .

الزرقاني : ٤٢ « ت » ٥ .

الزخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن
محمد) : ٦٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

الزيادي = أبو طاهر الزيادي .

زينب بنت الكمال المقدسية : ٦٩ ، ٦٩ « ت » ٥ .

(س)

سارة : ١٥٨ .

سارة بن زعيم : ١٢٢ ، ١٢٢ « ت » ٥ .

السامري = أبو بكر محمد بن جعفر
الخراطي السامري .

سبكتكين في : ابن سبكتكين .

السبكي (الإمام تقي الدين شيخ الإسلام
والد المؤلف) : د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط ،

ك ، ل ، م ، ن ، س ، ف ، ٩ ، ٣٣ .

٥ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ .

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٨ .

٨٠ ، ٨١ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ .

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٩ .

سراج الدين البلقيني : ز .

سعيد بن أبي هند : ٥٢ ، ٥٣ .

سعد العدل (أبو اسماعيل) في :
اسماعيل بن سعد .

سفيان الثوري : ٦٣ ، ٦٨ .

السلطان الأشرف : ح .

السلطان الكامل (محمد بن أبي بكر بن
أيوب) : ٩٦ .

(ذ)

الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن

عثمان : د ، ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٧ « ت » ٥ .

ذو بطن بن خارجة : ١٢٢ .

ذو النون المصري (ثوبان بن إبراهيم

الصوفي) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » ٥ .

(ر)

الرازي = نضر الدين الرازي .

الرافعي (الفقيه) : ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ١٢٧ .

١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ .

الرسول = (محمد عليه السلام) .

رسول الله (عليه السلام) = محمد
عليه السلام .

ركن الدين بن القوبيع (محمد بن عبد الرحمن

التونسي المالكي) : ٩٦ ، ٩٦ « ت » ٥ .

الروذباري (أبو علي محمد بن أحمد بن

القاسم الصوفي) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » ٥ .

شمس الدين محمد القديسي : ١٤٦ « ت » .
 الثمر زوري : ١٢٨ « ت » .
 الشيباني = أبو عمرو بن إسحاق بن مزار .
 شيخ الإسلام أبو الفتح بن دقيق العيد =
 ابن دقيق العيد .
 شيخ الإسلام ؛ سلطان العلماء عز الدين
 عبد السلام = عز الدين الح .
 شيخ الإسلام يحيى بن شرف = النووي
 الشيخ تاج الدين = تاج الدين الراكني
 شيخ الشيوخ (أبو البركات إسماعيل بن
 أبي سعد بن أحمد النيسابوري) : ٧٢
 الشيرازي = أبو إسحاق الشيرازي .

(ص)

الصاقاني (الحسن بن محمد) : ٨١ : ٨١ .
 « ت » .
 الصديق = أبو بكر الصديق .
 صبي الدين الهندى (محمد بن عبد الرحيم) :
 ٩٦ « ت » .
 صلى الله عليه وسلم = محمد (عليه السلام) .
 الصيمري : ١٠٤ .

(ط)

الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد
 الحافظ) : ٨٢ : ٨٢ « ت » : ٨٣ .
 الطبرى = عبد الرحمن بن حسين الطبرى .
 الطحاوى = أبو بكر الطحاوى .
 طرخاى (نائب حلب) : و
 طليحة بن خويلد الأسدي : ١٦٠ .

السلطان لاجين : ٧٠ « ت » .
 السلى = أبو طاهر السلى .
 سليمان بن أحمد الطبراني = الطبراني .
 سليمان بن داود الأباري : في : داود
 ابن سليمان .
 سليمان (أبو عبد السميع) في : عبد السميع .
 السمسار = ابن قطر .
 السنجارى = برهان الدين السنجارى .
 سيف الدولة قطز = قطز .
 السيوطى (الحافظ جلال الدين) : ط
 سيد الأولين والآخرين = محمد (عليه
 السلام) .
 سيد المرسلين = محمد (عليه السلام) .

(س)

الشاشي = أبو بكر الشاشي .
 الشافعى (محمد بن إدريس الإمام) : ل ؛
 س ٨٤ ، ٨٤ « ت » ١٥٤ ، ١٥٤ « ت » ؛
 ٢٠ ، ٢٢ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ؛
 ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ؛
 ١٢٥ ، ١٤٣ .
 الشبلى = أبو بكر الشبلى .
 الشعرائى (الشيخ عبد الوهاب) : ز ؛ ح
 ١٢٠ « ت » .
 شقراء بنت يعقوب بن إسماعيل بن عمر
 قاضى الدين : ٧٣ .
 شمس الدين الذهبى = الذهبى .

الطوسي الغزالي = أبو حامد .
الطوسي = نصير الدين الطوسي .

(ظ)

الظاهر يبرس : ٥١ .

(ع)

عاصم : في : علي بن عاصم .
عائشة : أم المؤمنين : ٧٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ .
العباس بن مرداس : ٩٧ .
العباس (أبو عبد الله بن عباس) في :
عبد الله .

عبد السلام (أبو العز بن عبد السلام شيخ
الإسلام) في : عز الدين .

عبد السميع بن سليمان : ٧٢ .
عبد العزيز (أبو صهر بن عبد العزيز) في :
صهر .

عبد العزيز الجرجاني (أبو علي بن عبد العزيز)
في : الجرجاني .

عبد الغفار القزويني : ٨٣ ، ٨٣ ، ٨٣ ت هـ .
عبد الكريم بن محمد المحاملي = المحاملي
عبد الكريم بن هوازني = أبو القاسم
القشيري .

عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ النيسابوري : ٧٢
عبد الله (شاهد في شعر) ٩٧ ، ٩٨ .

عبد الله بن عباس : ١٠٤ .
عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي = الديباجي
عبد الله بن صهر : ١٤٧ .

عبد الله بن عمر الصفار = عصام الدين .
أبو حفص الخ .

عبد الله بن المبارك : ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٣ ت هـ .
عبد الله بن مسعود : ٤٣ ، ١٥٧ .

عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد إمام الحرمين
= أبو المعالي الجويني .

عبد الرحمن بن حسين الطبري : ٨٥ ت هـ .
عبد الرحمن بن يحيى العتاني الديباجي
(أبو عبد الله) في : الديباجي .

عبد شمس : ٩٧ ، ٩٨ .
عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي =
تاج الدين السبكي .

عبد الهادي (أبو محمد) في : محمد بن
عبد الهادي .

عثمان بن أبي الحديد في : أبو بكر بن محمد
ابن أحمد بن عثمان .

عثمان بن الحسن السبتي = ابن دحية .
العدوي = أبو بكر محمد بن يحيى العدوي
عدوي : ١٤٧ .

المراقى = عيسى بن محمد .
العز بن عبد السلام = عز الدين
عز الدين بن عبد السلام (شيخ الإسلام
وسلطان العلماء) : ٥١ ، ٥١ ، ٥١ ت هـ .

١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٥ ، ١٥٦ .
عصام الدين أبو حفص صهر بن أحمد بن
منصور بن الصفار : ٨٥ .

عقيل بن أحمد (أبو محمد بن عقيل) في :
محمد بن عقيل .

العنسي (الأسود العنسي المتنيء الكاذب) :

١٦٠ .

هونة (امرأة) : ١٠٠ .

عيسى بن عمر النحوي : ٩١ ، ٩٢ .

(غ)

الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد

الطوسي حجة الإسلام) : ٧٨ :

٨٦ ، ١١٤ ، ١٣١ ، ١٤٢ .

الغزالي (أحمد بن محمد بن محمد الطوسي

أخو حجة الإسلام) = أحمد الغزالي .

(ف)

الفارابي (أبو نصر) : ٧٧ :

فاضل باشا : ص

فاطمة بنت أبي عمر : ٦٩ ، ٦٩ « ت »

الفتح البقي : ١٥٥

الفتح الثقي : ١٥٥ « ت »

فتح الدين بن علي أبو منصور الديبالي :

٨٦ ، ٩٠

نفر الدين الرازي (الإمام الفسر) : ٧٨ :

فرعون (لغز) : ١٠٠

فرعون (الملك) : ١٥٩

الفضيل بن عياض : ٦٧ ، ٦٧ « ت »

(ق)

قاروق : ١٠٠

القاضي أبو حامد = الإسفرايني

علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين) : ٢٠ ،

٤٤ ، ١٢٢ .

علي بن إسماعيل = أبو الحسن الأشعري

علي بن أبي محمد بن الخلال في : الحسن بن علي الخ

علي بن حاصم : ٧ .

علي بن عبد العزيز الجرجاني = الجرجاني .

علي بن عبد الكافي : ل .

علي بن محمد بن علي النيسابوري =

أبو القاسم علي الخ .

علي بن الهيثم : ٩٢ ، ٩٢ « ت » .

علي النيسابوري ، في : أبو القاسم علي بن

محمد بن علي النيسابوري .

عمر بن أحمد بن منصور الصفار =

عصام الدين أبو حفص .

عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين) : ١٩ ،

١٩ « ت » ، ٢٢ ، ٢٤ « ت » ،

٥٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

عمر بن عبد العزيز (أمير المؤمنين) : ٣٣ :

١٥٣ ، ١٥٤ .

عمر بن قاضي اليمن (أبو إسماعيل :

ولإسحاق) فيهما :

عمر بن محمد الزمخشري (أبو محمود الزمخشري)

في : الزمخشري .

عمر بن يوسف (أبو يوسف) في : يوسف

ابن عمر بن يوسف .

عمر بن العاص : ١٢٣ .

العمرى = ابن فضل الله العمرى .

عنتر (عنتر بن شداد العبسي) : ١٤٣

القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز
الجرجاني = الجرجاني

القاضي أبو مسعود (يعني صالح بن أحمد
ابن القاسم بن يوسف) : ٧٢

القزويني = عبد الغفار القزويني .

القشيري = أبو القاسم عبد الكريم بن
هوازن القشيري .

القشيري = محمد بن علي القشيري .

قطز (الملك المنظر سيف الدين) : ٥١

القفال (العلامة الفقيه وهو القفال الصغير

أبو بكر عبد الله بن أحمد بن

عبد الله الروزي) : ١١١ ، ١٥٠ .

قيس الكندي (أبو الأشعث بن قيس)

في : الأشعث .

(ك)

الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب =

السلطان الكامل .

الكندي = الأشعث بن قيس الكندي .

(ل)

لاجين = السلطان لاجين .

(م)

المارديني = أمير علي المارديني .

مارية (القبطية) : ٨١ « ت » .

المأمون (أمير المؤمنين) : ٩٢ « ت » ،

١٠٤ ، ١٠٥ .

مالك بن أنس (الإمام) : ط ، ٣٩ ،

٧٦ ، ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

للبارك بن عبد الجبار : ٩١ .

البارك بن محمد الجزري = ابن الأثير .

الثنبي (أبو الطيب) : ٦٩ « ت » .

المحاملي عبد الكريم بن محمد : ٩١ .

الحسن بن محمد الجشمي = أبو سعد

المحسن الخ .

محمد (رسول الله عليه السلام) : ج ، ١ ، ٣ ،

٦٥ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ ،

٤٣ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ،

٨٠ « ت » ، ٨١ ، ٨١ « ت » ، ٨٣ ،

٨٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ،

١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٠ ،

١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

١٦١ .

محمد بن أحمد بن عثمان أبي الحديد = أبو

بكر بن محمد الخ .

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي = الذهبي .

محمد بن أحمد القاسم = الروذباري .

محمد بن أحمد بن قطر السمسار = ابن

قطر السمسار .

محمد بن إدريس الشافعي (الإمام) =

الشافعي .

محمد بن إسحاق الخوارزمي (أبو أحمد)

في : أحمد بن محمد الخ .

محمد بن جعفر الخرائطي = أبو بكر محمد

ابن جعفر الخرائطي .

محمد بن الحسن (أبو إسماعيل الحاكم)

في : الحاكم أبو الفضل .

فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١	مقدمة المؤلف	٣٩	المثال الثامن والعشرون (الطواشية)
	(الكلام على النعم وشكرها)	٤٠	» التاسع » (الحجاب)
١٢	المثال الأول		» الثلاثون (التقباء في أبواب
١٢	» الثاني	٤٢	الحجاب والولاية وغيرهم)
١٣	» الثالث	٤٣	» الحادي والثلاثون (الوالي)
١٥	» الرابع	٤٦	» الثاني » (الباب)
١٦	» الخامس	٤٦	» الثالث » (أمراء الدولة)
٢١	» السادس (نواب السلطنة)	٥١	» الرابع » (الأجناد)
٢٥	» السابع (الدوا دار)	٥٤	» الخامس » (أمراء العرب
٢٦	» الثامن (الخازن دار)		في هذا الزمان)
٢٦	» التاسع (أستاذ الدار)	٥٥	» السادس » (القاضي)
٢٧	» العاشر (الوزير)	٦٠	» السابع » (كاتب القاضي)
٢٨	» الحادي عشر (مشد الدواوين)	٦١	» الثامن » (حاجب »)
٢٩	» الثاني » (الدواوين في سائر	٦٢	» التاسع » (قيب »)
	الجهات)	٦٢	» الأربعون (أمراء »)
٣٠	» الثالث » (كاتب السر)	٦٢	» الحادي والأربعون (وكلاء دار
٣١	» الرابع » (الموقعون)		القاضي)
٣١	» الخامس » (المهند دار)	٦٣	» الثاني » (الشهود)
٣٢	» السادس » (البريدية)	٦٤	» الثالث » (ناظر الموقف
٣٣	» السابع » (ناظر الجيش)		ونحوه)
٣٤	» الثامن » (السلحدار)	٦٥	» الرابع » (وكيل بيت المال)
٣٤	» التاسع » (الجقدار)	٦٥	» الخامس » (المحتسب)
٣٥	» العشرون (الطبر دار)	٦٧	» السادس » (العلماء)
٣٥	» الحادي والعشرون (الجوكاندار)	١٠١	» السابع » (المفتي)
٣٥	» الثاني » (الجدارية)	١٠٥	» الثامن » (المدرس)
٣٦	» الثالث » (البشمقدار)	١٠٨	» التاسع » (المعبد)
٣٧	» الرابع » (أمير علم)	١٠٨	» الخسون (المقيد)
٣٧	» الخامس » (أمير شكار)	١٠٨	» الحادي والخسون (المنتهى من
٣٧	» السادس » (أمير آخور)		النفهاء)
٣٧	» السابع » (السقاة)	١٠٨	» الثاني » (فقهاء المدرسة)

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٠٩	المثال الثالث والخمسون (قارىء العشر)	١٣٤	المثال الرابع والثمانون (الزير)
١٠٩	الرابع * (النشد)	١٣٤	الخامس * (الكحال)
١١٠	الخامس * (كاتب غيبة)	١٣٤	السادس * (الحائك)
	الفقهاء	١٣٤	السابع * (القيم في الحمام)
١١٠	السادس * (القراء والألمان)	١٣٥	الثامن * (الدعان)
١١١	السابع * (خازن الكتب)	١٣٥	التاسع * (الخياط)
١١١	الثامن * (شيخ الرواية)	١٣٦	التسعون (الصياغ) ...
١١٢	التاسع * (كاتب غيبة)	١٣٧	الحادى والتسعون (التسطور)
	السامعين	١٣٧	الثانى * (الفراشون)
١١٢	السنون * (الخطيب)	١٣٨	الثالث * (البابا)
١١٣	الحادى والستون (الواعظ)	١٣٨	الرابع * (الفريدار)
١١٣	الثانى * (القاص)	١٣٩	الخامس * (الطنشدار)
١١٢	الثالث * (قارىء الكرسي)	١٣٩	السادس * (الصيرفي)
١١٤	الرابع * (الإمام)	١٤٠	السابع * (السكرارى)
١١٥	الخامس * (المؤذن)	١٤١	الثامن * (العريف)
١١٥	السادس * (الوقت)	١٤١	التاسع * (النقاشون)
١١٩	السابع * (الصوفية)	١٤١	المائة (غسل الموتى) ...
١٢٤	الثامن * (شيخ الحافاه)	١٤٢	الحادى بعد المائة (الجان)
١٢٥	التاسع * (قراء الحوائف)	١٤٢	الثانى * (الجزار)
١٢٦	الستون * (خادم الحافاه)	١٤٣	الثالث * (المشاعلية)
١٢٦	الحادى والستون (شيخ الزاوية)	١٤٣	الرابع * (الدلالون)
١٢٦	الثانى * (أصحاب الحرف)	١٤٤	الخامس * (البواب)
	والأموال	١٤٤	السادس * (سائس الدواب)
١٢٧	الثالث * (صاحب الزرع والشجر)	١٤٥	السابع * (الكلايزى)
١٢٨	الرابع * (الصيدون)	١٤٥	الثامن * (حارس الدواب)
١٢٩	الخامس * (شاد المعائر)		
١٢٩	السادس * (البنساء)	١٤٦	التاسع * (الطوفية)
١٢٩	السابع * (الطيسان)	١٤٦	العاشر * (الكاسح)
١٣٠	الثامن * (معلم الكتاب)	١٤٦	الحادى عشر * (الإسكاف)
١٣١	التاسع * (الناسخ)	١٤٧	الثانى * (رماة البندق)
١٣٢	الثمانون ... (الوراق)		
١٣٢	الحادى والثمانون (المجلد)	١٤٧	الثالث * (الشعاذ)
١٣٣	الثانى * (المذهب)	١٦٣	(فهرس الأعلام) ...
١٣٣	الثالث * (الطيب)	١٧٨	(فهرس الموضوعات) ...